1



النُّهُوض

إبراهيم محمد

عالم جديد



عالم ينـهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

❖

رواية

النهوض

❖

عالم جديد

عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

❖

تأليف

إبراهيم محمد

❖

تصميم وإخراج

إبراهيم محمد

❖

❖

للتواصل مع المؤلف

Wordsonsnowtablet

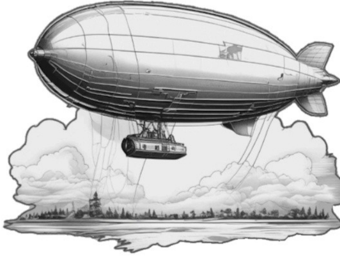
Gmail | Facebook

❖

تنبيه

- هذا المؤَلَّف من قرِيحة مؤلِّفه، ولم يتم نقله أو اقتباسه من أي مصدر آخر.
- أي تشابه بين الرواية وأحداث وشخصيات واقعية هو محض مصادفة.
- لم يتم تدقيق هذه الرواية لغويًّا
- تم إنتاج الصور باستخدام برامج الذكاء الاصطناعي، وباستخدام كلمات عامة دون وصف دقيق.

عالم جديد



عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

عالم جديد



1

النهـوض

تأليف

إبراهيم محمد

للتواصل مع المؤلف

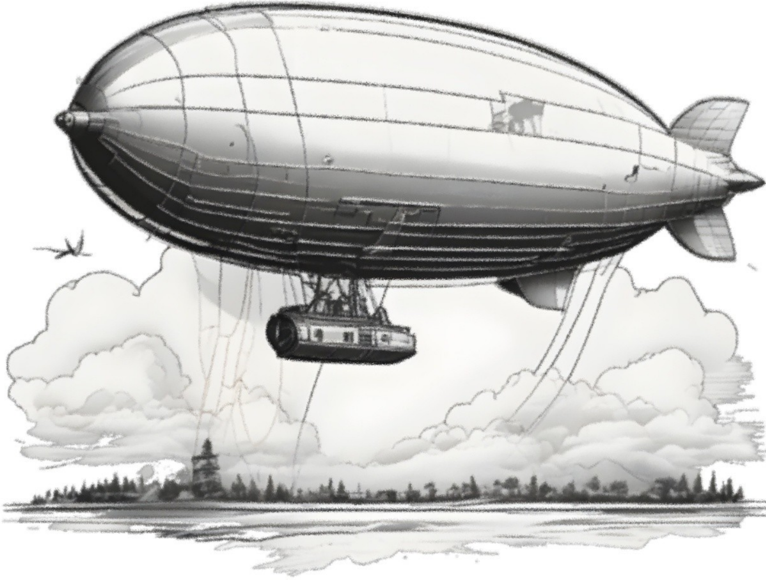
wordsonsnowtablet@gmail.com

عالم جديد

إنَّه عالمنا.. ولكنَّه يختلف عن كل ما عرفناه.. عن كل ما ألفناه.. عالم مُخيف.. عالم صنعته حرب طاحنة.. حرب قضت على البشرية.. فلم يبق إلا القليل.. أقل القليل..

قليل تعصف به الأمراض والأسقام.. العلل والعيوب.. تعصف به المصائب والكوارث..

قليل يواجه عالمًا مليء بالمخاطر.. والأزمات.. والأهوال.. كي يبني حاضره.. وينظر مستقبل لا يراه.. قليل يواجه.. عالمًا جديدًا..



1- الهمج

لقد جاءوا.. آثار أقدامهم تملأ المكان.. ومعهم سيأتي الخراب.. لا هم لهم إلا الطعام.. سيفسدون كلّ شيء لأجل كسرة خبز.. لأجل شربة ماء.. بل لأجل أقل من ذلك.. بكثير.. لن يكون هناك أمن ولا سلام.. لن يجد قومه حلاً سوى الرحيل.. الرحيل بعيدًا.. والبدء من جديد.. بداية أخرى.. بداية مرهقة.. مؤلمة.. صعبة..

كل هذه الأفكار عصفت في ذهن (بهاء) وهو يتقصّى الآثار بعينيه، ويتمعّن فيها ويسعى لمعرفة بداياتها ونهاياتها..

- ولكن لماذا جاءوا؟

هذه من زميله (كنان) الذي كان يتقصّى الجزء البعيد من الوادي، فرفع (بهاء) رأسه عن الآثار ناظرًا إليه، وقال:

- هذا هو السؤال، ما الذي جاء بهم إلى هنا؟

عاد انتباهه إلى الآثار وأخذ يسير معها، حتى ابتعدت به عن زميله، وبلغ صخرة ضخمة، استدار حولها ليجد ما ظنه سببًا لمجيئهم.

كانت أشلاء مبعثرة لحيوان برّي، لم يبق منه إلا جلده ليخبر أنه كان ابن آوي.

رفع (بهاء) صوته كي يبلغ زميله:

- كانوا يطاردون فريسة.

شغل نفسه بالتدقيق في الآثار حتى بلغه (كنان) الذي نظر للآثار وزفر قبل أن يخرج ضيقه في كلماته:

- هذا ما ينقصنا.

قعد (بهاء) القرفصاء وقد جعل الصخرة متكئًا لظهره، وأخذ يجول ببصره فيما حوله وعقّب على (كنان) بالقول:

- وهو رسالة إنذار وتحذير.

مدهوشًا التفت إليه (كنان) وسأل:

- تحذير! من من؟

أجال (بهاء) بصره في الوادي المجدب وشمس الضحى في هذا الصيف الحار تكشف ما فيه، وهو يقول:

- من الهمج، لقد نفد طعامهم، حتى أنَّهم طاردوا الفريسة إلى هذا الوادي المقفر.

ضرب (كنان) فخذيه بيديه المرة تلو الأخرى وعقّب:

- هذا ما كان ينقصنا.. هذا ما كان ينقصنا..

ونظر (كنان) إلى الجبال الشواهق إلى يمينه، والتي تخفي خلفها بلدتهم وتحميها وتابع حديثه:

- الجوع أتى بهم إلى هنا، وبعد حين سيأتي بهم إلى بلدتنا، أتراهم سيبلغونها؟

نظر (بهاء) من خلف كتفه إلى حيث ينظر (كنان) وأجاب:

- من الجبال؟ لا، لكن البوابة لن تصمد أمام جحافلهم.

أراد (كنان) أن يقول شيئًا،أي شيء.. ولكن الصورة المخيفة في ذهنه لوصول جحافل الهمج إلى بلدتهم، جعلته يصمت وشغل نفسه بالتمعّن في الوادي الأجدب، حتى قاطعهما رنين جهاز الاتِّصال الذي يحمله (بهاء).

رفع (بهاء) الجهاز أمامه وهو يضغط زر قبول الاتّصال مع بُرج الحراسة، ليأتيه صوت الحارس قلقًا دون مقدمات:

- إنَّـهم عندك..

نـهض (بهاء) بسرعة وهو ينظر حوله ويسأل في الوقت ذاته:

- من هـ..

لم يكمل سؤاله.. لقد رأهم.. الهمج..

*** * ***

كانوا قرابة عشرة من الهمج وقفوا متباعدين عن بعضهم في أرض الوادي، ينظرون إلى (بهاء) و(كنان) بالنظرة التي لا تفارق عيونـهم.. نظرة فضول وتأمل..

انقضّت يد (كنان) على حزامه ليخرج سلاحه من جرابه..

- إيّاك.

هتاف زجر من (بهاء) أوقف يده في طريقها وتجمّد في مكانه كتمثال من حجر، إنه يعلم أنَّ السلاح لا جدوى منه، بل سيزيد الطين بلّةً ولكنها الغريزة.. غريزة الدفاع عن النفس..

بهاء أيضًا تجمد جسده على هيئته الأخيرة ويده الممسكة بجهاز الاتّصال ممدودةً وترفع سبابة التحذير نحو (كنان).

الغريب إنَّ الهمجي ليس كائنًا قبيحًا، بل هو أشبه بشيخ طاعن في السن قد تجاوز المئة، وشديد النحول والهزال كأنه يتضوّر جوعًا، وقد برزت ضلوعه حتى أنك تحصيها ضلعًا ضلعًا، وبشرته قمحية داكنة كتربة بللها المطر، ولحية كثّة استطالت وأوشكت أن تبلغ بطنه، ويرتدي أسمالًا باليةً وفي عينيه نظرة فضول وتأمل لا تغيب كأنَّه يرى كل شيء أوَّل مرة، وصوته صياح شبيه بعواء الجراء، وجميعهم ينسخ بعضهم بعضاً في الهيئة، صغارهم وكبارهم، رجالهم ونسائهم، شيوخهم وعجائزهم، باستثناء أمر اللحية، والغريب الآخر هو كثرة نسلهم حتى أنَّ الأرانب لتحسدهم ونهمهم الشديد للطعام دون أنَّ يظهر أثره عليهم، وهم يأنفون اللحوم ويحبون سواها حتى الحشائش، وافتراسهم ابن آوي نذير شؤم وخطر و..

انتبه (بهاء) من أفكاره التي جاءته من تحديقه إلى عيني أقرب الهمج إليه، وصوت الحارس لا يزال يخرج من جهاز الاتِّصال..

- بهاء.. هل تسمعني؟.. بهاء.. ارفع جهاز الاتِّصال..

لم يغير (بهاء) من هيئته لبضع ثوانٍ، ثم بحذر أعاد جهاز الاتّصال أمامه، وعيناه على الهمج وأجاب بهدوء شديد:

- نعم.. أسمعك..

- سأغلق البوابة وأوصل الكهرباء إليها.

كان (بهاء) يدرك قلق الحارس وحذره، ويتفهم قراره واستمع إليه وهو يكمل حديثه في قلق وتوتر:

- سامحني يا (بهاء)، لا يمكنني السماح للهمج بمعرفة مكان البوابة أو بلوغها، لن يمكنكما العودة منها، يجب أن تجدا لكما طريقًا آخر للعودة.

- لا بأس، سنجد لنا طريقًا للعودة.

هذه كانت من (كنان) ونقلها (بهاء) إلى الحارس بنصها، ومضت ثوان أتبعها (كنان) بالقول:

- والآن، ماذا سنفعل؟

دون أن يترك (بهاء) هيئته، قال:

- سنتحرك بحذر على طول الوادي إلى الجبل القائم.

- والسيارة؟

نظر (بهاء) إلى سيارة الجيب التي يحول الهمج بينه وبينها ثم رد السؤال بنظيره:

- هل تجرؤ على الذهاب إليها؟

- بالتأكيد ولكن اسبقني أولًا.

رغم توتره لم يقاوم (بهاء) بسمة طفت على وجهه واستدار بهدوء نحو السهل من الوادي وهو يقول:

- هيا.

تبعه (كنان) بحذر وأخذا يسيران معا جنبًا إلى جنب..

- بهاء؟

- أمممم..

- لماذا القائم؟

- أنه جبل قائم الجوانب وصعب التسلق، قد يمنعهم من ملاحقتنا..

- يمنعهم من ملاحقتنا!..

والتفت (كنان) خلفه.. وما رآه.. كان مخيفاً.. مخيفاً بحق..

*** * ***

- هه.. ماذا تقول؟

إنْ كان الدكتور (أمجد) يقصد بقوله سؤالًا فقد خرج من بين شفتيه رجاءً، رجاءً ألقى به إلى السَّيِّد (عبد الرازق) الجالس قبالته في مكتبه، إن جاز تسمية حجرة الصفيح المهترئ هذه بالمكتب، فبقع الصدأ في كل مكان، والأرض نفسها مجموعة من الصخر تم دكها في الأرض حتى تساوت معها، والمكتب ليس إلا باب معدني ارتفع على جذعين من شجر، وعليه بضع كتب وأوراق متناثرة، ومصباح كهربائي تدلّى بحبل من السقف، أما المقاعد فهي حقًا مقاعد.

- ما تطلبه يا دكتور (أمجد) خطر جدًّا، ولا استطيع تنفيذه، أنت لا تدري عن عملي شيئًا.

كان هذا هو جواب (عبد الرازق) عن سؤال الدكتور، جواب لم يمنع الدكتور (أمجد) عن المزيد من التّرجّي:

- بل أعلم، ولكن ما ستفعله ليس من أجلي بل من أجل البشرية جمعاء، من أجل مستقبل أبنائنا.

في ضيق وانزعاج مال (عبد الرازق) نحو الدكتور وقال:

- أخبرتك إنك لا تعلم عن عملي شيئًا، أنا أمين هذه البلدة، أتحسب أن عملي هو أن أبيع لكم أشيائكم وأحضر احتياجاتكم؟ إنَّ الجزء الأهم من عملي هو بقاء هذه البلدة آمنة، بعيدة عن المجرمين وقطاع الطرق، والأهم من ذلك أن تكون آمنة من الأمراض والتلوث، أنت لا تعلم ما نفعله قبل أن نعطيكم الأشياء التي نجلبها من خارج البلدة، حتى تصلكم سالمة وآمنة ونظيفة، وتبقى بلدتنا خالية من الأمراض والمخاطر.

- بل أعلم، أقسم لك بأنَّني أعلم وأنـ..

- إذا كيف تريد منّي أن أحضر أحد الهمج إليك؟ كيف؟

- اسمعني، الهمج لا خطر منهم، الجميع يعلم ذلك، إنَّهم يعيشون في جماعات في مناطق مفتوحة خارج المدن القديمة، وبعيدًا عن المجتمعات البشرية، وينبذون جميع المخلوقات، لذلك لا قلق من حملهم الأمراض أو التلوث من مكان أو كائن ما، لأجل البشرية والحياة..

- البشرية انتهت يا دكتور، البشرية لم يتبق منها إلا قلة قليلة متناثرة تصارع لأجل البقاء..

- لنعيدنّ لها سيرتها الأولى..

- بالهمج؟ نعيد سيرتها بالهمج؟

بالرجاء والثقة قال الدكتور:

- نعم، الهمج هم أقرب الأصناف المريضة إلى البشر الأسوياء، ربما بقليل من الجهد نستطيع علاجهم وإعادتهم بشر أصحاء.

كان (عبد الرازق) ينظر إلى الدكتور (أمجد) كأنَّه قد جُنَّ، لذلك قال بصوت أقرب للزعيق:

- يا دكتور أنت تتحدث عن أمر قد أنقضى عليه أكثر من أربعين سنة، هل تعلم هذا؟ هل تفهم هذا؟ أربعون سنة أنقضت منذ الحرب الملعونة التي دمرت أرضنا وأوشكت أن تفني البشرية، أربعون سنة منذ أن ظهر الهمج والأصناف الأخرى المريضة من البشر، هل تظن أنك تستطيع علاجهم بعد أربعين سنة؟ بعد أربعين سنة يا دكتور!

- نعم، نعم استطيع، ربما أحتاج بعض الوقت ولكنني حتمـ..

- لا يا دكتور، لن أفعل هذا ولن أحضر لك ما تريد ولن أسمح به.

قالها (عبد الرازق) وهو ينهض في بأسٍ كاد أن يطيح باب الصفيح الذي هو مكتب الدكتور، هنا قام الدكتور بأمر ندم عليه أشد الندم، أخرج من جيبه قطعة صفراء ومد ذراعه على امتدادها إلى (عبد الرازق) وهو يستجدي:

- خذ، خذ هذه، لن أدفع لك عينيًّا، سأدفع لك ذهبًا.

مدهوشًا نظر (عبد الرازق) إلى القطعة الذهبية ثم إلى الدكتور ثم إلى القطعة الذهبية مرة أخرى ثم جعل بصره على الدكتور وأخذ الصمت بينهما كفايته حتى قطعه (عبد الرازق) بصوت كخيط الحرير وهو يقطع اللحم:

- دكتور (أمجد).. لقد كنت شيئًا.. لكنك الآن لست هو..

واستدار كي يغادر ولكن الدكتور (أمجد) استدار حول المكتب راكضًا ووقف أمامه مادًّا كلتي ذراعيه كأنَّه يمنعه من الخروج وهو يقول:

- أرجوك أنْ تسامحني، لقد أخطأت.. أرجوك أن تسامحني.. أرجوك.. أرجوك..

حدق إليه (عبد الرازق) بعيون لا ترى، وساد الصمت برهة وكل منهما ينظر للآخر، ولم يدل شيء على تغير حال (عبد الرازق) أو حتى قبول اعتذار الدكتور ولكنه قال:

- لا عليك يا دكتور، لا عليك..

عاد الدكتور (أمجد) سيرته الأولى وتوسّل مرة أخرى:

- انظر، إن كنت تخشى على البلدة من الأمراض والتلوث، فأنا أعدك أن أجعل تجاربي في مكان بعيد آمن وبيئة معقمة.

وعيناه لا تريان أزاح (عبد الرازق) ذراعي الدكتور بيده وغادر دون كلمة واحدة..

تاركاً الدكتور (أمجد).. وحيداً.. يائساً.. قانطاً..

*** * ***

وقف (جاسر) بالقرب من النافذة يستمع إلى حديث الدكتور (أمجد) و(عبد الرازق)، حتى بلغ سمعه كلمة (ذهب)، فحاول أن يسترق النظر ثم أحجم حتى لا يشعرا به، وانتظر حتى فرغا وغادر (عبد الرازق)، ليدخل هو مكتب الدكتور، ويجده واقفًا أمام مكتبه ينظر إلى الفراغ والقنوط على وجهه ويده تقلّب قطعة الذهب.

- لقد رفض، أليس كذلك؟

انتبه الدكتور (أمجد) إلى صوت مساعده وخرج من سرحانه وقال:

- نعم، لقد رفض الأمر تمامًا.

بحكمة جاءت من دهاليز جشعه، قال(جاسر):

- مشكلتك يا دكتور (أمجد) أنك تظن الأمور الجيدة تحتاج طرقًا سليمة، وهذا غير صحيح.

لم يتكلم الدكتور (أمجد) ولم يبدل هيئته ولكن عينيه أخبرتا (جاسر) أن يستمر، فتابع بالقول:

- أنت تملك ذهبًا، والذهب يفتح جميع الأبواب، وإن رفض السَّيِّد (عبد الرازق) أن يساعدك، فهذا لا يعني أن كل من يعمل معه سيرفض.

- ماذا تقصد؟

خرج السؤال من بين شفتي الدكتور (أمجد) كالرصاصة وقد تبدلت هيئته وبرق الأمل في عينيه، وأسرع (جاسر) يروي هذا الأمل بقوله:

- الذهب يا دكتور (أمجد)، بالذهب نستطيع أن نقنع بعض مساعدي السَّيِّد (عبد الرازق) كي يساعدونا، والذهب أفضل من الوسائل العينية الأخرى.

- ولكن كيف يا (جاسر)؟ لا ريب أن السَّيِّد (عبد الرازق) يثق فيهم، لا تنس أنَّه أمين البلدة.

- صحيح، ولكن لي منهم واحد أو اثنان أصدقاء، ولن يبخلوا علي بخدمة صغيرة، و..

فوجئ (جاسر) بالدكتور (أمجد) يلقي إليه بقطعة الذهب، وهو يقول:

- خذ، وحاول أنْ تحثّهم على إنجاز الأمر في أقرب فرصة.

التقطها (جاسر) بكلتي يديه ووضعها بسرعة في جيبه، وقال وهو يستدير مغادرًا:

- فورًا يا دكتور، فورًا.

ناداه الدكتور باسمه والتفت إليه (جاسر) وهو يخشى أنَّ ضمير الدكتور قد صحى وأنّبه، ولكن يبدو أنَّ ضمير الدكتور لا يزال غافيًا، لأنَّ الدكتور قال:

- ولك أنت قطعة أخرى، المهم الإنجاز في أقرب وقت.

أمسك (جاسر) السعادة الشديدة من أن تبدو على وجهه واكتفى ببسمة صغيرة وكلمة شكر، واستدعى أكثر تجاربه بؤسا في حياته لتكبّل قدميه عن الرقص طربًا..

إن الطريق لمغادرة هذه البلدة بات قريبًا.. قريبًا جدًّا..

2- طرق مسدودة

كان المشهد من وراء (بهاء) و(كنان) مخيفًا، لم يكن هناك عشرة من الهمج، بل عشرات منهم يملؤون الوادي، وهم يسيرون خلفهما متناثرين وبخطى وئيدة.

- يا ملك السموات والأرض.

هتف بها (كنان) وعلى أثرها التفت (بهاء) ليرى المشهد نفسه، وكأنهم كتلة واحدة توقف الهمج جميعًا مع التفاتهما.

- يجب أنْ نُسرع يا (كنان)، يجب أن نبلغ الجبل ونصعده بسرعة.

بثّ فيهما المشهد رهبة جعلتهما يستديرا مسرعين وأخذا يجدان السير، كانا يرغبان في الركض ولكنهما لا يعلمان عاقبته، ربما يستفز الهمج ويحدث ما لا تُحمد عقباه.. ومن خلفهم علا وطء أقدام الهمج وقد أسرعوا بدورهم..

- ابن آوي، ابن آوي.

- ما شأنك وابن آوي يا (بهاء) ؟ أنت لا تكف عن ذكره وترديده.

- لقد أخبرتك، لقد تغير غذاؤهم وأخشى أن هذه البداية.

- بداية؟ بداية ماذا؟

كان الجبل القائم بصخوره الضخمة العالية وجلاميده العمودية تطل عليهم كأنها عماليق من زمن غابر تفصلها عن (بهاء) ورفيقه أمتار قليلة.

أمتار قُطعت في ثوانٍ، وأنشب (بهاء) أصابعه في الصخر وشرع يتسلق بهمة وهو يكمل حديثه:

- أخشى يا (كنان) أنهم يتبعوننا لأمر غير ما ظننته سابقًا.

ناظر (كنان) رفيقه في التسلق، ومنزعجًا سأل:

- إنك تحدثني بالألغاز، ما الذي ظننته سابقًا؟ هل تعني أنهم يتجهون إلى أكل اللحوم؟

- هذا جزء من الحكاية، كنت أظنهم يبحثون في المكان عن طعام، والآن يتبعوننا لنقودهم إليه، ولكن أشعر الآن..

لم يكمل وواصل التسلق بهمة أكبر، جعلت (كنان) يلهث وهو يجاريه ويستحثه على الكلام:

- ولكن تشعر الآن؟ تشعر بماذا؟

- أخشى إننا نحن الطعام.

لهُنَيْهة توقف (كنان) عن التسلق ونظر إلى (بهاء) ثم أنزل بصره ليرى ذلك المشهد المخيف.

مئات من الهمج يملؤون الوادي، ويتجهون إلى الجبل القائم في مشهد بدا من أعلى كأن آلاف العناكب تنقض على الجبل، وقد شرع الكثير منهم في تسلق الجبل القائم، بل أن بعضهم على بعد بضعة أمتار أسفلهم.

المشهد دفع (كنان) ليعاود التسلق بهمة أكبر حتى أنَّه سبق (بهاء).

- ولكن لماذا؟ ماذا حدث؟

كان (بهاء) يحاول مجاراة (كنان) ورغم تركيزه على ما يفعله أجاب السؤال:

- الشتاء.. الشتاء كان قصيرًا، والأمطار قليلة، وهم يتكاثرون بأعداد هائلة وكل عام تتضاعف أعدادهم و..

و.. دوى صوت سقوط صخرة ثم صوت عواء عالٍ، نظر (كنان) أسفله ليجد وجه همجي يشخب دمًا وهو ينظر إليه بحقد وغضب، ثم ينوح ويشرع في التسلق مسرعًا إلى (كنان).

علا صوت العواء ومعه أمسكت يد عظمية كالفولاذ بساق (بهاء) وتمنعها من الارتفاع، فنظر أسفله ليجد همجي آخر قد أمسك به ليمنعه من الصعود، حاول أن يفلت ساقه من يد الهمجي التي تمسك بها بقوة ويده الأخرى تمسك بالصخر..

شرع (بهاء) يضرب الصخر بساقه وقد جعل كف الهمجي وسادة تقيه الصخر ولكن الهمجي أفلت يده الأخرى الممسكة بالصخر ليمسك ساق (بهاء) بكلتي يديه و.. ويتسلق..

(كنان) بدوره يتسلق بسرعة صاعدًا و.. ويد أشبه بكلّابة من حديد أمسكت بقدمه وحالت بينه وبين الصعود.. وكما فعل (بهاء)، حاول أن يضرب اليد بالصخر، وفجأة تذكر سلاحه، وأنشب يسراه بقوة كي لا يسقط وبيمناه تناول سلاحه من جرابه وبسرعة أطلق رصاصة نحو رأس الهمجي ليسقط من فوره..

دوت الرصاصة عالياً ورددت الجبال صداها، وفزع الهمج، وتجمّدوا في أماكنهم وقد توقفوا عن التسلق وهم ينظرون إلى أعلى، حتى (بهاء) أوشك على السقوط من دويّها، ولكنها أرخت يدي الهمجي عن ساقه، وبكل قوة أطاح بساقه ومعها الهمجي نحو جلمود صخر قريب، ليصطدم الهمجي به بقوة ويسقط وهو يعوي..

سقوط الهمجيين رمية من غير رام، فمع سقوطهما أخذا يجرفان ما في طريقهما من الهمج، ليتداركوا جميعاً أسفل الوادي..

- لا تضع الفرصة.

صاح بها (بهاء) وهو يتسلق مسرعاً و(كنان) يجاريه.. من صخرة إلى صخرة ومن جدار صخر إلى أخر، حتى انتهى بهم الأمر إلى صخرة منبسطة وحوائط ليس بها موضع ليد كي تتسلقها..

- والآن! ماذا؟

سأل (كنان) وهو يميل نحو حافة الصخرة ليرى الوادي، وما رآه أعاد الفزع إليه..

جموع الهمج تواصل التسلق إليهم بهمة ونشاط ولم يوقفهم سقوط الكثير منهم في الوادي..

استدار إلى (بهاء) ليجده قد وضع ظهره على حائط وقدميه على مقابله ويتسلق بسرعة وهو ينادي (كنان)..

سار (كنان) على خطاه.. عملية شاقة استغرقت نصف ساعة، أوشكا فيها على السقوط أكثر من مرة، حتى بلغا صخرة صغيرة منبسطة.. جلسا عليها وهما يلهثان بقوة..

- هل.. هل تظنهم.. سيتبعوننا.. إلى هنا؟

سأل (كنان) ونظر (بهاء) إلى أسفل ليجد الهمج على صخرتهم السابقة وقد علا صياحهم الشبيه بعواء الجراء، وبعضهم يتقافز على الحوائط الصخرية يحاول تسلقها وقال:

- لا، لا أظنهم.. لا يستطيعون.

- الحمد لله، لا أظن أنني أملك القوة لمزيد من التسلق.

- يجب أنْ نصعد.. هذه الصخرة صغيرة ونحتاج مكان أوسع لأجلنا وأعلى لأجل جهاز الاتِّصال حتى نستدعي النجدة.

نهض (كنان) قائلا:

- إذن هيا، أخشى أنَّ الراحة ستذهب بما بقى من عزيمتنا.

مشيئة الله جعلت الصخرة المنبسطة التالية قريبة والتسلق إليها سهلًا..

وقفا على الصخرة ينظران إلى ما حولهما، المشهد من الصخرة رائع والشمس التي قاربت الظهيرة تكشف الوجود كله فتبدو الجبال الشامخات خياماً وازدحمت على صفحة السماء الصافية، وسحب بيضاء قليلة وضعت زينةً، والهمج أسفل الوادي في حجم النمل، تدركهم ولا تميزهم و..

- والآن..

قالها (كنان) ورد عليه (بهاء) وهو يمد يده إلى حزامه ليتناول جهاز الاتِّصال:

- الآن طلب المساعدة والنجدة.

ولكن يده ارتطمت بالحزام دون جهاز الاتِّصال.. نظر (بهاء) إلى حزامه.. لم يكن هناك جهاز اتِّصال.. لقد سقط أثناء تسلقهم الجبل.. ومعه سقط أملهم في طلب النجدة.. وهذا يعني أنَّهم بين خيارين أحلاهما مر.. الهمج.. أو البقاء والموت على قمة الجبل..

*   *   *

بالقرب من مطار البلدة الصغير، وفي غرفة نقل البضائع التي تكدست فيها صناديق وأكياس تنتظر نقلها، جلس الثلاثة وقد اتخذ كل منهم غرضًا منها ليصير مقعدا له.

هزّ (عمران) رأسه بقوة رفضًا لما يقوله (جاسر) وقال:
- لا يمكننا فعل هذا، من أين سنأتي بهمجي؟ أنَّهم يعيشون خارج الحواضر، في أطلال العالم القديم وحولها، وتلك أماكن خطيرة لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، ثم كيف نصطاده؟ سيهاجمك الآخرون إن حاولت إيذاء أحدهم، وبعد ذلك كيف تعلم إن كان خاليًا من الأمراض والتلوث أم لا؟

نظر (جاسر) إلى (مصطفى) كأنَّه يدعوه للمشاركة في الحديث وعقّب على كلام (عمران):
- الرجل سيدفع نظير عملنا ذهبًا؟ أتحسب أنه سيدفع ذهبًا لو كان الأمر سهلًا؟
أصرّ (عمران) على الرفض بهز رأسه، أما (مصطفى) فسأل:
- أيريده حيًا أم ميتًا؟
مسرعا أجاب (جاسر):
- يريده حيًا وسليمًا.

جاء دور (مصطفى) ليهز رأسه، ولكنها هزة أسف جعلت (جاسر) يستشيط غضبًا ويهتف بهم:

- ما بكما؟ أجيء لكما بعمل مقابله ذهب وأنتم ترفضون!

هتف به (عمران) قائلاً:

- لأن هذا الذهب قد يكون مقابله أرواحنا، وربما بلدتنا بأكملها.

مصطفى:

- إن جئنا به فأين سيضعه؟ وماذا سيفعل به؟

أدرك (جاسر) أنَّ (مصطفى) ربما يكون حليفه، فأجاب بسرعة:

- سيضعه في مكان آمن، بحيث لا يؤذي أحدًا، أما ماذا سيفعل به! فهذا شأنه.

مصطفى:

- لا نريد أن نجلب الموت والخراب لبلدتنا، لا تنس إننا نعمل مع أمين البلدة.

سأله (عمران) والغضب يسري في وجهه:

- يبدو أنك تفكر في قبول هذا الأمر.

صاح (جاسر) فيه:

- ولم لا؟ بثمن هذه المهمة نستطيع فعل أشياء كثيرة، نستطيع مغادرة هذه البلدة إلى (عيون الجنة) أو (وادي السعادة) أو أي بلدة من البلدات الغنية، ونبدأ حياة جديدة، حيث تتوفر الكهرباء طوال الوقت ونسكن في بيوت من خشب وحجر بدلا من بيوت الصفيح والطين هذه، ونجد لأنفسنا أعمالًا أفضل بعائدات أكبر.

لا يبدو أنَّ كلماته قد حركت فيهما ساكنًا، لذا حاول أن يطرق منحىً آخر، فقال:

- أتعلمان من يريد الهمجي؟

نظرا إليه ولم يتكلما وانتظرا منه أن يخبرهما، فمال نحوهما وقال أقرب للهمس:

- الدكتور (أمجد).

- مستحيل.

انطلقت الكلمة من بين شفتي (عمران) كالرصاصة مستنكرة ورافضة، أما (مصطفى) فانكرت ملامحه دون أن يتكلم.

ورغم ذلك واصل (جاسر) حديثه:

- يقول أنَّ الهمج هم نتاج استخدام الأسلحة الجرثوميّة في الحرب العالمية الأخيرة، وأنه قادر على إيجاد طريقة لإعادتهم لطبيعتهم البشرية، ولكنه يحتاج عينات حيّة يعمل عليها.

وزاد (جاسر) خبثًا وهو يواصل:

- الحقيقة أنَّ أمين البلدة السَّيِّد (عبد الرازق) قد استمع إلى الدكتور (أمجد) وعرف مطلبه، نعم هو لم يقبل ولكنه يفكر في الأمر، ولكن الدكتور (أمجد) يرغب في هذا الأمر بسرعة ليباشر العمل فورًا، ولا يستطيع الانتظار حتى يفرغ السَّيِّد (عبد الرازق) من التفكير.

مصطفى:

- السَّيِّد (عبد الرازق) يعلم؟!

جاسر:

- نعم، يعلم، ولكن لماذا ننتظر انتهاء السَّيِّد (عبد الرازق) من التفكير؟!، لنتركه يفكر كما يشاء ونأخذ نحن هذه الفرصة، والدكتور (أمجد) شخص نعرفه ونثق فيه، ونعلم أنه لا يضمر شراً لنا ولا لبلدتنا، بل يريد الخير لنا جميعًا.

مصطفى:

- حيث أنَّ السيـ..

قاطعه (عمران) وهو ينهض قائلًا:

- إن كان السَّيِّد (عبد الرازق) يعلم فقد قُضي الأمر، وأصبح بين يديه، ولا شأن لنا به.

ودون أن يزيد على ذلك اتّجه إلى الباب ليُنهي هذا الأمر بالفعل لا بالكلم. تبعه (مصطفى) بنظره حتى توارى وراء الباب، ثم نهض وجذب الصفيحة التي يجلس عليها ووضعها قريبة من (جاسر)، وعاود الجلوس عليها، و(جاسر) ينظر إليه منتظرًا تعقيبه.

مال (مصطفى) بجذعه إلى (جاسر) وقال:

- هل سيدفع الدكتور (أمجد) قطعة ذهب مقابل كل همجي نحضره؟ أم مقابل العملية بأكملها؟

* * *

3- الحصار

- والآن، ماذا سنفعل؟

قالها (كنان) وهو ينظر للهمج أسفل الجبل، ولم يكن سؤاله إلا تزجيةً للوقت، فهو يعلم إنَّهما سينتظران ذهاب الهمج ثم يحاولان الهبوط والذهاب إلى سيارتها ومن ثمّ العودة لبلدتهما، و(بهاء) بدوره كان يعلم هذا، ويعلم أنّ السؤال لقتل الوقت، فوضع الأفكار في كلمات نطقها ردًا على السؤال.

- بهاء..

- أمممم..

- هل تعلم أنَّ هذه الصخرة ستصبح بعد قليل أشبه بالمقلاة على النار؟

- أنت متفائل جدًّا، هل تعلم أنه بعد قليل ستغلى أمخاخنا داخل رؤوسنا؟

- رائع، هذا يعني الموت سريعًا، أفضل من الموت شيًّا.

- لا أظن ذلك، ستغلي أدمغتنا ببطء أكبر من شيّ جلودنا، لذلك سنستمتع بتجربة كليهما.

- هل تظنهم يحبونه مشويًّا أم نيئًا؟

- من تعني؟

- أعني الهمج، هل يحبون اللحم مشويًّا أم نيئًا؟

- أنَّهم حديثو العهد به، أظنهم سيجربون طرقًا عدة، قبل اختيار الطريقة المثلى.

قاطع تأملاتهم الفكرية صوت هدير ضعيف يأتي من خلفهم، تركا مشاهدة الهمج ونظرا إلى الوراء.

كان الصوت يصدر من منطاد يحلّق في الأفق البعيد، رفع (بهاء) كفّه ليجعله مظلّة لعينيه ليرى أفضل وقال:

- من أين جاء هذا؟

فعل (كنان) مثله وردّ بسؤال:

- وهل هو عدوٌّ أم صديقٌ؟

كان المُنطاد يكبر شيئًا فشيئًا مما دلّهما أنه يأتي في اتّجاههم، حسنًا هو يأتي في اتّجاههم ولكن بعيدًا عنهما..

تقدم المُنطاد أكثر فأكثر وصوت محركاته يعلو حتى صار ضجيجًا عاليًا، وعلى جانبه شعار التوحيد، قبضة مضمومة ترفع سبابتها نحو السماء.

- إنَّه منطادنا.. إنَّه منطادنا..

صاح بها (كنان) وأخذ ينادي بعلو صوته وهو يضم كفيه حول فمه، وهيهات أن يصل صوته، المسافة الكبيرة بينه وبين المُنطاد وضجيج المحركات، جعل صوت (كنان) أشبه بالهمس، (بهاء) بدوره خلع قميصه وأخذ يلوح به في محاولة للفت انتباه من في المُنطاد، ولكن المُنطاد واصل طريقه نحو طرف الوادي البعيد..

- نحن هنا.. نحن هنا..

صاح بها (كنان) وهو يرى المُنطاد يبتعد، وقال في غيظ:

- إلى أين يذهبون؟ نحن هنا أيها الحمقى.

واصل (بهاء) النظر إلى المُنطاد وقال:

- أنّهم لا يبحثون عنّا.

التفت إليه (كنان) متسائلًا:

- لا يبحثون عنّا! عمّ يبحثون إذن؟

- لم يأتوا من البلدة، لقد جاءوا من مكان بعيد خارج البلدة، لا أظنّهم يبحثون عنّا.

انتبه (كنان) لهذا الأمر وهو يسترجع مسار المُنطاد منذ ظهوره، وعاد ببصره إلى المُنطاد وهو يصل إلى طرف الوادي البعيد ثم يستدير متخذًا طريقًا على طول الوادي.

هتف (كنان) والأمل يحدوه:

- لقد عاد،عسى أن يرانا هذه المرّة.

بهاء والأمل في صوته:

- إن بقي على هذا المسار فحتمًا سيرانا.

كان المُنطاد يقترب منهم رويدًا رويدًا، حتى صارا قادرين على رؤية الملَّاح، والملَّاح بدوره رآهما ورفع يده يلوح بها إليهما، اقترب المُنطاد حتى أوشك قاربه أن يلامس الصخرة التي يقفان عليها، والملَّاح يبتسم ابتسامة واسعة ويتحدث إليهم بحديث حجبته أصوات محركات المنطاد، وأخذ الملَّاح يبذل جهده حتى جعل حافة قارب المُنطاد قريبة من الصخرة، و(بهاء) و(كنان) يراقبان ما يفعله بنفاد صبر.

حاول أن يندفع (كنان) نحو القارب ولكن يد (بهاء) منعته، في حين يشير الملَّاح إليهما بالصعود، ورسم (بهاء) إشارة فهمها الملَّاح وذهبت بانزعاج (كنان) لمنعه من ركوب المُنطاد، الإشارة تعني أنَّهما ملوثان،

إشارة تجاوب معها الملَّاح كما لو أنَّ (بهاء) أخبره أنهما فازا بجائزة ما، فقد ابتسم ورفع إبهاميه معاً بعلامة الاستحسان، ثم ذهب إلى مؤخرة القارب وعاد بإسطوانة أشبه بمطفأة الحريق، وفتح بابًا في جانب القارب القريب منهما، وأخذ يتحدث بكلام لا يسمعه هو نفسه، ثم أدرك أنَّ لا أحد يسمعه فأخذ يشير لهما ويمثّل بجسده.

وقفا مفرودي الذراعين ومنفرجي الساقين كما أراد الملَّاح حتى يرشّهما بالمادة المعقّمة.

بعد أن فرغ والانتظار لنصف دقيقة أشار الملاّح لهما بالركوب، و.. ونظرة فزع من عينيه إلى ما خلفهما، جعلتهما يلتفتان للخلف ليجدا عددًا من الهمج يتسلقون الصخرة و.. ويندفعون نحوهم.. بغضب ووحشية.. وجوع..

*** * ***

شبّك السَّيِّد (جمال) أصابع قبضتيه وهو يفكّر، وأمامه يجلس قائد حرس البلدة في مكتب الأول، المكتب غرفة من الحجر، ونافذة من الصفيح وأثاثه مكتب خشبي قديم خلفه مقعد جلس عليه السَّيِّد (جمال) وأمامه مقعدين جلس على أحدهما رئيس حرس البلدة، وفي الجانب رفوف عليها أجهزة اتِّصالات وبنادق وبضعة كتب، وأمام المكتب عريش بمثابة قاعة لاجتماع أهل البلدة لمداولة أمورهم.

- ماذا جاء بهم إلينا؟

قالها السَّيِّد (جمال) وهو يرفع بصره من مكتبه إلى رئيس الحرس الذي أجاب بما بلغ علمه:

- لا نعلم، ولكنَّهم في كل مكان حولنا.

مستغربًا ومتعجّبًا قال السَّيِّد (جمال):

- في كل مكان حولنا! ماذا تعني بـ "في كل مكان حولنا"؟

كأنَّه ينظر إلى خريطة معلّقة في فراغ الغرفة قال رئيس الحرس:

- أعني من جميع الجهات وخاصّةً من أطلال المدينة القديمة إلى الجبال الّتي تحيط بلدتنا من الغرب، تلك المنطقة تمتلئ بهم، الجهة الشرقيّة يوجد فيها القليل منهم، الشّمال والجنوب يوجد فيهما أعدادٌ كبيرةٌ ولكن ليس كالجهة الغربيّة.

فكّ السَّيِّد (جمال) أصابعه وأخذ يفرك وجهه بكلتي يديه وسأل:

- أتظنهم سيدخلون البلدة؟

فكّر رئيس الحرس وتفكّر ثم قال وهو يفكّر:

- لقد عرفناهم منذ سنين طويلة، ولا أظنّهم قادرين على تجاوز الجبال، الخطر يأتي من البوابة.

السَّيِّد (جمال):

- البوابة؟ أليست مؤمّنةٌ جيدًا؟

رئيس الحرس:

- بلى، مؤمّنة ومخفيَّة عن الأعداء من البشر وليس عن الهمج، إنّهم كالجراد ولن تمنعهم من عبورها.

خرج استفهام من السَّيِّد (جمال) هو للرجاء أقرب:

- حتى لو أوصلنا لها التيّار الكهربائي؟

مع قرقعة أصابعه بسطح المكتب أجاب رئيس الحرس:

- التيّار الكهربائي موصّل إلى البوابة، ولكن نحتاج عشرة أضعافه لمنعهم من اختراقها.

لا يعلم السَّيِّد (جمال) ماذا يقول، العجز يجثم على صدره ويحجب عنه سلامة التفكير ووجد نفسه يسأل:

- هل من أخبار عن (بهاء) و((كنان)؟

هنا يملك رئيس الحرس ما يبشر به، قال:

- بلى، عثر عليهما الطيّار وهو في طريقه إليهم.

زفرة ارتياح من السَّيِّد (جمال) وبأمل قال:

- لعل (بهاء) يملك حلًا؟

قتل رئيس الحرس هذا الأمل بقوله:

- وماذا يملك (بهاء) ولا نملكه؟

اغتاظ السَّيِّد (جمال) منه فقال بحدة:

- يملك أبًا علّمه الكثير، أبوه من أسّس هذه البلدة واهتمّ بها، ولعلّ أباه أخبره أو علّمه شيئًا قد يفيدنا في هذه الكارثة الّتي نواجهها.

ظهر الشّك في وجه رئيس الحرس ولم يعلّق على هذا الأمر بل قال:

- أتمنّى هذا.

ارتاح السَّيِّد (جمال) لرده ووافقه:

- وأنا أيضًا.

ساد الصمت بينهما حتى قطعه السَّيِّد (جمال) بسؤاله:

- أتظنّه يملك حلًا؟

رغم الظروف الصعبة التي تمرّ بها البلدة، فإن رئيس الحرس لم يستطع مقاومة ابتسامة أرغمه عليها سؤال السَّيِّد (جمال)، تجاوز الأمر كلّه وقال:

- يجب علينا الاستعداد لأسوأ الاحتمالات، لهذا أنصح بأن تعلن الطوارئ، وأن يتمّ تسليح كلّ من هو قادر على حمل السلاح، وإرساله إلى أبْراج الحراسة.

أطلق السَّيِّد (جمال) زفرة من أعماق صدره وقال:

- وهل نملك ما يكفي من السلاح لأجل الجميع؟

رئيس الحرس:

- سنستخدم كلّ ما يصلح سلاحًا، حتى العصيّ والحجارة، لن نسمح لهم بدخول البلدة إلا على جثثنا.

كرر السَّيِّد (جمال) كلمته الأخيرة:

- جثثنا!

رئيس الحرس:

- نعم جثثنا.. أنَّ دخولهم البلدة يعني هلاكنا، ولن يختلف هذا عن مقتلنا على أيديهم.

نهض السَّيِّد (جمال) من مقعده متجهًا إلى الرّفوف في جانب الغرفة وهو يقول:

- قم بإعداد السلاح وكل ما هو ضروري.

وأمسك بجهاز اتِّصال من على الرف وضغط زرًا فيه وقرّبه من فمه وشرع يتكلّم وصوته يصدح من مكبرات الصوت في أرجاء البلدة.

- إلى جميع ساكني بلدة (الأمل)، كل من هو قادر على القتال عليه التوجه إلى مبنى حرس البلدة.. إلى جميع ساكني ... ...

*　*　*

بسرعة بديهة أمسك (بهاء) بذراع (كنان)، وجذبه معه واندفعا معًا نحو باب قارب المُنطاد، ودفع ملَّاح المُنطاد المذعور أمامه وبسرعة جذب باب المُنطاد ليُغلقه بإحكام.

أفاق الملَّاح من ذعره مع صيحة (بهاء) وهو يحثه على الانطلاق، ليندفع نحو لوحة قيادة المُنطاد ويرتفع به و..

والهمج يندفعون نحو المُنطاد ويتعلقون به وبدلًا من أن يرتفع المُنطاد أخذ ينخفض والمزيد من الهمج يثبون عليه ويزداد انخفاضًا.

إنَّ فكرة المُنطاد هي محاولة من البشرية للعودة إلى عالمهم القديم، عالم ما قبل الحرب الطاحنة، حيث الطائرات والرحلات الجوية، ومع تدمير المصانع وخراب الأدوات فإن بناء طائرة هو أمر أقرب إلَى المُحال، ورغم أنَّ كثيرًا من الطائرات قد نجت من الحرب، إلا أنها تحتاج وقود خاص بالإضافة إلى مطارات لا يمكن توفرها في عالم ما بعد الحرب الطاحنة، لذلك كان المُنطاد بديلًا جيدًا، كلا أنه ليس مفهوم المُنطاد القديم، بل تم تطويره نحو الأفضل، الغاز في المُنطاد مهمته فقط هو خفض وزن حمولة

قاربه بحيث يرتفع عن الأرض بسهولة، ثم تقوم مراوح كبيرة مثبتة في جوانب القارب وخلفه، بالتحكم في ارتفاع المُنطاد وتوجيهه.

بالتأكيد لا يملك قوة ومميزات الطائرات القديمة ولكنه يؤدي الحاجة بطريقة مُرضية، ليس إلى درجة رفع حمولة عشرة من الهمج بالإضافة إلى ملّاح واثنين آخرين وخاصة أنَّ هذا مُنطاد حراسة صغير، لذلك أخذ المُنطاد ينخفض نحو الأرض، من رحمة الله بهم أنَّهم ينخفضون في الجهة الأخرى من الجبل بعيدًا عن الوادي الذي يمتلئ بالهمج.

- والآن ماذا سنفعل؟

صاح بها الملَّاح وهو يحاول الارتفاع بالمُنطاد دون جدوى، ثم تابع صياحه:

- لا استطيع الارتفاع دون التخلص منهم.

كان المُنطاد ينخفض ويميل نحو الجبل القائم بصخوره الضخمة الحادة بسبب ثقل الهمج في جانب واحد، ومحاولات الملّاح للتحكم فيه لا تُجدي نفعًا.

والمُنطاد يقترب من الجبل.. من الصخور الحادة.. من الموت..

4- البحث عن مخرج

أخرج (كنان) مسدسه هاتفًا:

- سأخرج لهم.

- لا، لا..

صاح فيه الملَّاح دون أنْ يترك قيادة المُنطاد وتابع:

- أي ثقل جهة الباب سيسرع بنا إلى صخور الجبل.

صاح (بهاء):

- هل الكُوَّة في سقف القارب مقفلة؟

الملَّاح:

- لا.

رفع (بهاء) رأسه ونظر إليها وقال لـ(كنان):

- أرفعني.

بحرفية وسهولة يُحسد عليها أحاط (كنان) ساقي (بهاء) ورفعه بسهولة كأنه يحمل طفلًا، دفع (بهاء) الكُوَّة وأمسك بحافتها وهو يهتف بـ(كنان) أن يتركه، ورفع جسده بقوة حتى صار خارج القارب، ممسكًا بالأسلاك التي تحيط بالقارب وتربط القارب بالمُنطاد، كانوا قرابة سبعة من الهمج يتشبَّثون بالقارب، وصوت محركات المُنطاد يطغى على صياحهم، وثقلهم يجذب المُنطاد أكثر فأكثر إلى الجبل بصخوره الحادة، أخرج (بهاء) مسدسه وأطلق النار على أقربهم إليه وهو يحاذر إصابة مراوح القارب، أصابت الرصاصة الهمجي ليسقط ومن ثم أطلق على الذي يليه ليتبع

الأوّل، هنا رفع الثالث رأسه لينظر إلى (بهاء) وصاح صيحة أدركها (بهاء) وحجبها ضجيج المحركات.

مع صيحة الهمجي ارتفعت رؤوس الهمج الآخرين إلَى (بهاء) وكأنّهم كِيان واحد أخذوا يتسلقون إلَى (بهاء).

أخذ (بهاء) يطلق الرصاص بغزارة وهو يحرص على تجنب القارب ومراوحه، و..

وسكت المسدس عن حديثه، وآخر الهمج يصعد إلى سطح القارب، و(بهاء) يواصل ضغط زناد مسدّسه الذي اختار الخرس عجزًا، هنا أمسك (بهاء) بأحد حبال المُنطاد بكلتي يديه وبقوة رفع قدميه معًا ليضرب الهمجي في صدره ويدفعه خارج سطح القارب.

كان المُنطاد قد استعاد توازنه وتوقف عن الانحراف إلَى الجبل مع سقوط الهمجي الثالث، ومع سقوط الأخير بدأ يرتفع شيئًا فشيئًا.

أغلق (بهاء) الكُوَّة ليسود هدوء رائع مع حجب صوت المحركات، وأفلت مقبضها ليهبط بجسده على أرضية القارب ...

- عمل رائع يا زميلي العزيز.

صاح بها الملاّح إلى (بهاء) و(كنان) يقف بجواره مبتسمًا، واقترب (بهاء) منهما وهو ينظر من زجاج القارب إلَى الجبال تحتهم..

- إلَى أين تذهب؟

سأل (كنان) الملَّاح وهو يراه يبتعد بهم عن البلدة، وأجابه الملَّاح:

- إلَى بلدتنا.

بهاء:

- بلدتنا خلفك.

الملَّاح:

- لا نستطيع الذهاب مباشرة.

كنان:

- ولم؟

الملَّاح:

- الهمج يحاصرون البلدة من جميع الجهات باستثناء الجهة الشرقية، لذل...

قاطعه (بهاء):

- يحاصرون البلدة؟

أشار الملَّاح بإبهامة إلَى وراء ظهره وهو يقول انظر بنفسك.

اندفع (بهاء) و(كنان) معًا إلَى مؤخرة القارب وأخذا ينظران للأرض، في البدايه لم يلحظا شيئًا ثم شاهدا نقاط كثيرة أشبه بالنمل تندفع وراء المُنطاد، كأنها تركض خلفه، مشهد جعل (كنان) يهتف:

- يا ملك السموات والأرض، من أين جاءوا؟

وكأنّها عدْوى، هتف (بهاء):

- ولماذا جاءوا؟

هتف (كنان):

- ألم تقل أن الجوع أتى بهم؟

محتدًا وهاتفًا أجاب (بهاء):

- بلى، قلت ذلك، كنت أظنّهم مجموعة أو قبيلة، ولكن هذا الأمر غريب، كيف يأتون جميعًا وبهذه الأعداد الضخمة إلَى هذه الجبال الوعرة والأراضي المُجْدَبة والأودية المُقْفرة، لا يوجد طعام ولا ماء.

صمت (كنان) هُنيهة وعاد فسأل:

- ماذا تظنّه يحدث؟

ليْت (بهاء) يعلم فيجيبه ولكن (بهاء) زاد القلق حضورًا والخوف وضوحًا وهو يجيب:

- لا أعلم، لكن هناك أمورًا غريبة تحدث، فجأة بدؤوا يتناولون اللحم وهم يأنفونه، فجأة بدؤوا يصعدون الجبال وهم يخشونها ويكرهون صعودها، فجأة أصبحوا عدوانيين ويهاجمون بضراوة وبلا خوف، أنهم..

وسكت (بهاء)، سكت و(كنان) ينتظر منه أن يُكمل، سكت ربما لأنه يعرف أن الخوف يعصف بعالمهم في كل حين، وكل حين يأتيهم بجديد، ويطرأ في عالمهم أمر مختلف، تحوّل ما في طبيعة الحياة، أربعونَ عامًا على انتهاء الحرب ولكن آثارها إلَى الآن تعصف بهم وتأتي إليهم بأهوال مروّعة..

لذلك أكمل حديثه بصوت للخفوت أقرب:

- كأنَّهم.. كأنَّهم يهاجرون أو يفرّون..

دهشاً قال (كنان):

- يفرون! من ماذا؟

صمت (بهاء) وذهنه يذهب إلى مكان يخشاه الجميع، مكان تسكنه الخُرافات والأساطير، ويعيش فيه الخوف والرعب، مكان يحيا فيه الخطر والغموض، مكان نطق به في رهبة:

- المدينة.. المدينة القديمة..

* * *

- أنَّهم يأكلون اللحم ويصعدون الجبال ويُهاجمون دون سبب.

قالها (كنان) بقوة ليقطع حديث السَّيِّد (جمال) الذي بُهت من قوله وهتف مدهوشًا:

- ماذا؟

كرر (كنان) قوله بحدة أكبر، ليحطم خطط السَّيِّد (جمال) والحضور في العريش عن تأمين البوابة وأبراج الحراسة، لقد أصبح الخطر يأتي من محيط البلدة كلها، وليس من البوابة والثغرات الصغيرة بين الجبال.

صمت الجميع ولم يعد يُسمع سوى جَلَبَة الناس وهي تُسرع إلَى مبنى الحراسة الرئيسي..

- إذن علينا الرحيل.

صاح بها رجل سمين يبدو أنه تاجر، ووافقه البعض وكثُر اللغَط حتى علا صوت (بهاء) وهو يهتف:

- اسمعوا.. اسمعوني جميعًا..

ضاع صوته على ارتفاعه بينهم، حتى أسكتهم طرق السَّيِّد (جمال) بقبضته بقوة على منضدة بجواره، وحين خفتت أصواتهم قال بصرامة:

- لنسمع ما يقوله السَّيِّد(بهاء).

أرسل (بهاء) إليه نظرة شكر وتقدير ثم التفت للجمع وقال بقوة:

- الرحيل! الرحيل إِلَى أين؟ وكيف؟ وبأي وسيلة؟ كل ما نملكه أربعة مناطيد وطائرتين، ولن يكفوا لنقل خمسة آلاف شخص هم سكان بلدتنا، وكيف نترك بيوتنا ومزارعنا ومصانعنا وما انجزناه في سنين طويلة، وأين سنذهب؟ لن تستقبلنا أي بلدة، جميع البلدات مواردها محدودة وتسعى للحفاظ عليها ولن تستطيع استقبال أي زيادة مفاجئة، فما بالكم بخمسة آلاف شخص، وجميعها تخشى الأمراض والتلوث والدخول إليها والخروج منها يتم ضمن ضوابط محكمة وإجْراءا...

قاطعه السمين الذي يبدو أنَّه تاجر وهو يقف قائلًا:

- لنتفرّق ولتذهب كل عائلة أو عدة عائلات إِلَى بلدة مختلفة، وبخصوص الوسيـ...

- لن نترك بلدتنا، يجب علينا البقاء والقتال.

كانت هذه من رئيس الحرس، ليقطع بها حديث السمين الذي يبدو أنه تاجر، وأكمل بقوة:

- نقطة ضعف البلدة هي البوابة والثغرات الصغيرة بين الجبال، لو توفر مصدر للكهرباء نستطيع تأمين الوابـ...

جاء دور السمين الذي يبدو أنه تاجر، ليقاطع رئيس الحرس بقوله:

- لو لدينا مصدر للكهرباء ولكن ليس لدينا و...

هنا جاء دور (كنان) ليقاطعه بحدة تبلغ الصياح:

- بل لدينا..

وأجاب العيون التي تنظر إليه متسائلة والأخرى المُستغربة بأن أكمل:

- سنقطع الكهرباء عن كل ما ليس ضروريًا في البلدة، ونقوم بتحويل الكهرباء إلَى البوابة ونسد بها الثغرات بين الجبال.

سكت الجميع باستثناء السَّيِّد (جمال) الذي نظر لرئيس الحرس متسائلًا وقال:

- هل ينفع هذا؟

التفكير العميق كان جليًا في وجه رئيس الحرس وقال وهو يمحّص الأمر:

- في النهار حتماً ستكفي ولكن في الليل.. لا..

سأله أحد الحضور بحدة يكويها الإحباط:

- ولم؟

كان سؤاله على ألسنة أكثر الحضور ولكن الإجابة جاءت على لسان (بهاء):

- لأن معظم الكهرباء تأتي من ألواح الطاقة الشمسية وهي لا تعمل ليلًا، كما أنَّ أكثر هذه الألواح تعمل بنصف قدرتها أو أقل.

هنا صاح السمين الذي يبدو أنه تاجر:

- إذن لا بديل عن الرحيل.

هتف به رئيس الحرس:

- لن نرحل، هذا الحل يبدو مناسبًا وسيساعدنا على الصمود لفترة، ولكن علينا أن نجد مصادر أخرى للطاقة.

عاد السمين يصيح:

- من أين؟ أنَّ مصادر الطاقة والكهرباء قليلة جدًّا وغالية الثمن جدًّا.

- نحن سنأتي بها.

هذه خرجت من (بهاء) وألجمت الجميع وهم ينظرون إليه، وبعد صمت قد قصُر قال السَّيِّد(جمال):

- من أين؟

أجابه (بهاء) بسرعة:

- من السوق العظيم.

ببهجة.. بسرور.. بابتسامة على الوجه.. كأنه وجد كنزًا، قال السمين الذي يبدو أنه تاجر:

- هذه الأشياء لا تُباع في الأسواق.

نهض السَّيِّد (عبد الرازق) ليلحق من سبقوه في الوقوف والكلام؛ قال:

- حقاً إنها لا تُباع في الأسواق، ولكن نستطيع الحصول عليها من أماكن أخرى.

أصرّ السمين الذي يبدو أنه تاجر على موقفه:

- من أين؟ إنَّ من يملك هذه الأشياء يحتفظ بها لنفسه، إنها أندر من لبن العصفور وأغلى من الذهب.

عبد الرازق:

- نحن أعلم بهذا.

ثم أفرغ غضبه على السمين بدهاء وهو يستمر في الحديث:

- ولكن كما قلت أنت "هذه الأشياء ثمينة وأغلى من الذهب" لذا نحتاج مساعدة وعون تُجَّار بلدتنا على شراء هذه الأشياء.

لقد صدق ظني، أنه تاجر.. لقد اضطرب وجهه ومعه اضطربت وجوه كثيرة، وزاغت أبصارهم كأنّهم يُدعون إلَى الموت، يقولون "الشدائد تُظهر الرجال" وأقول أنَّ "الأزمات تُظهر حقيقة التُجَّار".

نهض (كنان) بعد صمت طويل ليقول:

- سأذهب معكم.

رفض رئيس الحرس بيده وقوله:

- لا، لن تذهب، نحتاج إليك هنا، وإلى كل من يملك خبرة في القتال، يكفي أنْ يذهب السَّيِّد (عبد الرازق) ومعه (بهاء).

تكلّم السَّيِّد (جمال) -ربما ليذكرهم بوجوده- وقال:

- يجب أن تبذلا كل جهدكما وأن تعودا بسرعة، متى ستذهبان؟

قال السَّيِّد (عبد الرازق) وهو ينظر لوجوه بعض الحضور بتشفٍ:

- في الحال بعد أن نجمع المال الكافي.

*** * ***

كانت الشمس تُسرع منْهكة نحو مخْدعها بعد نهار الصيف الطويل، وقد ذهب عنها لهيبها وأحمرّ وجهها من عناء يومها، وهي تَجرُّ خلْفها ثوبها المُسدل على رؤوس الجبال بألوانه الزاهية.

تأمل (بهاء) الطبيعة وهي تركض أمامه نحوه من نافذة قارب المُنطاد وسأل السَّيِّد (عبد الرازق) الجالس إلَى جواره:

- هل تظن أن ما جمعناه يكفي؟

هز رأسه وقال:

- دعك مما جمعناه، فهو لن يشتر لنا شيئًا، هذه الأشياء لا تُشترى بالمال.

نظر له (بهاء) مدهوشًا متسائلًا:

- لن يشتر شيئًا! ولم جمعناه؟ بل كيف سنحصل على مولدات الطاقة؟

السَّيِّد (عبد الرازق):

- جمعته انتقامًا من هؤلاء التُجَّار الجُبناء، هل تعلم كم يكسب هؤلاء؟ أنا المسؤول عن جميع عمليات التصدير والتوريد إلَى البلدة، وأنا من أنقل أموالهم، وأعرف تجارتهم وأرباحهم، وأعلم مقدار جشعهم وحبهم للمال، الجبناء لا يفكرون إلا في أنفسهم وأموالهم، وكيفية الفرار بها.

محتداً سأله (بهاء):

- ولكن كيف سنحصل على مولدات الطاقة؟

هادئا واثقاً غامضًا قال السَّيِّد (عبد الرازق):

- دع هذا الأمر لي.

نظر إليه (بهاء) وتأمّل وسكت وعاد ينظر إلَى المشهد الراكض أمامه، وأستغل (عُمر) الذي يقود المُنطاد صمتهم ليسأل دون أن يدير وجهه:

- هل يخبرني أحدكما إلَى أين نذهب في هذا الوقت؟

عبد الرازق:

- إلَى وادي (الحُطام) ومن ثم إلَى بلدة (السلامة).

ما أن نطق كلمته الأخيرة حتى التفت إليه (بهاء) و(عُمر) معاً وزاد عمر بالهتاف:

- بلدة (السلامة)!

ودون أن يغيّر (عبد الرازق) من جلسته أكّد:

- نعم، بلدة (السلامة).

قال (بهاء) متوترًا:

- إنهم لا يرحبون بأحد في بلدتهم.

وافقه (عبد الرازق) برأسه وخالفه بقوله:

- لكن سيرحبون بنا، ونحن سنذهب إليهم في الصباح، أما الليلة فسنقضيها في وادي (الحُطام).

بهاء:

- ولكننا في عجلة من أمرنا.

عبد الرازق:

- لن نستطيع دخول البلدة ليلًا، ورُبَّما نجد حاجتنا في وادي (الحُطام) دون الحاجة إلَى الذهاب إليهم.

عُمر:

- ولمَ لم تُخبر عن وجهتنا في البلدة؟ بل لماذا قلت إننا سنتجه جنوبًا وحين ابتعدنا طلبت مني الاتجاه شرقا؟

صمت (عبد الرازق) ولم يجبه فوراً، والآخران ينتظران جوابه ثم قال:

- وقت الكوارث والأزمات تضعف النفوس ويكثُر تُجَّار الحروب والمتآمرون، وأخشى أن يستغل أحدهم هذه الظروف ضدنا، البعض يظن إننا أشبه بالسفينة التي توشك على الغرق ويرغب في الوثب منها..بأي ثمن.

ساد الصمت عقب قوله ثمَّ عقَّب (بهاء):

- أحسنت القول والعمل.

وعاد الصمت فلم يقطعه أحد، وازدادت الظُلمة لتُعلن بداية ليل جديد، وهم يحدقون فيها وسؤال يشغلهم جميعًا..

هل سينجحون في مهمتهم؟.. هل سينجحون في الحصول على شيء يصطرع عليه الجميع ويدفعون لأجله كل ثمين؟.. شيء أصبح نادرًا في عالمهم الجديد.. وكلٍ يحتاجه في حياته الجديدة.. يحتاجونه لأجل العودة إلَى نمط حياتهم القديمة.. يحتاجونه لأجل.. النهوض..

*** * ***

أشعل التّاجر السمين (كرم) الشمعة الكبيرة في القاعة الكبيرة في بيته -والخاصة بالضيوف- بعود ثقاب؛ ليضيء المكان وتبدو المقاعد الكثيرة

الفخمة في الغرفة وهي تحيط بمائدة كبيرة قصيرة الأرجل وُضِعت فوقها الشمعة، وقد تدلت من السقف ثُريًّا كبيرة، ومع ضوء الشمعة وغياب النور الكهربائي فقدت القاعة رونقها وجمالها، بل بدت كأنها قاعة أشباح، تتصارع فيها الظلال مع الضياء على من تكون له الحصة الأكبر، لقد قُطعت عنهم الكهرباء وعادوا للأزمان القديمة، أزمان قبل الحرب الطاحنة الأخيرة بقرون، زمن الشموع و..

لكن هذا لا يهم.. إنَّهم يظنونه الجبان الخوّان.. لا.. أنه يعلم حقيقة ما سيحدث.. يعلم ما يحدث للقرى التي يدخلها الهمج.. بل أنَّهم سبب خراب قريته ومجيئه إلَى هذه البلدة.. لقد دخلوا القرية فلم يتركوا شيئًا مما يؤكل.. لا قليله ولا كثيره.. ومن يحاول منعهم يهاجمونه.. بل ويقتلونه.. فلا يتركون المكان حتى لا يبقى حمل نملة.. أنه لا يهرب ولكنـ.. قطع أفكاره صوت خادمه وهو يستقبل التُجَّار ويرحب بهم، أسرع إلَى باب القاعة ليلاقيهم، وأخذ يرحب بهم وانتظر حتى أخذوا مجالسهم وأمر خادمه بإحضار الشراب البارد لهم، ولم يأت بمقدمات، بل بدأ حديثه كأنه يكمله:

- والآن، ماذا قررتم؟

تعالت أصواتهم واختلطت حتى بزّها صوت يقول:

- الوسيلة يا سَّيِّد (كرم)؟ كيف سنحمل متاعنا وأهلينا؟

خفتت الأصوات وتعلقت به العيون وهو يقول:

- إنَّ هذا لهو أبسط الأمور، جميعنا نملك علاقات واتصالات مع تُجَّار من بلدات أخرى، سيتصل كل منّا بمن يعرفه ويسأله أن يرسل مُنطادًا إلَى بلدتنا لنقل عائلته ومتاعه.

خرج من بينهم صوت قوي يسأل:

- وماذا عن أهل البلدة؟ ماذا سيكون مصيرهم؟

محتدًا قال السَّيِّد (كرم):

- لقد فعلنا من أجلهم ما استطعنا، ألم نعطهم المال لشراء مولدات الطاقة لحماية أنفسهم!

قال آخر:

- ولكن ماذا سيحدث لهم إنْ لم يجدوها أو تأخروا في جلبها؟

تعالت الأصوات توافقه وتستحسن سؤاله، ولكن السَّيِّد (كرم) قابل سؤاله بآخر:

- وماذا تستطيع أن تقدم لهم إنْ بقيت معهم؟

قال صاحب الصوت القوي والحدة في صوته:

- أشد من عضدهم، أقاتل معهم، أساندهم بنفسي وولدي ومالي.

لا شك إنَّ الثلج أشد حرارة من كلمات السَّيِّد (كرم) وهو يفحّ بها:

- لتفعل ذلك، إننا لا نجبر أحد على أن يفعل مثلنا، ولكن لا تظنّ أنَّك خيرٌ منّا، لو نعلم طريقًا نمنع بها المصير المحتوم لما توانيْنا لحظة.

وهنا أيضًا تعالت الأصوات توافقه وتستحسن قوله، واستغل السَّيِّد (كرم) هذا التأييد ليكمل بقوة وصوت أعلى:

- نحن لا نـهرب من معركة، بل ننجو من كارثة لا نستطيع دفعها، وسنمد يد العون إلَى كل من يرغب في أن يصحبنـا..

والتفت إلَى صاحب الصوت القوي وهو يكمل:

- وعلى نفقتنـا.

كان الأمر محسومًا.. أغلبـهم يسعى للفرار.. بنفسه وماله وعائلته.. ودون أن يهتم بمن يتركهم خلفه.. وكلمات السَّيِّد (كرم) خدّرت ضمائرهم.. جعلتـهم كأنّـهم لا يملكون ما يقدمونـه لأهل البلدة.. عادوا إلَى بيوتـهم.. باشروا حزم أمتعتـهم.. نسوا بلدتـهم..

* * *

5- السراب

بزغ القمر متأخّرًا، وقد أوشك الليل على الانتصاف، وألقى بنوره على برج الحراسة المُقام على قمة أحد الجبال، ليُطلّ على الودي أمامه، ويحرس الثغرة الضيقة بين الجبلين على يمينه، وحول قاعدته تناثرت أجساد نائمة لشباب البلدة وقد تدثرت بالسماء في هذه الليلة الحارّة من ليالي الصيف، وقد اتخذ بعضهم يده وسادة وبعضهم صخرة ملساء صغيرة من الجبل، وقد جعل كل منهم سلاحه عند رأسه، ولم تكن أسلحتهم إلا عِصِيّاً وقضباناً حديديّة وبندقيتين، وعلى مسافة من الأجساد النائمة رجلان يتحدثان همسًا.

مصطفى:

- إن لم نفعلها الليلة فلن نفعلها أبدًا.

جاسر:

- أنَّني أخشى أنْ يشعروا بنا، الحارس في البرج وهؤلاء الشبان، قد يستيقظ أحدهم ويفتقدنا فيبحثون عنا.

مصطفى:

- لا تُكثر القلق، هذه الفرصة جاءت إلينا وعلينا اغتنامها، سنقتسم الثمن بيننا ولن نحتاج آخرين يشاركونا إيّاه.

جاسر:

- وكيف سـ..

مصطفى:

- سأقوم بالعمل، ساعدني فقط.

ولم يسمح لـ(جاسر) بالتعقيب وانسلّ بسرعة وصعد سُلَّم برج الحراسة، ليجد الحارس ينظر إلَى ما حوله من خلال منظار الرؤية الليلية.

شعر الحارس بحركته فالتفت إليه بسرعة وهو يرفع المنظار عن عينيه ويستل بُندقيته، وهتف (مصطفى) بصوت للخفوت أقرب:

- لا تطلق، هذا أنا.

بالطبع الحارس لم يعلم من هو ولكنه أدرك أنَّه أحد شباب البلدة المشاركين في الحراسة،فاطمأنّ وزال عنه توتره ولكنّه قال بخشونة:

- ماذا تريد؟

مصطفي:

- كيف هي الأخبار؟

ظنّ الحارس إنَّه يسأله عن أحواله الخاصة فأجاب:

- الحمد لله.

تجاوز (مصطفى) الأمر بسرعة وسأل:

- والهمج؟

- نائمون.

ولأن الحارس يشعر بالملل، فقد وجد في (مصطفى) أنيسًا، ومدّ يده بالمنظار إلَى (مصطفى)، الذي التقطه بسرعة وقد جاءته حاجته من غير أن يطلبها.

رغم أنَّ القمر يضيء الأرجاء بنوره، ويزداد قوة كل حين، فيزيح كثيرًا من ظُلمة الليل، إلاَّ أنَّ منظار الرؤية الليلية جعل المشهد أمام بصر (مصطفى) كأنَّه عصر يوم صاف، تُلقي الشمس فيه نورها من غير ظلال.

- كل شيء يبدو جَلِيًّا واضحًا.

الحارس:

- إنها من بقايا التقنيات العسكرية القديمة.

لم يُعقِّب (مصطفى) على قوله، وأخذ يبحث عن ظالّته حتى وجدها، جماعات الهمج تفترس الوادي، وكل جماعة تَلاصقَ أفرادها رغم هذه الليلة الحارّة.

سلّط نظره على مجموعة منهم وسأل:

- هل يمكن تقريب المشهد؟

فعل كما أخبره الحارس، ليكبّر مشهد مجموعة الهمج التي ينظر إليها، وينظر باهتمام شديد أخفته ظُلمة البرج عن الحارس، أخذ يدقق النظر فيهم وفجأة..

رفع أحدهم رأسه ونظر إليه مباشرة، فزع (مصطفى) ورفع المنظار عن عينيه وهو يهتف:

- لقد رآني.

أجابه الحارس بسرعة:

- مستحيل.

وأخذ منه المنظار ووضعه على عينيه وهو يسأل:

- أين رأيته؟

- أسفلنا مباشرة.

أدار الحارس المنظار للموضع المذكور ليجد الهمجي لا يزال جامدًا في مكانه وكأنَّه ينظر إليه في عينيه، لوهلة توتر الحارس وتجمّد المشهد إلَى حين، قبل أن يعود الهمجي إلَى نومه، زفر الحارس بارتياح وهو يقول:

- يا الله لوهلة حسبته يراني وينظر إليَّ.

مصطفى:

- ماذا حدث؟

- لقد عاد إلَى نومه.

مد (مصطفى) يده إلَى الحارس قائلاً:

- دعني أراه.

ناوله الحارس المنظار فأخذه ونظر به إلَى حيث كان الهمجي، واطمأن قلبه حين وجده نائمًا، وعاد يتفقد المشهد حتى وجد ما يريده، أعاد المنظار إلَى الحارس وهو يقول:

- عملك مُتعب، هل تبقى الليل كله وأنت تراقب ما حولك؟

تناول الحارس منه المنظار وهو يقول:

- هذا عملنا وقد اعتدناه.

تمنّى (مصطفى) له التوفيق في عمله وهبط من البرج، وسار بحذر إلَى (جاسر) وهمس:

- هيا بنا.

سأله (جاسر) هامسًا:

- إلَى أين؟

- إلَى مهمتنا.

- والحارس؟

- مشغول بمراقبة الوادي.

- إذا كيـ..

- دع عنك القلق، هيا..

بخفة وحذر سار (جاسر) خلف (مصطفى) وهما يهبطان الجبل من جهة البلدة، والقمر يجعل المشهد في النهار قبل الغروب، معالم الوجود ظاهرة للعيان من غير تفاصيل كثيرة، حين بلغا منتصف الطريق انحرفا إلَى الثغر بين الجبلين، الثغر المطمور بالصخور ومن خلفها تنتصب ألواح الصفيح عالية؛ لتجعل عبور الثغر صعبًا وليس مستحيلًا.

واصلا طريقهما حول سفح الجبل، حتى بلغا ممراً ضيقًا يرتفع عَنْ ألواح الصفيح، ويسمح لعابره برؤية ما على جانبي الألواح، كما يسمح لعابره الانتقال من البلدة إلَى خارجها.

التفت (مصطفى) إلَى (جاسر) وهمس:

- كن حذرًا ولا تصدر صوتًا، نحن نقترب منهم.

ازداد وجيب قلب (جاسر)، وهز رأسه موافقًا وتبع رفيقه وهو يلعن الظروف التي أفسدت آماله، كان يرغب أن تنحصر مهمته في تسليم الثمن، في حين يقوم الآخرون بالعمل كله ويبقى هو بمَنْأىً عَنْ الخطر، ولكن ما حدث جعله شريكاً في التنفيذ.

تجاوزا الممر الضيق وهما ينحدران أكثر فأكثر وقد صار سيرهم حذرًا بطيئًا وهما يتجاوزان الصخور ويقتربان من أرض الوادي.
توقف (مصطفى) وأشار لـ(جاسر) بذلك، ومد يده فتبعها (جاسر) بنظره، ليستقرا على كومة غير بعيدة منهما.
لوهلة لم يدرك (جاسر) كنهها ثم أدرك إنَّها مجموعة من الهمج ينامون متلاصقين.

هناك صوت طبل يدوي في الوادي لا يُعلم مصدره، قبل أن يدرك (جاسر) أنَّ هذا خفقان قلبه.

اقترب (مصطفى) من كومة الهمج حتى صار عندهم، وبحذر أخرج شيئًا من جيبه وأدار طرفه وأدناه من أنف أقرب الهمج إليه، الذي استنشقه ليرفع رأسه من نومه مع نخير مسموع، قبل أن يسقط على هيئته الأولى.

كاد قلباهما أن يتوقفا مما فعله الهمجي وصارا تمثلان من الحجر يطرق قلباهما جوفه بقوة.

لحظات انقضت حتى عادا لحمًا ودمًا، وبحذر أشد كرر (مصطفى) فعله مع الهمجي التالي ليكرر ما فعله الأول، ومن همجي لآخر حتى بلغ الأخير، أدنى (مصطفى) ما يحمله من الهمجي الأخير، الهمجي الذي فتح عينيه..

ونظر إلَى (مصطفى) في عينيه.. لينتفض بقوة وهو يعتدل.. وفتح فاه ليعوي..

*** * ***

هبط المُنطاد في قرية (الحُطام) وترجّل منه (بَهَاء) و(عبد الرازق)، والتفت (عبد الرازق) إلَى (عُمر) وقال:

- لا تترك المُنطاد، وعند الحاجة أيقظْ (محمد).

هزّ (عُمر) رأسه طاعةً، في حين جذب (عبد الرازق) يد (بَهَاء) ليسير معه، وقال (بهاء):

- من (محمد) هذا؟

- أنه مساعد سائق المُنطاد، وهو نائم في مؤخرة المُنطاد.

لم يهتم (بهاء) بالسؤال أكثر من ذلك وأخذ ينظر حوله، ومصابيح المُنطاد لا تزال تُضيء المكان من حوله، رغم ضوء القمر الذي يضىء الوادي، فلم يكن هناك سوى بضعة صخور وكومة كبيرة من حُطام أشياء وأدوات أشبه بتلة صغيرة، وضوء القمر يكشف عن مرتفعات في قلب الوادي وتلال من أشياء هنا وهناك ومجموعات من الرجال تحلّق بعضها حول نار رغم حر هذه الليلة، وبعضها اكتفى بنور القمر، لم يهتم أحدهم بالقادمين، رُبَّما اكتفى بعضهم بإلقاء نظرة عابرة دون اهتمام، كأنَّهم اعتادوا قدوم الغرباء إلَى واديهم.

سار (بهاء) إلَى جوار (عبد الرازق) الذي يبدو أنه يعرف طريقه جيدًا، حتى بلغا مرتفعًا عليه بيت ظهره إلَى الجبل الذي حجب عنه ضوء القمر فبدا مظلمًا، ومع صعودهما المُرْتفع أُضيء مصباح أعلى باب البيت ليكشف ما حوله، ويُظهر ضووه شرفة واسعة أمامه، وفُتح الباب ليظهر على عتبته رجل ممسك بحافة الباب وينظر في اتجاههما.

بلغا الشرفة وأفصح الضوء للرجل عن هيئتهما، فعلا صوته بالترحيب:

- عبد الرازق، عبد الرازق، عبد الرازق، أي رياح طيبة جاءت بك إلينا!

اقترب (عبد الرازق) من الرجل وصافحه بحرارة وتبادل معه عبارات الترحيب ثم أشار إلَى (بهاء) الواقف على خطوة منه وعرّفه به، صافح (بهاء) الرجل الذي استقبله بود لا يقل عن (عبد الرازق) الذي قال:

- الشيخ (سمعان)، كبير هذا الوادي.

زاد (بهاء) من كلمات المودة كأن هذا الاسم -الذي لا يعرفه- يحمل في قلبه مكانة كبيرة.

دعاهما الشيخ (سمعان) للدخول، وتقدَّمهم إلَى غرفة فسيحة، أثاثها الأرائك ومنضدة كبيرة.

جلسوا جميعًا والشيخ (سمعان) لا يكف عن الترحيب بهما، وعلا صوته يطلب من أحد ما في البيت شراباً لضيوفه.

ساد الصمت بعد عاصفة الترحيب وهنا تنحنح (عبد الرازق) ليتكلم ويفصح عن سبب مجيئه:

- شيخ (سمعان)، جئنا إليك نبحث عن مصدر للكهرباء.

- تقصد مولِّد كهربائيّ؟ متوفر وبالقدرة التي تريد.

سُرّ (بهاء) وقد شعر بأن مهمته قد أُنجزت وقال:

- رائع، هل يمكننا الحصول عليه الآن.

بدهشة قال الشيخ (سمعان):

- الآن! هذا صعب ولكنه ممكن.

عبد الرازق:

- هل تعلم ما نريده يا شيخ (سمعان)؟ نحن نبحث عن مولِّد كهربائيّ لبلدة كبيرة.

هتف الشيخ (سمعان):

- ماذا؟ ومن يملك شيئًا كهذا؟

أدرك (بهاء) سوء الفهم الواقع وسأل:

- إذن ما هي المولِّدات التي تملكها؟

أجابه الشيخ (سمعان) والدهشة تأبى مفارقته:

- مولِّدات منزلية، لتشغيل الأجهزة الأساسيّة على قدر الحاجة.

ظهر الإحباط جليًّا على وجه (بهاء) مما جعل الشيخ (سمعان) يلتفت إلَى (عبد الرازق) سائلًا:

- ماذا هناك يا (عبد الرازق)؟

أخبره (عبد الرازق) بأمر الهمج والمخاطر التي تتعرض لها بلدتهم، أمر جعل الشيخ (سمعان) يُستغرق في التفكير وعقّب على حديث (عبد الرازق):

- هذه.. هذه مصيبة.. مصيبة كبيرة.. إذا دخلوا البلدة فقد انتهى أمرها، وما تبحثون عنه أقرب للمُحال، من يملك هذه المولِّدات فلن يعطيها لكم، حتى لو دفعتم له أطناناً من الذهب.

لم يترك الإحباط (بهاء) وهو يقول:

- ولم؟

قاطعهم دخول فتاة صغيرة تحمل صحيفة عليها كؤوسًا من عصير الليمون، تناولها الشيخ (سمعان) منها وغادرت الصغيرة، وقدّم ما عليها لضيفيه ثم وضعها على المنضدة وعاد إلَى مجلسه وهو يجيب عن سؤال (بهاء):

- الطاقة في زمننا هذا قوة، بها تستطيع تشغيل المصانع وأن تحيا برفاهية، ما تدرّه الطاقة من أموال ومنافع تجعل أصحابها لا يفرّطون فيها مهما كان الثمن، ما تدفعه لهم للحصول عليها، يستطيعون الحصول على أضعافه بواسطتها.

عبد الرازق:

- وقرية (السلامة)؟

يبدو أنَّ الشيخ (سمعان) لا يملك لهم سوى الدهشة التي سأل بها:

- ماذا عنها؟

- هل نجد عندها حاجتنا؟

- عبد الرازق، هذه الأشياء نادرة، وإن وُجدت فإنها لا تُباع، أهل قرية (السلامة) بارعون في صناعة المُعدات الكهربائية، ولكن براعتهم لن تصل إلَى صناعة مولِّد كهربائي لبلدة كاملة أو حتى نصفها، ثمَّ لو

افترضنا أنَّهم قادرون على ذلك، فمن أين ستأتي بالوقود الكافي لتشغيله، ثمَّ لو وجدت الوقود، هل تعلم كم سيطلبون ثمنًا له؟

قال (بهاء) وهو ينهض:

- لا يهم، علينا المحاولة، شكرًا على الضيافة يا شيخ (سمعان)، هيا بنا.

نظر إليه الشيخ (سمعان) في استغراب وسأله:

- إلَى أين؟

- إلَى قرية (السلامة).

قال (عبد الرازق) الذي لم يترك مكانه أو يغيّر جلسته:

- اجلس يا (بهاء)، لا نستطيع الذهاب إلَى هناك الآن.

نظر له (بهاء) منزعجًا:

- ولم؟

نظر الشيخ (سمعان) له ثم إلَى (عبد الرازق) ثمَّ سأل:

- ما به؟

أشار (عبد الرازق) إلَى (بهاء) بالجلوس مرة أخرى وهو يوضح للشيخ (سمعان) أمر (بهاء):

- إنَّه متلهف للعثور على غايتنا.

والتفت إلَى (بهاء) وهو يكمل:

- البلدات جميعها لا تستقبل الغرباء ليلًا، والدخول إليها والخروج منها يخضع لضوابط صارمة، سنذهب إليها في الصباح.

استغرب (بهاء) وأشار إلَى الشيخ (سمعان):

- ولكن..

فهم الشيخ (سمعان) ما يريده وقال:

- قرية (الحُطام) استثناء.

وضحك مُكملًا:

- اسمها خير ما يُخبر عنها، إنّها حُطام.

ساد الصمت طويلًا هذه المرة وكل منهم يُقلّب الأمر في ذهنه بحثاً عن حل أو مخرج ما، ثم قطعه الشيخ (سمعان) بقوله:

- ستقضون الليلة هنا وفي صباح الغد تذهبون إلَى..

وصمت.. كان يفكر في أمر ما، أمر يتردد ألف مرة في البوح به إليهم، ولكن في هذه الظروف العصيبة يبحث الإنسان عن حل، أي حل حتى الصعب منها.. صعب؟ هل هو صعب أم مستحيل؟

- ربما.. ربما يوجد ما تحتاجانه.

في صوت واحد قال كلا من (عبد الرازق) و(بهاء):

- حقًا.

أشار لهما الشيخ (سمعان) بكلتي يديه أن يتمهلا وأكمل حديثه:

- لا أقول أنَّ الحصول عليه سهل.. لا بل هو محال و..

قاطعه (بهاء) بنشوة:

- لا عليك، أخبرنا وبمشيئة الله سنحصل عليه.

نظر إليه الشيخ (سمعان) متأملًا، لا تعلم هل هو يفكر أم بستهجن مقاطعته، في حين التفت إليه (عبد الرازق) مؤنبًا.

أكمل الشيخ (سمعان):

- أنت تعلم يا (عبد الرازق) طبيعة عملنا، نحن نجمع الأجهزة والتقنيات القديمة وكل ما نعثر عليه من مخلفات الحرب الطاحنة وما قبلها ونأتي به إلَى هنا لتعقيمه ثم نبيعه إلَى البلدات الأخرى.

صمت هُنيهة ثم أكمل:

- كل يوم يصبح العثور على هذه الأشياء أصعب وأقل فائدة، لأجل هذا فكّر بعض الشبان في البحث عن بدائل، أماكن يمكن العثور فيها على أشياء كثيرة وربما تعمل أيضاً وليست معطلة.

هنا قاطعه (عبد الرازق) قائلاً:

- لا تقل أنَّهم ذهبوا إلى..

لم يُكمل (عبد الرازق) كلامه ولكن الشيخ (سمعان) أدركه ووافقه بهزة من رأسه وتابع:

- صحيح، لقد ذهبوا إلَى المدينة القديمة، لقد نصحتهم ومنعتهم ولكنهم عصوا أمري وذهبوا، وهناك وفي المناطق الشرقية من المدينة، حيث القرى والأرياف وجدوا مساحات كبيرة مُقام عليها أنظمة للطاقة الشمسية، ورغم مرور أكثر من أربعين سنة عليها، فإن أكثرها كان بحال جيدة ويعمل بنصف قدرته أو أكثر قليلاً.

ملهوفاً سأله (بهاء):

- هل أحضروها؟

نفى الشيخ (سمعان) برأسه وأجاب:

- لا، كان اتصالهم الأخير بنا، حيث أخبرونا بما وجدوا ثم انقطع الاتّصال بهم، ارسلت من يبحث عنهم ووجدهم..

صمت ثم أكمل بلهجة من يحرص على إيصال معلومة والتأكد من فهم المُتلقي لها:

- وجدهم أجساداً مقطعة، كأنّ قطيع من الذئاب الجائعة افترسهم بوحشية وبلا رحمة، قبل أنْ يلحقهم بدوره وصرخاته تصلنا عبر جهاز الاتّصال.

*** * ***

6- ويستمر البحث

فتح الهمجي فمه ليعوي، ولكن ببديهة وسرعة يُغبط عليها مدَّ (مصطفى) يده بما فيها ليجعلها تحت أنف الهمجي، الذي استنشقها بقوة أول فتحه فمه، ليسقط موضعه مع صوت نخير قوي.

لم يتحرك (مصطفى) عن موضعه قيد أنمُلة ولم يبدل هيئته، حتى ذهب عنه روْعه، و(جاسر) الذي أوشك قلبه على الفرار تاركاً جسده مع يقظة الهمجي.

أشار (مصطفى) إلَى (جاسر) أنْ يعاونه على حمل أقربهم إلى طريق عودتهم،حمل (مصطفى) الهمجي من أكتافه و(جاسر) من قدميه، وأخذا طريقهما يصعدان الجبل، الجبل وعر والصخور كثيرة ومتناثرة، والعجب كيف لم يلحظا هذا أثناء قدومهما، والصعود دائمًا أكثر مشقة من الهبوط، والقمر يضيء لهم ولا ييسر لهم، والهمجي وزنه أضعاف هيئته النحيلة التي تجعله جلدًا على عظم، ورائحته النتنة تُزهق روحيهما.

بلغا الممر وأنفاسهما تضيق بها صدورهم، وفي منتصف الممر الذي يفصل داخل البلدة عن خارجها، همس (مصطفى):

- لقد ذهب الصعب الآن.

لقد استعجل الأمر.. فتح الهمجي عينيه وحدق إلَى (جاسر) الذي يحمله من قدميه، و(جاسر) شاخص إليه ببصره وقد شُلّ لسانه، و.. وعوى الهمجي، عوى بكل قوته.. حتى أنَّ الجبال عوت معه.. وبكل قوتها..

* * *

مذعورًا ألقى (جاسر) بحمله، والهمجي يعوي ويرفس بقدميه ويحاول التملّص من بين يدي (مصطفى).. مصطفى الذي أخذته المفاجأة ولم تنل من حذره، فأمسك بالهمجي بقوة أكبر وهامسًا هتف:

- أخرس.. أخرص يا ملعون.

لكن الهمجي لم يبال بقوله، أو هو لا يفهمه، فقد واصل التملّص من بين يدي (مصطفى) الذي أخذ يطلب عون (جاسر)، أفاق (جاسر) من ذعره والتفت يبحث حوله والتقط صخرة وبكل قوة ضرب بها الهمجي على رأسه، ورغم نحوله الشديد وهزاله أوشك الهمجي على الإفلات من (مصطفى)، لم تضعفه الضربة ونافورة دم تنفط من رأسه، بل زاد في العواء والصريخ.

ضربه (جاسر) مرة أخرى بقوة أكبر، ثم أخرى ثم أخرى ثم أخرى حتى صمت الهمجي.. صمت للأبد..

وقف (جاسر) يلهث بقوة كأنه يركض من مكان بعيد، وقال:

- الملعون، كان يجب أن نشد وثاقه.

لم يسمع تعليقًا من (مصطفى)، فنظر إليه فوجده ينظر مذعورًا إلى ما وراءه وهو لا يزال يمسك الهمجي بين يديه، التفت خلفه ليجد مجموعة من الهمج تنظر إليه من الطرف البعيد من الممر وقد حجب الظل وجوههم، ولكن صوت زماجرهم أنبأه بغضبهم.. وعجيج قادم من الوادي من خلفهم..

وضجَّ الوادي والجبال بصوت الرصاص، ألف ألف بندقية تقارع بعضها أيّها أشد وأعلى صوتًا، ومع صوت الرصاص انقضّ الهمج.. بكل قوة.. وشراسة..

*   *   *

تفحص الحارس بمنظاره الليلي الوادي، سمع عواءً ولا يعلم مصدره، الهمجّ جميعهم في مواضعهم.. على هيئاتهم لم يغيروها.. نيامًا وكأنهم في واحة السكينة.. وضوء القمر يغلف أجسادهم، ويضفي عليهم وعلى الوادي شاعرية تليق بقصة عشق في رضى الرحمن.

عاد الصريخ.. خافتًا وبعيدًا ومتواصلًا.. دار بمنظاره في الوادي مرة أخرى، ليرى مشهدًا مهولًا.. الهمج يستيقظون من نومهم.. يرفعون نصفهم العلوي عن الأرض.. يرفعون وجوههم إلَى السماء كذئب يريد العواء.. سكنت أجسادهم على هيئتها.. أهم ينظرون إلى السماء أم يصيخون السمع إلَى شيء ما؟.. كانوا يفعلون فعلهم ككيان واحد له ألف جسد وعقل واحد يدبرهم.. الصريخ مستمر.. وفي آن واحد نهض الهمج جميعًا.. وكالسيل العرم اندفعوا معًا.. بدن واحد.. عقل واحد.. إلَى.. إلَى الثغرة.. الثغرة بين الجبلين.. الثغرة التي تؤدي إلَى البلدة..

طوفان أشبه برأس السهم، ذؤابته عند الثغرة وباقيه يمتد في الوادي، لم يتمهل الحارس أكثر من ذلك، وثب إلى جهاز الإنذار وضغط زره بكل قوة، ليدوي جرس الخطر في البلدة كلها، ويرتفع فوق سواه، ثم وثب إلى

مدفعه الرشاش المثبت على حافة البرج، وهو يثبت منظار الرؤية الليلية على عينيه.

وبكل عزم شرع يطلق الرصاص كالمطر على جموع الهمج المتدفقة نحو الثغرة، وهدفه أقربهم إلى الثغرة.. وتساقط الهمج و..

- ماذا يحدث؟

صياح بالكاد وجد طريقه إلى مسمع الحارس، فرد بصياح عالٍ دون أن يتوقف عن إطلاق النار:

- الهمج، إنهم يندفعون إلى الثغرة.

ثم تابع صياحه بلهجة أمر:

- ليذهب من يحمل بندقية إلى الممر ويمنع دخولهم.

- أي ممر؟

والتفت الحارس إلى من يبادله الكلام، فوجده شابًا لا يعرفه - لا بد أنه أحد المتطوعين- لذلك عاود الحارس الصياح دون أن يتوقف عن إطلاق النار:

- عند الثغرة إلى يمين سياج الصفيح من أعلى، يوجد ممر صغير يؤدي إلى البلدة، لا تسمح لأحد الهمج بعبوره.

استدار الشاب ليفعل ما يقوله الحارس، والحارس يعاود الصياح:

- خذ الجميع معك، لا تسمح لأحد بعبور الممر.

وافقه الشاب دون أن يلتفت إليه وهو يسارع في النزول من البرج، والحارس يضع كل انتباهه على الهمج دون أن يتوقف عن إطلاق النار لحظة.

الرصاص كالمطر يضرب في كل مكان بالقرب من الثغرة، والهمج يتساقطون صرعى فوق بعضهم، لكن هذا لم يمنع الباقين من الاندفاع بقوة واستمرارية نحو الثغرة، و.. وكفَّ الرشاش عن زئيره وذهبت عنه غلظته، ومعه سكن الوادي.. وصمتت الجبال.. ولم يعد سوى صوت عجيج الهمج يأتي خافتًا بعيدًا من أسفل الوادي.. لقد فرغ خزان الرصاص ومعه سقطت هيبة سلاحه..

لوهلة بُهت الحارس وكأن سلاحه لا يمكن أن ينفد، ثم تدارك الأمر ومال لينزع الخزان الأسطواني الفارغ ويضع مكانه آخر و.. ويدرك معه أمرًا آخرًا.. إنَّ صوت سلاحه يعمل كمغناطيس.. مغناطيس يجذب إليه الهمج.. حقيقة أدركها وهو ينظر إلى النُهير الصغير من الهمج.. نُهير يصعد إليه من أسفل الوادي.. نُهير أوشك أن يصله..

* * *

عاون قائد الحرس (كنان) والآخرين على تحصين البوابة حين دوى صوت جرس الخطر، جمد كل في مكانه وشخصت أبصارهم إلى البلدة الغارقة في الظلام، وقطع صمتهم صيحة قائد الحرس وهو يهتف:

- يا رب العالمين، ماذا حدث؟

وانتزع من حزامه جهاز الاتِّصال اللاسلكي وأخذ يتصل بأبراج الحراسة الواحد تلو الآخر يسأل عن السبب، في حين اندفع (كنان) نحو بندقيته

المركونة إلى صخرة بالقرب من البوابة وحذا الآخرون حذوه، ثم أحدقوا بقائدهم وعيونهم لا تغفل عنه.

أعاد قائد الحرس جهاز الاتِّصال إلَى حزامه والتفت إليهم هاتفًا:

- الهمج يهاجمون الثغرة الثالثة عند البرج السابع.

كنان مستحثًا:

- هيا بنا.

قالها واندفع نحو سيارة قريبة وقد همّ الباقون باللحاق به ولكن صيحة قائد الحرس أوقفتهم:

- كلا، سنذهب أنا و(كنان) وثلاثة آخرون، وسيبقى الباقون لحراسة البوابة.

فهم الجميع مراده ولكن قائد الحرس زاد الأمر إيضاحًا:

- لا نعلم لماذا يهاجمون تلك الثغرة، ولكن قد يهاجمون هذه البوابة في أي وقت.

حثّه (كنان) على الإسراع ليقاطعه قائد الحرس من جديد:

- كلا، سنذهب بالمُنطاد.

*** * ***

ارتفع سائق المُنطاد به عاليًا وهو يستمع إلى إرشادات قائد الحرس، واستغل (كنان) ثغرة في حديث قائد الحرس ليسأله:

- ولكن لماذا يهاجمون؟ هل شاجرهم أحد؟

واصل قائد الحرس إلقاء توجيهاته إلَى سائق المُنطاد حتى أتمّها ثم التفت إلَى (كنان) ليجيبه:

- لا نعلم، حارس البرج السابع مشغول بصد هجومهم حتى أنه لم يجد فرصة سوى لإطلاق جرس الإنذار، ولا يعلم سبب هجومهم.

كنان:

- ومن معه، أين هم؟

قائد الحرس:

- لقد أرسلهم الحارس لحماية الممر.

اندفع المُنطاد إلَى حيث البرج السابع، وبلغه في دقائق قليلة، وكان المشهد مهولًا، طوفان الهمج يندفع من بين شعاب الجبال كالسيل العرم، وقد اندفع جُلّهم نحو الثغرة وقليلهم يصعد الجبل نحو برج الحراسة.

والحارس يطلق النار تارة نحو الثغرة وتارة نحو الذين يصعدون إليه، ورغم كثافة النيران إلا أنها لم توقف هذا أو ذاك، أو حتى تقلل من اندفاعهم.

- ماذا نفعل؟

صاح بها (كنان) وهو ينظر لهذا المشهد المخيف وقد أدرك عجزهم، وماذا سيفعل عونهم سوى مزيد من الرصاص، ولن يوقف هذا الطوفان.

هتف قائد الحرس بسائق المُنطاد:

- اذهب بنا إلَى ما بين البرج والثغرة.

ثم التفت إلى أحد الشبان معهم وتابع هتافه:

- تولّ المدفع الجانبي.

والتفت للآخَرين متابعًا:

- أنتما إلَى سطح القارب، وساعدا الحارس.

وعاد يلتفت للأول الذي كان يندفع نحو المدفع الرشاش المُثبت متدليًا على نافذة في جانب القارب وهتف:

- لا تسمح لهم بعبور الثغرة.

فتح الشاب الأول النافذة ليندفع صوت محركات المُنطاد مع دوي الرصاص وصداها وعجيج الهمج في مزيج مرعب إلَى داخل المُنطاد، وأدار الرشاش على محوره ليصوّبه إلَى الخارج.

أمّا الشابان الآخران فاندفعا إلَى سُلّم في مؤخرة القارب وأخذا يصعدانه إلَى كُوَّة في سقف قارب المُنطاد.

صاح (كنان) ليُسمع صوته:

- وماذا عنّي؟

أشار له قائد الحرس بيده أن ينتظر وعاد للسائق يعطيه التوجيهات صياحًا، ثم التفت إلى (كنان) وهو يصيح:

- أنت الخطة الاحتياطية.

بادله (كنان) الصياح سائلًا:

- وما هي؟

مرة أخرى أشار له قائد الحرس بيده بمعنى فيما بعد، اكتفى (كنان) منه بهذا ولم يعقب وأطلق نظره للمشهد أمامه تحت ضوء القمر، الذي زادته أضواء المُنطاد بهرجة لا أكثر.

سُرّ الحارس بقدوم المُنطاد، ودون أن يترك سلاحه أو يتوقف عن إطلاق النار، راقب المُنطاد وهو يثبت موضعه بين البرج والثغرة، ويطلق النار، نار كثيفة جعلت الهمج عند الثغرة يتساقطون وجثثهم تصنع تلاًلا تكبر شيئًا فشيئًا.

أما النُهير الصاعد إليه من الهمج، فأخذ يضيق أكثر فأكثر، يبدو أنَّ المعركة تؤول إلَى صالحهم، والنصر صار قريبًا، و.. وطوفان الهمج لم ينحسر وسيلهم لم يهدأ، ومع خزان الرصاص الرابع والأخير أدرك الحارس أنَّ ما يفعلونه هو تأجيل المحتوم، إنَّ الغلبة للهمج.. لقد قاتلوا بشجاعة ولكن الهزيمة قدرهم.. حقيقة أدركها والشابان فوق قارب المُنطاد يتوقفان عن إطلاق النار.. لقد نفدت ذخيرتهم.. وبعد قليل سيصمت سلاحه.. وكل سلاح يزأر في الوادي.. أو في سمائه..

*** * ***

انطلق (جاسر) و(مصطفى) يركضان بقوة والهمج من ورائهم وقد علا عواؤهم، يركضان وقد أدركا أنَّ الجبل عدوّهما، استدرجهما ثم كشف لهما عن حقيقته، من أين جاءت هذه الصخور؟ لم توجد هنا من قبل! إنَّها كثيرة.. كثيرة وصغيرة وكبيرة ولا همّ لها إلا أنَّ تسد طريقهما أو يتعثران فيها، من أين جاءت هذه النباتات؟ إنَّ أوراقها كالإبر والمسامير، تمزق ثيابهم وتجرح أجسادهم، متى جاءت؟ جاءت؟ بل متى نبتت؟ حتى القمر

خدعهما بضوئه، ألم يكن ينير كل شيء؟ فلماذا الآن يصطدمان بكل شيء؟

مصطفى يركض و(جاسر) خلفه، مسعوران كأنَّ الموت لا يجد سواهما، وسوط الذعر والفزع على أعقابهم يجعلهم يتقافزون كالأبالسة من صخرة إلَى صخرة، ويسقطان في الأشواك ولكن فرقعة سوط الذعر تحيل الأشواك حريرا، فينهضان مسرعين، و.. شيء ثقيل يسقط على ظهر (جاسر)، ثقيل حتى أنَّه سقط بقوة على وجهه وأنيابًا حادة تمزق عنقه، لقد عرف الآن حقيقة هذا الشيء، عرفه وعشرات الأفواه تغرس أنيابها في جسده، لقد سقط.. سقط في أيدي الهمج..

بكل الرعب نادى (مصطفى).. مصطفى الذي لم يكلف نفسه سوى نظرة سريعة خلفه ليرى كومة همج تحتها يعلو صراخ (جاسر)، لم يتوقف لحظة وانتقل من الركض إلَى الطيران، قبل أنْ يسقطه ثقل على وجهه وأنياب تغرس نفسها في فروة رأسه.. لقد سقط.. وعلا صراخه.. وهل من مجيب؟.. هل؟..

*** * ***

لم تكن هناك حاجة لإخبار قائد الحرس و(كنان) إنَّ المعركة خاسرة، لقد نزل الشابان عن ظهر القارب بعد أنْ نفدت ذخيرتهما، حارس البرج أخذ

يستخدم مسدسه في التصدي للهمج وقد اقتربوا منه حتى بلغوا قاعدة البرج، الرشاش الذي يزأر الآن سيصمت بعد خزان واحد وهو الآن يفترس خزانه قبل الأخير..

صاح (كنان):

- والآن؟ ما الخطة الاحتياطية؟

صاح قائد الحرس:

- خزانات وقود المُنطاد.

أدرك (كنان) مقصد قائد الحرس، واندفع إلَى مؤخرة القارب ويصيح في الشابين للمساعدة، في حين اتجه قائد الحرس إلَى الشاب على الرشاش الآلي، عليهم تقديم بعض العون البسيط.. البسيط!.. البسيط والأخير إلَى حارس البرج، وأشار بيده نحو البرج وهو يصيح بأن يجعل نيران الرشاش نحو الهمج قرب البرج، كان حارس البرج يدفع الهمج برصاص بمسدسه من مسافة قريبة جدًا، حتى إنَّ بعض الهمج شرع يتسلق سُلّم البرج.

وجاءت الرصاصات من المُنطاد لتصرع الهمج أمام البرج وتفتك بمن يتسلقون السُلَّم، ولهُنيهة توقف حارس البرج يلهث ويشكر الله على هذه النجدة ولوّح بيمينه للمُنطاد وهو لا يعلم أيرونه في ضوء القمر أم لا؟

ألقى قائد الحرس نظرة سريعة على البرج وحارسه، إنها نجدة مؤقتة وهذا كل مايملكونه له الآن، التفت للسائق صائحًا:

- إلَى الثغرة بسرعة.

واستدار إلَى (كنان) والشابين، كانوا قد جلبوا براميل الوقود وجعلوها عند باب المُنطاد، وفي ذهنه استحسن قائد الحرس سرعة بديهة (كنان) وإدراكه لخطته، وعاد ينظر للمشهد أمام المُنطاد، السائق يقترب من الثغرة وقائد الحرس يمسحها بعينيه حتى رأى الممر الذي يندفع عبره الهمج إلَى البلدة، وأشار للسائق أن يقترب منه أكثر، حتى أصبح المُنطاد فوق الأرض المؤدية لأول الممر، الممر الذي ضاق بالهمج وهم يتدفقون عبره، وعاد قائدالحرس يصيح:

- حين ترى البرميل يسقط، ابتعد فورًا.

هز السائق رأسه موافقًا وهو لا يدري عن أي برميل يتحدث قائد الحرس الذي همّ إلَى حيث (كنان) وصاح:

- افتح الباب وأسقط برميلًا واحدًا فقط.

تعاون (كنان) مع أحد الشابين على حمل برميل الوقود والشاب الآخر يفتح لهما الباب، في حين اتجه قائد الحرس إلَى الذي على الرشاش وصاح في أذنه:

- أطلق النار على البرميل فور ملامسته الأرض.

بدوره لم يسأله الشاب عن أي برميل يتحدث ولكنه وافقه بهز رأسه بسرعة دون أن يترك سلاحه أو يتوقف عن إطلاق الرصاص.

وسقط البرميل.. سقط والمُنطاد يبتعد عن المكان، سقط على رؤوس الهمج ليصرع بعضهم ويبدأ في التدحرج على سفح الجبل، لم تكن سوى أمتار قليلة حتى أصابته رصاصة من الرصاص المنهمر على طوفان الهمج.

ودوى الانفجار.. قويًا.. عاليًا.. مخيفًا.. أضاءت ناره الوادي كالشمس.. وتطايرت شظاياه على مساحة كبيرة.. حتى أنَّ بعضها اقترب من المُنطاد.. ومعها تطايرت الكثير من أجساد الهمج.. واشتعلت النيران في المكان وفي أجساد آخرين أصابهم الرعب فأخذوا يركضون على غير هدى.. كأنهم نيران لها سُوق تجري بها..

من لم يصبهم الانفجار من الهمج فكان أمرهم غريبًا، توقفوا عن الاندفاع.. جمدوا في أماكنهم.. وأخذوا ينظرون إلَى النار واللَّهب المتطاير، وقد صارت قبلتهم.. كأنهم لم يروا نارًا من قبل، شيء لم يعرفوه ولا يألفونه.

حدّق كل من في المُنطاد إلَى المشهد أمامهم في رهبة وسكون، وقد صرع الانفجار كل صوت إلا صوت محركات المُنطاد التي بقيت حيّة بعد أن خمدت أصوات الوادي.

- هيا، سنفعلها مرة أخرى.

دوت صيحة قائد الحرس في أذن سائق المُنطاد، فتحرك بمنُطاده مرة أخرى إلَى الثغرة حيث الممر، وأشار قائد الحرس بيده إلَى (كنان) والآخرين بأنهم سيكررون ما فعلوه.

مرة أخرى دوى الانفجار في الوادي وتكرر ما سبق إلا أمرًا واحدًا، الهمج.. لقد دبّ فيهم الرعب وانطلقوا يفرون من الوادي.. وأخذ السيل عكسه والطوفان ينحسر..

مضت ربع ساعة حتى خلا الوادي من الهمج تمامًا، والمُنطاد يجول في الوادي وضجيجه يملأ الوادي وتعيده الجبال.

اقترب المُنطاد من برج الحراسة ودنا من سقفه، ووثب (كنان) على سطح البرج وانحدر إلَى داخله، كان الحارس مُثخن بالجروح، حتى إنَّ اللحم أُنتزع من بعض المواضع وفي أخرى سقط عنها الجلد، وأغرقت الدماء وجهه وثيابه، وحوله جثث الهمج وقد زادت عن خمسة وأثر الطعنات فيها، ولكنه كان حيًا، يتنفس بصعوبة ويده مقبوضة بقوة على خنجره، وعيناه تنظران إلَى (كنان) دون إدراك، اقترب منه (كنان) بحذر، وبرفق رفعه واسند ظهره إلَى حاجز البرج، وكلام مُبْهم يخرج منه وقد حجبه ضجيج المُنطاد، أدنى (كنان) أذنه من فم الحارس ليسمعه بصعوبة، وقد حجب صوت المُنطاد أكثر كلماته:

- الممر.. الش.. ان.. الث.. رة..

فهم (كنان) ما يريد قوله، لقد شغلهم أمر غياب الشبان عن الحارس وتركه وحيدًا، وهذا ما أسرع بهم إلَى هنا، أخرج قنينة ماء من حزام الحارس وأسقاه، وصاح بصوت حاول أن يكون واضحًا ويعلو ضجيج المُنطاد:

- النجدة في الطريق، لا تقلق.

ثم صعد إلَى سطح البرج وتعلق بحافة باب قارب المُنطاد المفتوح، وتعاون شابان على رفعه إلى داخل القارب.

ومع إغلاق باب القارب ونافذته، ذهب ضجيج المحركات، أوجز لهم المشهد، وختم كلامه:

- علينا أن نستعجل النجدة، الحارس على وشك الموت، وعلينا العثور على الشبان ومعرفة مصيرهم.

قائد الحرس:

- مُنطاد النجدة سيصل إِلَى هنا خلال دقائق، لنبحث عن الشبان.

كنان:

- الحارس يقول أنهم عند الممر قرب الثغرة.

قائد الحرس:

- إذًا لنذهب.

انساب المُنطاد نحو الثغرة، وفي الوقت ذاته كان مُنطاد آخر يقترب من برج الحراسة، والهلال على مقدمته يضيء بلون أحمر، كأنه يضع كلمة النهاية على هذا الفصل من القصة.

7- عالم جديد

اندفع الشبان إلَى أسفل الجبل وكل يحمل سلاحه، وقد بلغ منهم التوتر ما بلغ، كان السير في الجبل مشقة، صخور وشوك وحُفَر، وصراخ.. صراخ!!

توقف الشبان عن الركض وأصاخوا السمع، كان الصراخ يأتي من كل اتجاه، فلا تعلم مصدره، حتى هتف شاب منهم:

- أنهم أمامنا إلَى أسفل.

واتبع قوله بالركض والشبان من وراءه، حتى بلغوا مكانًا فيه يتدافع الهمج فوق بعضهم إلَى كومتين.

لا تدري هل هو ذُعر أم حماقة أم سوء تقدير أم عدم خبرة أم كل هؤلاء جميعًا؟ ولكن من يحملان البنادق، لم يفكرا في الصراخ القادم من أسفل الكومتين، وبكل شراسة صبّا نار بنادقهم على الكومتين، وعلا عواء الهمج والرصاص القريب يحصدهم، حتى حجب عواؤهم الصراخ من أسفلهم، عواء استفز ذعر الشبان فكأنهم زادوا البنادق قوة ووحشية، فأخذ رصاصها يفتك بالهمج بلا رحمة و..

وجذب صوت الرصاص الهمج إليهم، وانحرف تيار الهمج من الكومتين إليهم، وتساقط الهمج ولكن هذا لم يوقفهم، كانوا يندفعون بقوة، ومن يسقط منهم يكون قد فتح طريقًا لمن خلفه، وككلاب مسعورة انقضوا على الشبان، والمقولة "الكثرة تغلب الشجاعة" تجد لنفسها مكانًا في قصتنا، لقد قاتل الشبان بكل شجاعة.. بعصيّهم.. بقضبانهم.. حتى بنادقهم جعلوها

هراوات بعد أنْ نفدت ذخيرتها، حتى بعد أنْ ضعف تيار الهمج مع صوت الرصاص الذي يأتي خافتًا من الجانب الآخر للجبل.. كل هذا لم ينفع وأحاط الهمج بالشبان، وانقضَّت كل مجموعة منهم على شاب تجعله تحتها وتنهش لحمه، و.. دوى انفجار قوي هز الجبال.. وأضاءت الثغرة بين الجبال بلهب مستعر.. وتجمد الهمج وشخصت أبصارهم إلَى لهب يأتي من الثغرة.. لهب يبدو نوره دون ناره وقد أضاء جانبي جبلي الثغرة.. الكل صمت.. حتى الشبان كفّوا عن الصراخ.. ودوى انفجار آخر.. انفجار أشد من سابقه، أو لعل سابقه أعطاه زخمًا.. فزاده لهيبًا واستعارًا.. وهنا.. هنا ترك الهمج كل شيء وانطلقوا يفرون.. يفرون لا يلوون على شيء.. يفرون.. ولكن إلَى داخل البلدة..

إلَى حين لم تصدر من شاب حركة، كأنهم جثث ملقاة، ثم بدؤوا الحركة فالنهوض.

- ماذا حدث؟

سأل أحدهم بصوت واجف، فتعالت أصوات الآخرين تجيبه بأنّ الله هو من يعلم.

- إنَّها النجدة، لقد جاءوا لمساندتنا.

قالها أحدهم، وهو جميعًا ينظرون إلَى نور اللهب القادم من الثغرة، وتذكر أحدهم شيئًا ما، فانطلق يركض نحو كومتي الهمج اللتين انطلق منهما الصراخ وهو يناديهم، تبعوه إليهما متجاهلين جراحهم وشرعوا يرفعون جثث الهمج في سرعة حتى استطاعوا الوصول إلَى (جاسر)

و(مصطفى)، جثتان مزقتهما أنياب الهمج والرصاص، لقد عرفوا من أصحاب الصراخ، شابان كانا معهم.. ماذا جاء بهم إِلَى هنا!
خيّم الوجوم عليهم وناءت سيقانهم بحملها، فأخذ كل منهم يبحث له عن مُتّكأ، وعيونهم شاخصة إِلَى الجثتين لا تفارقهما.

كانوا شبانًا صغارًا، أكبرهم وُلد بعد الحرب الطاحنة بخمسة عشر عامًا، لم يروا الموت وهو يحشّ الناس كالمنجل يجتثهم اجتثاثًا، عرفوه وقد بطر وملّ الناس وهجرهم فلا يزورهم إلا لمامًا ليخطف الشيخ والعجوز، لم يعهدوه وحسبوه كالهرِم ليس له من الدنيا حاجة، لا يعلمون أنَّ تحفته الأرواح دون الأعمار.
لم يقطع صمتهم الطويل إلا هدير مُنطاد يأتي من قمة الجبل، ثم أخذ يدنو منهم، وظهر المُنطاد وهو يطير نحوهم.
وجد المُنطاد له فسحة قريبة منهم فتوقف قريبًا من الأرض، ووثب منه قائد الحرس و(كنان) وهُرعا إليهم، لم يكن المشهد يحتاج تفصيل، ولكن شابًا منهم نهض إِلَى قائد الحرس وحدثه بالصياح والإشارة بما كان.

تعاونوا جميعًا على حمل الجثتين إِلَى المُنطاد، ثم اتجهوا إِلَى الممر وشرعوا في وضع الصخور فيه حتى أُغلق تمامًا.
أشار قائد الحرس إِلَى شابين من المصاحبين له، وصاح لُيسمع صوته:
- ستبقيان في برج الحراسة وتأخذون معكما الباقين.
والتفت للآخرين متابعًا صياحه:

- ستجدون المساعدة الطبية عند البرج، ستهتم بكم وبجراحكم.

صاح شاب:

- ماذا عن الهمج الذين فروا إِلَى القرية.

أعطاه قائد الحرس إشارة بيده بأنه سيهتم بهذا الأمر وأشار إِلَى (كنان) للذهاب معه.

*** * ***

- الشام.

هتف بها (عبد الرازق) وهم جلوس على سجادة الصلاة وقد فرغوا من صلاة العشاء وقد صلوا المغرب قضاءً، وكان رد الشيخ (سمعان) هزة من رأسه- وهو يواصل التسبيح والعد على أصابعه- بأنَّ ما يقوله (عبد الرازق) لا أمل منه.

أكمل تسبيحه وقال:

- الشام لديهم من المصاعب ما يكفيهم، صحيح إنَّهم أقل بقاع الأرض ضررًا من الحرب الطاحنة، ويحتفظون بشكل الدولة القديم، لكنَّهم يعانون ولقد خسروا قبل عامين جميع الأراضي جنوب الأناضول، بسبب وباء أصاب تلك المناطق، ومعها خسروا كثيرًا من الموارد والأراضي الزراعية، وأصدر الخليفة مرسومًا بإغلاق الحدود، حتى أنه منع دخول الدارسين إِلَى الشام، أنه يقول "لنبق أحياءً أولًا حتى نعلِّم الناس أمور

دينهم ودنياهم"، كما أنهم يكافحون بقوة ضد موجات الهجرة القادمة من الصين والهند والمناطق الشرقية، لقد أقاموا التحصينات على طول نهر دجلة، وغرسوا الألغام على ضفافه حتى يمنعون الهجرة إليهم.

توقف هُنيهة ثم أكمل:

- ويعانون نقص الغذاء حتى أنَّهم يقننون الحصص الغذائية للناس، بل يمكن القول إنَّ حالنا أفضل منهم، باختصار يجب على كل مجتمع أنْ ينهض بنفسه.

خيّم الصمت بعد حديثه، وانشغل كل منهم بأفكاره، ثم تكلم (بهاء):

- إذًا لا يوجد سبيل للحصول على مصدر للطاقة.

لم يجبه أحد، والصمت عاد من جديد ليقطعه (عبد الرازق):

- والبلدات الأوروبية؟

نظر له الآخران وعقّب الشيخ (سمعان):

- ليس لدي جديد أقوله، ولا أظنهم يملكون ما يقدمونه لكم.

نظر (بهاء) إلَى (عبد الرازق) وسأله:

- هل نعود بلا شيء؟

سبق الشيخ (سمعان) حديث (عبد الرازق) بقوله:

- لا تفقد الأمل، عليكم بالبحث، لن تجدوا ما ترغبونه، ولكن قد تجدوا حلاً ما.

وافقه (عبد الرازق) بهز رأسه وقال:

- هذا صحيح، يجب أن نستمر في البحث حتى نجد حلًا ما، سنذهب غدًا بعد صلاة الفجر إلَى بلدة (السلامة)، فإن لم نجد حلًا عندهم سنمضي للبلدات الأوروبية، لن نعود دون شيء ما يساعدنا.

الشيخ (سمعان):

- تقضون الليلة عندي وبعد الفجر تمضيان.

صمت قليلًا ونظر إلَى (عبد الرازق) ثم تابع:

- السلامة.. هناك يجب أن تكون حذرًا، ولا تتكلم إلا مع (يونس).

مُتَفهمًا هزَّ (عبد الرازق) رأسه وقال:

- بالتأكيد، ولدي ما يفك عِقاله.

*** * ***

لم يصدق الدكتور (أمجد) عينيه وهو يرى همجيين يركضان أمامه، كان جالسًا أمام بيته القريب من عيادته، وقد أضاء مصباح كيروسين ليقرأ عليه كتابه في هذه الليلة المضطربة التي يتخللها أصوات الرصاص والانفجارات، لتُفسد شاعرية القمر، حين مرّ به همجيان يركضان، لوهلة جمد في مكانه ثم رأى فرصته فنهض مسرعًا، ورغم سنه الذي تجاوز ستين عامًا، فقد ركض إلَى داخل منزله ليعود حاملًا بندقية صيد، ووثب إلَى سيارته واندفع بها في اتجاه الهمجيين.

أين هما؟.. لا أثر لهما.. أخذ يدور بسيارته القديمة في شوارع البلدة التي يظن أنَّ الهمجيين قد ركضا فيها، الشوارع خالية إلا قلة من الناس لا

يبدو عليهم إنَّهم قد رأوا شيئًا غريبًا عنهم، لقد توهم الأمر.. لقد كانا شابين وخُيّل إليه إنهما من الهمج، نعم هذا هو الأمر.. هذا ما حد... ورأهما.. الهمجيان.. في طريق على حدود البلدة ليس بعده إلا الجبال التي تحيط البلدة، يركضان عبر الطريق متجهين إلَى الجبال.

اندفع خلفهما بسيارته ويده اليسرى تُعد بندقية الصيد، وقد نسي أمر الستين عامّا، واقتربت السيارة من الهمجيين حتى صارت بمحاذاتهما، وبعنف شباب يستنكره أهل الستين أوقف سيارته حتى أوشك المقود أنْ يغوص في صدره، وتجاهل الألم وهو يحكم قبضتيه على بندقيته ويطلقها على أقرب الهمجيين إليه، سقط الهمجي وتكرر أمر غريب آخر غير مألوف في الهمج، لم يتوقف الآخر ليُهاجم الدكتور كما هي عادتهم حين يهاجم الناس أحدهم، بل واصل ركضه لا يلوي على شيء، ولم يمهله الدكتور (أمجد)، إنْ هي إلا أمتار قليلة حتى لحق بالأول بقذيفة مخدرة أصابته في فخذه.

انتزع لفة غراء من الحقيبة الصغيرة بجوار المقود، ونزل من السيارة وهُرع إلَى حقيبة سيارته ليخرج منها لفة حبال.. أسرع إلَى الهمجيين.. وشد وثاقهما، وبخفة وحذر جرّهما الواحد تلو الآخر إلَى المقعد الخلفي..

*** * ***

- من أنت وماذا تريد؟

انطلق الصوت الفظ الغليظ عبر جهاز الاتِّصال اللاسلكي مخاطبًا (عبد الرازق) الممسك بالجهاز، ورد (عبد الرازق) مجيبًا:

- أنا (عبد الرازق) آمين بلدة (الأمل)، جئت للقاء السَّيِّد (يونس).

الصوت الفظ:

- هل يعلم السَّيِّد (يونس) بقدومك؟

عبد الرازق:

- لا، ولكنه سيرحب بي.

ساد صمت طويل حتى عاد الصوت عبر جهاز الاتّصال اللاسلكي يقول:

- يمكنك الهبوط، واتبع إجراءات السلامة.

وافقه (عبد الرازق) وبدأ (محمد) يقود المُنطاد إلَى المطار الصغير في بلدة (السلامة)، والتفت (عبد الرازق) إلَى (بهاء) قائلًا:

- حين نهبط لا تحدَّق إلَى أي شخص، تظاهر بأنَّ ما تراه أمر طبيعي ومُعتاد عليه.

بهاء مستغربًا:

- وهل هنا شيء غير طبيعي؟

أطلق (محمد) صوت ملل وقال:

- كثير، كثير، فقط لا تحدَّق إليهم.

هز (بهاء) رأسه موفقًا ولم يسأل أكثر، وشرع يتابع عملية هبوط المُنطاد، الوقت قد جاوز الضحى حين هبطوا من المُنطاد واتبعوا التعليمات الصادرة إليهم عبر مذياع صوتي، اتجهوا إلَى حجرة حيث خلعوا ملابسهم وتم رشهم بمادة معقمة، وارتدوا ملابس كانت معلقة على جدار الغرفة.

قال (بهاء) وهو يسير بجوار (عمر) و(عبد الرازق):

- هل يجب أن نفعل هذا في كل بلدة؟

عمر:

- الكل يفعل هذا، الجميع يخشى الأمراض والأوبئة القادمة من الخارج.

عقَّب (عبد الرازق):

- هذه إجراءات الدخول في كل بلدة.

اقتربوا من بوابة المطار الخارجية، حينها فهم (بهاء) لماذا طلب منه (عبد الرازق) أنْ لا يحدق إلَى شخص هنا، لم ير (بهاء) في حياته هذا الكم من البشاعة والتشوه مجتمعين في بشر وفي مكان واحد، جميع الأشخاص في البلدة مشوهون، ولم يستطع منع نفسه من سؤال (عبد الرازق):

- ماذا أصابهم؟

وخزه (عبد الرازق) وهو يقول:

- فيما بعد.

شقَّ (عبد الرازق) طريقه والمكان يفسح له، قال:

- سنذهب إلَى لقاء السَّيِّد (يونس).

وأشار إلَى شخص يقف بجوار سيارة، يبدو أنَّه صاحبها، ورأسه مشقوق كثمرة خوخ ويده اليسرى توقفت عن النمو في سن الثالثة.

لم تكن هذه البلدة كبلدتهم، بلدتهم أرض شاسعة تحيط بها الجبال الشاهقة، أما هذه فهي مجموعة من الأودية متصلة معًا، أرض الوادي

طريق والمنازل والبيوت على الجانبين وعلى سفوح الجبال، المنازل هنا أكثر جمالًا وتنسيقًا، ربما كونها على سفوح الجبال أعطاها منظرًا أجمل.

وصولهم مكتب السَّيِّد (يونس) - أو هو بيته- احتاج عشر دقائق، والدخول إليه احتاج المرور بحارس وخادم والانتظار، بخلاف السَّيِّد(جمال) الذي يدخل مكتبه من يشاء بطرقة على الباب.

كان السَّيِّد (يونس) جالسًا إلَى مكتبه ورجل آخر أعطاه ظهره يجلس خلفه مباشرة، ويشاهد شيء ما على جهاز محمول من الأجهزة المتبقية من الحرب الطاحنة.

لا يمكن وصف السَّيِّد (يونس) بأنَّه غاية في الجمال، والحقيقة أنَّه خاليٌ من العيوب والتشوهات الخلقية وأقرب للوسامة، ولكن بحر القبح والتشوه هذا جعله يبدو آية من آيات الحسن والجمال.

صافحهم دون أن ينهض ولم يبال بهم الآخر، استمع إلَى (عبدالرازق) ثم قال:

- لن تجد ما تريده عندي أو في مكان آخر.

عبد الرازق:

- ولكن ربما يمكنكم صنعه.

هزَّ (يونس) رأسه آسفًا:

- لا، إن استطعنا صنعه فسيكون ضخمًا جدًا، ويصعب نقله إلَى حيث بلدتكم وباهض الثمن، ومواردنا قليلة لا نسمح بوضعها جميعًا في عتاد واحد.

استفسر (بهاء) بلهفة:

- ولكن يمكنكم صنعه؟

يونس:

- أي شيء يمكن صنعه إذا توفرت مو...

- هذا صوت جديد، لم أسمعه من قبل، أريد أن آراه، أريد أن آراه.

هذه كانت من الرجل الجالس في الخلف مُعطيًا ظهره لهم، وعلى أثر كلامه زفر (يونس) في ضيق وقال:

- ليس الآن يا (موسى).

صاح (موسى) في غضب:

- بل الآن يا (يونس)، الآن.

في الوقت الذي يسأل فيه (بهاء) نفسه، ما الذي يمنع (موسى) من رؤيته؟، آتاه الجواب المُفزع حين نهض (يونس) واستدار، لقد كان (يونس) و(موسى) رجلان.. يشتركان في الجزء السفلي من الجسد.. وينفصلان في الجزء العلوي.. إلَى رجلين.. (يونس) و..(موسى).

*** * ***

8- بصيص الأمل

- لقد قُتل (جاسر) و(مصطفى).

رفع الدكتور (أمجد) رأسه عن كتابه ونظر إلَى صاحب الصوت (عمران)، وسأل في شرود:

- من؟

كرر (عمران) جملته بغضب أكبر وصوت أعلى وهو ينظر إلَى الدكتور (أمجد) في حقد لم يبال به الدكتور (أمجد)، بل سأل في شرود:

- من (مصطفى) هذا؟

هنا عصف الغضب بـ (عمران) وضرب مكتب الدكتور بقبضتيه معًا وهو يصيح:

- مصطفى شريك مساعدك (جاسر)، لقد قُتلا وهما يحاولان جلب همجي لأجلك.

ذهب الشرود عن الدكتور (أمجد) ورد بصرامة:

- من قال أنني أريد همجيًا، لم أطلب من أحد إحضار همجيًا، (جاسر) مُتغيب للمساعدة في حماية البلدة، (مصطفى) هذا لا أعلم عنه شيئًا.

عاد (عمران) يضرب المكتب بقبضتيه ويصيح:

- أتظن نفسك ذكيًا ولا أحد يعلم بأمرك؟ لقد أخبرنا (جاسر) بما تريد وهو يحاول إقناعنا به.

برود.. صرامة.. لا مبالاة.. اجتمعت جميعًا في قول الدكتور (أمجد):

- ارفع يديك عن مكتبي، لا أعلم من أنت ولا أبالي، ولا يهمني ما تقوله، إن أخبرك (جاسر) بشيء ما فهذا شأنه، وعليك أنت التحقق منه بعيدًا عني.

أرشقه (عمران) بنظره وأسفَّ، ثم قال بهدوء الحاقد الغاضب:

- قريبًا، قريبًا ستعلم من أنا، وسيعلم الجميع من أنت.

أشار له الدكتور(أمجد) بيده بعدم اكتراث وقال:

- افعل ما يحلو لك، ولكن بعـ...

قاطعه دخول قائد الحرس إلَى مكتبه كالعاصفة ومعه شابين آخرين وهو يقول:

- دكتور (أمجد)، نريد الهمجيين اللذين أمسكت بهما.

ما يفكر فيه الدكتور (أمجد) هو أنه يحتاج بواب، الجميع يدخل دون استئذان، يتدخلون في شؤونه ويسألونه أمورًا لا تعنيهم كأنَّها حقهم الشرعي والطبيعي، نظر إلى قائد الحرس وقال بهدوء:

- أي همجيين تعني؟

بصرامة أشبه بصفعة قال قائد الحرس:

- الهمجيان اللذان أمسكت بهما ليلة أمس على الطريق بالقرب من حدود البلدة الغربية.

دون يبدل من وضعه سأل الدكتور (أمجد) في بلادة:

- من أخبرك هذا؟

قائد الحرس:

- حارس البرج، لقد سمع صوت البُنْدقيَّة وبمنظاره رآك وأنت تشد وثاقهما وتحملهما في سيارتك.

صاح (عمران):

- لهذا لا تبالي بما حدث.

والتفت إلَى قائد الحرس وهو يواصل الصياح:

- لقد قُتل (جاسر) و(مصطفى).

هتف قائد الحرس وهو يلتفت إليه:

- من؟

عاد (عمران) ينظر إلَى الدكتور (أمجد) ويصيح:

- جاسر و(مصطفى)، الشابان اللذان قُتلا بالأمس، هو من تسبب في قتلهما.

هنا نهض الدكتور (أمجد) بعنفوان من مقعده وقد حان دوره في الصياح:

- لم أقتل أحدًا...

قاطعه قائد الحرس في غضب:

- هل هذا صحيح؟

صاح الدكتور (أمجد) في وجهه:

- كلا، غير صحيح، لم أطلب منهما أن يفعلا ما فعلاه ولم أطلب منهما أو من أي شخص المخاطرة أو أن يقتل نفسه لأجلي.

ثم رفع سبابته في وجهيهما وتابع صارمًا:

- اسمعا أنتما الأثنين، ربما لا توجد لدينا شرطة ولا قانون، ولكن لدينا أعراف وقواعد يتبعها الجميع.

وأشار بسبابته نحو (عمران) وتابع:

- أنت إذا كنت تتهمني بشيء فعليك الذهاب إلَى كبير البلدة السَّيِّد (جمال)، أتعرفه؟

حدجه (عمران) بنظره وأجاب بغل:

- أعرفه.

وأدار الدكتور (أمجد) سبابته إلَى وجه قائد الحرس متابعًا كلامه:

- وأنت، اسأل السَّيِّد (سامح) عن الهمجيين.

هتف قائد الحرس مندهشًا:

- السَّيِّد (سامح)!، وما شأنه بالهمجيين؟

لوَّح الدكتور (أمجد) بيده قائلًا:

- اسأله.. والآن هل من خدمة في نطاق عملي استطيع فعلها لأجلكما؟

حدجاه بنظرات لو أفلت الله عِقَالها لقتلته في الحال، وتحدث قائد الحرس ببرود أقشعر منه جليد الشمال:

- كلا، شكرًا جزيلًا لخدماتك يا دكتور (أمجد).

وضغط بقوة على حروف كلمتي "دكتور (أمجد)" ليوصل له رسالة ما، وأشار الدكتور (أمجد) إلَى باب مكتبه وقال:

- إذًا اسمحوا لي، أنا مشغول جدًّا، البشرية تحتاجني.

استدارا يغادران المكتب ويتبعهما الشابان الآخران اللذان كانا يتابعان ما يحدث بصمت، ولم ينس قائد الحرس أن يلقي نظرة على الدكتور (أمجد) قبل أن يعبر الباب مغادرًا.

لم يعر الدكتور (أمجد) خروجهم اهتمامًا، بل عاد إلَى كتابه يقرأ فيه، إنَّ مشكلة الهمج تتعلّق بالمخ في المقام الأول، هناك شيء ما أثر على المخ أوقف التفكير وبقيت الغريزة، أما التغيرات الجسمانية وكثرة الإنجاب فهي تأثير جانبي، ربما العكس هو الصحيح! عمومًا هناك شيء أصبح وراثيًّا، شيء يتناقله الخلف عن السلف، ما هو؟

*** * ***

- وجه جديد، يبدو إنَّها زيارتك الأولى لبلدتنا، ما رأيك في بلدتنا، ما رأيك في كل هذا القبح والبشاعة؟

قالها (موسى) وهو يشير بسبابته أمام وجهه كأنه يشرح أمر ما، ويبتسم ابتسامة خبيثة، ولم ينتظر جوابًا من (بهاء) بل واصل حديثه:

- بل ربما تسأل نفسك، كيف نتدبر أمرنا أنا و(يونس)؟

هنا انتابت (موسى) نوبة غضب جنوني وهو يصيح:

- إنني انظر إلَى مؤخرته، أنظر إليها وهو يفعلها، هل تد...

- كفى يا (موسى)، كفى.

بهذا قاطع (يونس) صياح (موسى)، ولكن (موسى) واصل صياحه:

- كلا، لن تقاطعني، لن تمنعني من الكلام، أنه يحب أكل الفاصولياء، الفاصولياء، هل تدركون الجحـ...

هنا استدار (يونس) ليواجههم وهو يقول غاضبًا:

- دع عنك هذه السخافة.

ازداد جنون (موسى) وأصبح صياحه صراخًا:

- ارجعني، ارجعني، دعني أخبرهم بما تفعله بي، أنه..

هنا دخلت المكتب فتاة ممشوقة هيفاء حسناء، واحة حسن في بيداء القبح، بدر في عتمة مُهلكة..

وهذا لم يشغل ذهن (بهاء)، بعد ما رآه في هذه البَلْدَة فإن السؤال هو ما شأنها؟ ما عيبها؟ أين علتها؟

دخلت وهي تهتف غاضبة:

- من أغضب عمي؟

نظر الجميع لها - باستثناء (موسى)- وقال (يونس) غاضبًا:

- لا أحد أغضبه، أنه يمارس هوايته في إغضاب الجميع.

سارت الفتاة إلَى حيث عمها (موسى) وهي تهدئه وتطيّب خاطره، وهو أمر لم يحتاجه، لقد هدأ وذهب عنه غضبه فور سماعه صوتها، ثم تحول إلَى السرور مع قبلة على خده؛ جعلته يقول:

- بؤس الدنيا كلها يمحوه نظرة منك يا أجمل وأكمل البنات.

ثمّ تحدثت إلَى (يونس) قائلة:

- أبي، أرجوك لا تغضب عمي.

أطلق أبوها زفيرًا حارًا والغضب يتركه وقال:

- لن أفعل، أعذرني يا (موسى).

هنا انطلقت من (موسى) و(يونس) آهة ألم قويّة في آنٍ واحد، وعاد الغضب إلَى وجه (يونس) وهو يقول في غيظ:

- أنت تعلم إنَّك تؤذي نفسك كما تؤذيني.

موسى في لا مبالاة:

- لا يهم، صراخك يُذهب ألمي، ثم من قال إنني فعلت شيئًا؟

نظرت الفتاة إلَى السقف كأنها تسأل السماء الصبر والعون وقالت:

- عمّي، لقد رأيتك، بالله عليك، أنت تؤذيني قبل أن تؤذي نفسك أو تؤذي أبي.

موسى في أسف:

- سامحيني، الغضب يذهب بعقلي يا كاملة.

اقتربت منه الفتاة واحتضنت رأسه وضمته إلَى صدرها، ووضعت شفتيها على قمة رأسه في قبلة طويلة، خيّم الصمت ولم يعد يُسمع إلا صوت نحيب.

- عمّي، لا..أر..

خرج الكلمات مضغضغة تصحب الشهيق من الفتاة وهي ترفع رأسها دون أنْ تترك رأس عمها، وأسند (يونس) رأسه إلى كفيه المتشابكتين وهو يقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

لم يتكلم أحد، والإحراج جليًّا على (عبد الرازق) ومن معه ولم يجدوا سوى السكوت سبيلًا، مضت بُرهة حتى هدأ النحيب، وتبعد الفتاة رأس عمها عن صدرها، وقالت هي توجه الحديث إليه:

- عمّي، سأتركك الآن، سأعود إليك فيما بعد، هل ستكون بخير؟

لم يُسمع رد عمّها، ولكنها قبّلت رأسه مرة أخرى ثم لحظت الباقين وغادرت مسرعة، ورفع (يونس) رأسه وهو يتابع الحديث كأنه لم يُقطع:

- كما قلت لكم، من الصعب أنْ نصنع ما تريدونه، لا نملك الموارد ولا نعرف كيف سننقله لكم لو تحققت معجزة وصنعناه.

عبد الرازق:

- إذًا لا يوجد أمل؟

فتح (يونس) كفيه وباعد بينهما ليبدي عجزه، ومن خلفه ارتفع صوت (موسى) يقول:

- دعني اتحدث إليهم.

لوهلة أوشك (يونس) أنْ يرفض، ثم تراجع عن ذلك ونهض ليستدير ويجلس.

قال لهم (موسى) بابتسامة خبيثة رغم أثر الدموع في عينيه:

- ربما أملك لكم حلًا لمعضلتكم.

- حقًا.

هتف بها الثلاثة، أما (يونس) فقد هتف:

- ماذا؟

قهقه (موسى) وقال:

- نعم، حقًا.

وذهب عنه الانبساط ليحل محله صرامة مخيفة وهو يتابع:

- ولكن.. هل تستطيعون دفع الثمن المناسب؟

كاد (بهاء) و(عمر) أن يرحبا بأي ثمن يطلبه ولكن إشارة زجر من (عبد الرازق) أوقفتهما وهو يسأل (موسى):

- وأي ثمن تريده يا سَيِّد (موسى)؟

موسى:

- ثمن بسيط جدًّا، وأنتم قادرون على دفعه.

عبد الرازق والقلق في صوته وملامحه:

- وهو؟

أشار (موسى) إلَى (عُمر) قائلًا:

- هذا، أريدُ هذا الشاب، ملكًا لي.

*** * ***

- لا يمكن أنْ يسمح السَّيِّد (سامح) بهذا الأمر.

قالها قائد الحرس وهو جالس في مكتب السَّيِّد (جمال)، الذي كان يستمع إلَى قائد الحرس بانتباه، وعقّب على قول قائد الحرس:

- ولكنه سمح بذلك.

وتابع رغم الدهشة على وجه قائد الحرس:

- الدكتور (أمجد) تحدث إلينا بخصوص هذا الأمر، واستطاع إقناعنا بأهميته، وكانت المعضلة هل يستطيع أن يفعل ذلك وحده، ولكنه أكّد أنه يتواصل مع بعض أهل الخبرة والعلم في البلدات الأخرى، كما أنَّه استطاع بمساعدة السَّيِّد (عبد الرازق) من الحصول على كثير من الأجهزة التي تساعده في عمله.

سأل قائد الحرس في سخط واستنكار:

- ولم يخبرني أحدكم!

السَّيِّد (جمال):

- لم نحسم الأمر بعد، وإن كانت الموافقة المبدئية موجودة، ويبدو أنَّ الدكتور (أمجد) قد استعجل الأمر.

نهض قائد الحرس، ومحتدًا قال:

- إذًا قد فعله بدون علم الجميع.

أشار له السَّيِّد (جمال) بالجلوس وانتظر حتى عاد قائد الحرس إلَى مقعده ثم قال وهو يميل نحوه:

- لماذا تعتقد أنَّ السَّيِّد (سامح) والدكتور (أمجد) وآخرون لهم هذه المكانة بيننا؟

أجاب قائد الحرس والحذر في صوته:

- السَّيِّد (سامح) هو من أسس هذه البلدة وساهم في بنائها، الدكتور (أمجد) طبيب و..

وافقه السَّيِّد (جمال) بإمائة من رأسه وقاطعه:

- هذا صحيح، ولكن الأهم من ذلك كلّه هو إنَّهم آخر العلماء والحاصلين على شهادات عليا، هؤلاء ذهبوا إلَى جامعات حقيقية ودرسوا وتخرجوا، لقد مات أكثرهم منذ الحرب الطاحنة وبقي القليل، وهذا القليل يجب المحافظة عليه، وتقديم التقدير والاحترام الكافيين لهم، لأجل الاستفادة منهم ومن علمهم وخبراتهم، إنَّهم ليسوا مثل أبنائنا، الذين يذهبون لمدارسنا البسيطة، ومن يرغب منهم في التخصص عليه أن يبحث عن مختص يتعلم على يديه، ويأخذ الخبرة عنه، علم وخبرة لن يصلا بحال من الأحوال إلَى نصف العلم والخبرة التي كانت توفرهما الجامعات

القديمة، لأجل هذا لا يمكن أنْ نعامل السَّيِّد (سامح) والدكتور (أمجد) كالآخرين.

أدرك قائد الحرس حديث السَّيِّد (جمال) وفهمه ولكن ما أهلك إبليس جعله يقول:

- أنتركهم يفعلون ما يشاؤون؟

السَّيِّد (جمال):

- بلى، نتركهم يفعلون ما يشاؤون طالما إنَّه لا يضرنا شيئًا، ونحن نعلم إنه في الصالح العام.

التأنيب والتحذير في صوت السَّيِّد (جمال) بلغ قائد الحرس كاملًا وواضحًا، ونهض وهو لا يجد قولًا سوى:

- فليكن.

ثم كأنه تذكر شيئًا فتابع:

- ولكنني لن اتحمل أي مسؤولية عن عواقب أفعالهم، وتذكروا جميعًا إنني من وكلتم إليه مهمة حماية البلدة والحفاظ على أمنها، وأنني أوَّل من يجب إطلاعه على أمر فيه مساس بأمن البلدة، البلدة التي نعيش فيها جميعًا مع أبائنا وأمهاتنا وأبنائنا ونسائنا.

واندفع مغادرًا المكتب دون أنْ يستأذن في الانصراف، وأتبعه السَّيِّد (جمال) نظره حتى غاب عنه..

* * *

9- الصفقة

تململ الحضور في حديقة منزل التاجر (كرم) وقال أحدهم مخاطبًا التاجر (كرم):

- سَيِّد (كرم)، لقد أوشك أذان الظهر ولم تصل المَناطيد.

أيّده الجميع وآخر يقول:

- يجب أنْ نغادر سريعًا، الحال لا يبشر بخير.

قال ثالث:

- هذا صحيح، لقد تجاوز الهمج الحرس وقتلوا خمسة شبان، وبعضهم يسيح في البلدة.

السَّيِّد (كرم) وهو لا يرفع بصره عن السماء:

- لا أعلم سبب تأخرهم ولكنني سـ...

- أنا أعلمُ سبب تأخرهم.

التفتوا جميعًا إلَى قائل العبارة، فإذا هو (كنان) واقف قرب باب الحديقة، وينظر إليهم شامتًا وأردف:

- لقد نسي السَّيِّد (كرم) الإجراءات المُتّبعة للدخول إلَى البلدة والخروج منها، لقد وصلت المَناطيد ونحن نستخدمها في تأمين حاجات البلدة، ولن نسمح باستخدامها في أمور أخرى.

السَّيِّد (كرم) واقفًا برشاقة وغاضبًا:

- هل تعني أنَّنا سجناء في هذه البلدة؟

نفى (كنان) قوله برأسه وقال:

- لا يا سَيِّد (كرم)، لست سجينًا، لا أنت ولا أصدقاؤك الأعزاء، ولكننا في حاجة هذه المَناطيد للحصول على ما نحتاجه للدفاع عن بلدتنا وتعويض ما خسرناه بالأمس في الدفاع عنها، البلدة التي تنعم بخيرها أنت وأصدقاؤك، وفور أن نفرغ من حاجتنا إليها سنخبركم حتى يمكنكم الذهاب.. وبلا عودة.

لم يعقب أحدهم على قوله حتى ترك الحرج أحدهم فقال:

- مرة أخرى يا سَيِّد (كنان)، نحن لا نهرب، وسنبقى طالما هناك أمل في بقاء البلدة صامدة وقابلة للحياة.

حدجه (كنان) وباستهزاء عقّب:

- حقًا؟

ارتفعت الأصوات تؤكد كلام صاحبهم، باستثناء السَّيِّد (كرم) الذي قال:

- حقًا يا سَيِّد (كنان)، ولكن ما حدث ليلة أمس لا يبشر بخير، لقد قُتل أُناس ودخل الهمج البلدة، فماذا سيحدث الليلة؟

بصرامة بغضب قال (كنان):

- لن يحدث شيء يا سَيِّد (كرم)، وكما قلت حين نفرغ من المَناطيد سنبلغكم.

وأدار جسده لينصرف ثم عدل عن ذلك ونظر إليهم قائلًا:

- أعتقد أنكم لن تبخلوا علينا بأن نجعل تكلفة المَناطيد وما نحتاجه للدفاع عن البلدة على نفقتكم؟

تعالت أصواتهم ترحب بذلك وتقول أنه حق عليهم، ألقي (كنان) عليهم نظرة أخيرة قبل أنْ ينصرف، جلسوا بعده كأنّ على رؤوسهم الطير، حتى نهض أحدهم قائلًا:

- لن أرحل، سأشارك البلدة مصيرها.

وأتبع قوله بانصرافه دون أنْ ينظر خلفه، وتبعه (كرم) بنظره حتى ابتعد وقال في غيظ:

- اللعين، أيظن نفسه خيرًا منّا؟

لم ينتظر ردًا على استفهامه، ونظر إلَى الباقين وقد خشي أنْ ينفرط عقدهم، لذلك قال:

- كما تحدثنا من قبل، ما حدث بالأمس يحثنا على المغادرة فورًا، ولقد أوفينا حق البلدة الذي في أعناقنا، بل زدنا اليوم عليه، وسندفع إيجار المَناطيد والعتاد الذي يحتاجونه في الدفاع عن البلدة، هل بخلنا عليهم بما نملك؟

ارتفعت همهمة تؤيد قوله، فتابع:

- قبل غروب الشمس سيكونون قد فرغوا من المَناطيد ويمكننا الرحيل.

ارتفعت أصوات بعضهم تعترض ولكنه قاطعها:

- أعلم صعوبة دخول البلدات بعد غروب الشمس ولكنني أملك علاقات جيدة مع الكثير من كبارها، وأنا على يقين إنَّنا سنكون استثناءً.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، إنْ هي إلا سويعات قليلة ويتركون هذه البلدة إلَى غير رجعة...

* * *

كانت الدهشة مرسومة جليّة على وجوه الثلاثة، بل إنَّ صيحة عجب خرجت من(يونس) عند سماعهم الثمن الذي يريده (موسى)، و(عبد الرازق) أوَّل من تمالك نفسه فقال والسخرية في صوته.. في كلماته:

- حقًا تريده؟ هل ستأخذه هكذا أم نضعه في صندوق؟

لم يهتم (موسى) بسخريته، بل أصرّ على مطلبه:

- كلا، لا أريده في صندوق، على حاله يكفيني.

زاد (عبد الرازق) في الاستهزاء:

- لماذا ننقصك حقك؟ نحن نبيع البشر في صناديق فاخرة، بل هناك خصم خمسة في المئة لزبائننا المخلصين.

وترك السخرية ليأتي الغضب وليهتف:

- هل جننت؟ أم تسخر منا؟ إذا كنت تملك حقًا ما نريد، فسنعطيك السعر المناسب، بل...

هنا توقف عن الحديث وحلّ المكر في وجهه وحركاته وهو يردف:

- بل ربما نملك لكم شيء أعظم وأسمى من المال.

جاء صوت (يونس) من الخلف يسأل:

- وهل هناك ما هو أعظم من المال؟

مَلَكَ الخُبث لسان (عبد الرازق) وتحدث به:

- بالتأكيد هناك ما هو أهم وأعظم من المال، هناك..

وسكت الخبث هُنيهة ليجعل قوله أشد وقعًا وأكمل:

- هناك.. الصحة.. هناك.. العافية.. هناك.. منع.. انتقال.. التشوه.. الجيني.. للأبناء والأحفاد..

وكأن عاصفة هبت في المكان.. نهض (يونس) بكل عنفوانه واستدار ليواجههم وهو يهتف:

- ماذا تعني؟ ماذا تملك؟ تكلّم.

صاح (موسى) بقوة:

- أعدني أعدني، أنا من يتحدث معه، ماذا يقصد؟ ماذا يريد أنْ يقول؟

عاد الحزم والصرامة إلَى صوت (عبد الرازق) وكلماته:

- أعني إذا كنتم تملكون ما نريد فسندفع لكم الثمن الذي ترغبونه وربما أفضل، أما هذا الهُراء عن بيع البشر فلا أقبله.

حدق إليه (يونس) بُرهة ثم استدار وجلس، ليعود (موسى) إليهم، (موسى) الذي حلب الهدوء من ضرع العواصف، وعاد بابتسامة مقيتة أرادها مُداهِنةً ومطمئنة، ولكنها كانت كما تُخفي الغرغرة المنِيَّة:

- سَيِّد (عبد الرازق)، يبدو إنك أخطأت الفهم، أنا لا اتحدّث عن بيع وشراء البشر، لقد كنت اتحدث عن الزواج.

- الزواج..

- الزواج..

- الزواج..

- الزواج..

خرجت من أفواههم جميعًا، وقد عادت الدهشة تضطجع على وجوههم، دهشة أسعدت (موسى) فأكمل:

- بالتأكيد اتحدث عن الزواج، أرغب في هذا الشاب بعلًا لابنة أخي.

- ماذا؟

هذه الصيحة القوية جاءت من (يونس)، الذي واصل الصياح:

- دع الكاملة وشأنها، لا تتدخل في أمرها، إنَّها ابنتي أنا، وأنا أمنعك من حشرها في قصصك المريضة.

أنشب الغضب مخالبه وجه (موسى) وصاح بدوره:

- ولم لا تكون ابنتي أنا؟ ربما خرجت من صلبي أنا..

- لا يخرج من صلبك شيء، أنها ابنتي أنا.

- بل ابنتي أنا، أنا من يُنهكه التعب وتخور قواه حين تعبث أنت مع النساء، لقد خرجت من صلبي أنا.

- إنها ابنتي أنا ولن اسمح لك بتدمير حياتها.

انتقل (موسى) من الصياح إلَى الصراخ كالمجانين:

- تدمير حياتها! أنا أريد تدمير حياتها! أنا! أنا أريد إخراجها من هذا البؤس، من هذه البشاعة، لن تجد لها ربع رجل يليق بها في هذا المكان، أنا..

- كفى.

جاءت هذه قويّة هادرة من (عبد الرازق) لتوقف عراك الأخوين، وتابع (عبد الرازق) في غضب:

- ما يشغلنا أهم من تزويج ابنتكم، هناك بلدة كاملة تواجه الخطر، خطر الموت والتهجير، جئنا إليكم نبحث عن شيء، هل نجده عندكم أم نبحث في مكان آخر؟

صمت.. لم يقطعه قاطع لعدة دقائق وكل منهم يحدج الآخر.. ثم قال (موسى) برويّة:

- تجده عندنا، فهل نجد ثمنه عندكم؟

صاح (يونس):

- موسى!

لم يرفع (موسى) بصره عن (عبد الرازق) وهو يحدث أخيه:

- قلت لك إننا نملك، فهل يملكون الثمن؟

أجابه (عبد الرازق) بثقة تقتل الشك في الصدور:

- نعم، نملك الثمن.

موسى:

- خذني إلَى الخزينة.

خطا (يونس) إلى خزينة حديديّة في حائط المكتب واستدار ليفتحها (موسى) بمفتاح معلق في عنقه وأخرج منها لفافة، قبل أن يطلب الرجوع إلى مكانهما السابق.

- هذه، هذا ما تريد.

مدّ (بهاء) يده للفافة وهو يسأل بحذر:

- وما هذه؟

قال (موسى) وهو يبعد اللفافة عن متناول يده:

- إنها خريطة، خريطة تدلكم على مكان ما تحتاجونه، والآن هل تملكون الثمن؟

عمر وقد وجد حديثه لنفسه مكانًا بينهم لأوّل مرة:

- وكيف نعلم إنها حقيقية؟ وإن كانت حقيقية فكيف نعلم إنها صحيحة؟ إن كانت صحيحة فكيف نعلم إنَّ ما نحتاجه لا يزال موجودًا؟

ابتسم (موسى) ورفع إبهامه بإشارة الاستحسان وهو يغمز بعينه وقال:

- هنا يأتي دور الحد الأدنى من الثقة بين التجار، لقد رأيتم ما عندي، دعوني أرى ما عندكم، إنْ نتفق يذهب كلا منا بغنيمته، وهو يعلم أنَّ صاحبه لم يخدعه، أمانتنا معروفة ومشهورة في جميع البلدات، فهل السَّيِّد (عبد الرازق) يملك ما نملكه منها؟

نهض (عبد الرازق) الرازق من مقعده وهو يقول:

- بالتأكيد، إنَّ أمانتي لا تقبل الطعن ولا الشّك، أنا أمين بلدتي كلها لأكثر من خمس سنوات.

فتح (موسى) كفه قائلًا:

- إذا أرني ما لديك.

نظر إليه (عبد الرازق) هُنيهة وببطء مد يده إلى حقيبة صغيرة في حزامه، وأخرج أسطوانة من شبكة حديديّة والرأس والقاع على شكل نصف كرة ومن خلال الشبكة ترى أنبوبًا زجاجيًا ممتلىء بسائل أخضر و..

وشهقة قويّة خرجت من صدر (موسى) حتى تظن إنَّ روحه خرجت معها وشخص بصره إليها، حتى أنَّ شقيقه هتف:

- ماذا هناك؟ ماذاحدث؟

لم يجبه أحد، ومد (موسى) يده نحوها بسرعة.. بعنف.. بـ..

ولكن (عبد الرازق) جاء دوره ليبعدها عن متناول يده وقال:

- الخريطة هـ..

هتف (موسى) بكل قوته:

- إنها حقيقية وصحيحة وستجدون غايتكم عند العلامة الزرقاء فيها.

نظر إليه (عبد الرازق) متأنيًا، وببطء مد يده بالأسطوانة إليه، لينتزعها الآخر بلهفة واختطف (عبد الرازق) اللفافة من على المكتب، وأخذ كلاهما ينظر إلَى ما في يده.

- أيها الكاذب الحقير.

انطلقت الجملة كالقذيفة من فم (عبد الرازق) بعد أنْ فتح اللفافة، وصاح بغضب شديد:

- إنها من مدن الموت.

كانقضاضة أفعى امتدت يد (موسى) إلَى الدرج لتعود منه حاملة مسدسًا، ويضرب بقبضته زرًا على المكتب وهو يهتف:

- لا، لم أكذب، الخريطة صحيحة، والغنيمة تستحق.

اندفع فور انتهاء جملته عدد من الرجال الغلاظ وقد زادتهم التشوهات إفزاعًا، وهم يحملون أسلحتهم و(يونس) يصرخ:

- ماذا فعلت أيها الأحمق؟

أحاط الرجال بـ (عبد الرازق) ورفيقيه وينتظرون أوامر (موسى)، و(عبد الرازق) لا يراهم ويكرر غاضبًا:

- إنها من مدن الموت.

صاح (موسى) وهو يلوح بمسدسه في وجه (عبد الرازق):

- الخريطة صحيحة، لم أخدعك، ولم تشترط أنت شيئًا.

لم يترك (عبد الرازق) الصياح ولا الغضب يفارقه:

- ولو صحيحة، كيف أصل إلَى شيء يموت كل من يقترب منه.

موسى بعناد وصياح:

- من رسم الخريطة لم يمت.

عبد الرازق:

- وأين هو من رسمها؟

ساد الصمت هُنيهة ثم قال (موسى):

- لقد مات.

بُهت (عبد الرازق):

- مات!

ثم عاد غضبه سيرته الأولى:

- أيها الوغد الكاذب اللعين.

بشراسة الذئاب قال (موسى):

- كلمة أخرى وسأطلق النار عليك...

هنا استدار (يونس) ليواجههم و(موسى) يصيح:

- أرجعني، أرجعني، لم أفرغ بعد...

قاطعه (يونس) صارخًا:

- كفى، يكفيك ما فعلته.

وصمت لحظة ثم أردف:

- وأنت يا سَيِّد (عبد الرازق).. لقد تمت الصفقة، لقد حدث سوء فهم، ولكن لا مجال للتراجع.

ثم أشار لرجاله المسلحين وهو يواصل:

- اصحبوا السَّيِّد (عبد الرازق) ومن معه إلَى مُنطادهم، وتأكدوا من مغادرتهم البلدة.

حدَجه (عبد الرازق) بنظرة لو كانت سهمًا.. ثم أشار إلَى رفيقيه بأن يتبعاه وانقادوا للمسلحين.

* * *

- لا يزالون يتدفقون.

قالها (كنان) وهو ينظر بمنظاره إلى الجبال والمناطق المحيطة من برج الحراسة، وشمس الظهيرة كأنها تُحمّص الكون بنارها، وعقَّب حارس البرج:

- إنَّهم يتجهون شرقًا.

- ولكن لماذا؟

سأل (كنان) دون أنْ يترك المنظار، وردّ الحارس بمط شفتيه وهزّ كتفه وقال:

- الله وحده يعلم، بدأ الأمر بالأمس ولا يزال.

نقر شاب جاء لمساندة الحارس على أحد البراميل الثلاثة في ركن البرج وقال:

- سمعت أنَّ هذه كانت فعَّالة في إرهابهم بالأمس.

رفع (كنان) المنظار عن عينيه ونظر إلَى براميل الوقود وقال:

- لقد كانت فعَّالة، ولكن هل هي كافية؟

الحارس:

- سمعت أنّكم استعملتم اثنين فقط.

كنان:

- حقًا فعلنا، ولكن.. هل سيكفي اثنان فقط في كل مرة؟

الشاب:

- قد لا نحتاجهم أبدًا.

رفع الحارس يديه كأنه يدعو ذلك، ابتسم (كنان) وناول الحارس المنظار، وسار إلَى سلم البرج للنزول وهو يقول:

- سيأتي إليك المزيد من الشباب بعد أذان العصر.

الحارس:

- سأخذ قيلولة طويلة حتى استطيع السهر الليلة، وليتكم تحضرون شبابًا يجيدون استخدام البنادق.

الشاب:

- هذا ما نريده، ما حدث بالأمس يخبر إنَّ العصي والهراوات لم تنفع أصحابها شيئًا.

كنان وقد أوشك رأسه على التواري عن أنظارهم وهو ينزل على سلم البرج:

- لذلك سيأتونكم بعد أذان العصر، يجري تدريبهم الآن، وسيأتون ببنادقهم وعتادهم.

التفت الشاب إلَى الحارس:

- هل تظن أنَّ بضعة ساعات من التدريب ستكون كافية؟

وضع الحارس المنظار على عينيه وأجاب:

- يكفيني أنْ يطلقوا النار ناحية الهدف، لا نحتاج قنّاصة ولا محترفين.

أخذ يمسح المحيط من حوله وينظر إلَى أفواج الهمج وهي تتدفق نحو الشرق، وكأنه يحدث نفسه:

- لا تدري هل هم يفرون من الغرب؟ أم أنَّهم يتجهون للشرق؟

لوهلة لم يفهم الشاب مقصد حديثه، فلما فطن إلَى ذلك قال:

- أتمنى أنَّهم يتجهون إلَى الشرق.

رفع الحارس المنظار عن عينيه والتفت إليه مبتسمًا وسائلًا:

- ولم؟

الشاب:

- إن كانوا يفرون من الغرب، فهذا يعني وجود خطر هناك، وربما سيتبعهم إلينا، أمّا أنْ يتجهوا إلَى الشرق فهذا يعني أنَّ هناك ما يرغبونه، وفي هذه الحالة لن يعنينا من أمرهم شيئًا.

فكر الحارس في حديث الشاب واستحسنه:

- وجهة نظر لا بأس بها.

وأعطى الشاب المنظار وهو يقول:

- سآخذ قيلولة، وسأجعلها طويلة، لا نعلم ما ينتظرنا الليلة، احرص على مراقبة كل شيء، وايقضني عند حدوث أمر ما.

تناول الشاب المنظار وهو يقول:

- حسنًا، وإن كنت أظن إنَّ ليلة الأمس لن تتكرر.

وجميعنا يتمنى ذلك.. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. واسأل من كان بذلك خبيرًا..

* * *

10- رماد التاريخ

بلهفة العَطِش للماء انتظر (بهاء) حتى أصبح المُنطاد في سماء بلدة (السلامة) مُتجها لوجهة ما، ليلتفت إلَى (عبد الرازق) ويهتف:

- ما كل هذا؟

أما (عُمر) فصاح:

- لقد خدعونا، هؤلاء الأوغاد الملاعين خدعونا، أعطيناهم ما يريدون وأعطونا هراء، ويتشدقون بأخلاقهم وسمعتهم الحسنة.

التفت سائق المُنطاد (محمد) إليهم سائلًا:

- ما بكم؟ ماذا حدث؟

في عجالة أخبره (بهاء) بما حدث معهم وانتظر (عبد الرازق) حتى فرغ من إخبار (محمد) بما حدث، ثم التفت إلى (عُمر)، وبهدوء قال:

- كلانا، نحن وهم، أخذ شيئًا لن يفيده.

بدهشة نظر إليه (كنان) و(عُمر)، قبل أن يهتف (كنان):

- ماذا تعني؟

ابتسم (عبد الرازق) قائلًا:

- أعني أنه لا يمكن وضع مصْل طبي في جيبك، خاصة وقد تم انتاجه منذ أربعين عامًا، هذه الأشياء تُحفظ في مُبردات وأجهزة خاصة بها.

لم تختف الدهشة من وجوههم حتى ازالتها ضحكة عالية انطلقت من بين شفتي (عُمر)، قبل أنْ يقول:

- يا لك من خبيث، لقد كنت تخدعه.

نفى (عبد الرازق) قوله بهز رأسه وقال:

- لا، لم أخدعه، لقد أعطيته دليلًا بأنني أمتلك ما يريده، ولكن الدليل أذهب عقله وحسب أنَّ هذا ما يريده، لم يكن خداعه في نيتي، ولكنه الآن يستحق ما يصيبه، فهو من حاول خداعي.

واصل (عُمر) ضحكه، وابتسم (محمد) وعادت اللهفة إلَى (كنان) فصاح:

- والآن اخبرني ما كل هذا؟

بعيون تستفهم ولسان ساكت نظر إليه (عبد الرازق)، فهتف (كنان):

- هذه البلدة، ما حكايتها، لماذا أهلها هكذا، ما قصة ذلك المصْل، ما هي مدن الموت، هل تقصدون بها المدن القديمة؟ ما أمر تلك الفتاة؟

ضم (عبد الرازق) أنامل يُمناه يسأله بها التروي وقال:

- واحدة واحدة، قصة هذه البلدة هو أنَّ أهلها وجدوا في اجتماعهم فيها السكينة بعيدًا عن البشر الأسوياء، الأسوياء الذين يُفزعون ويخافون من رؤية هؤلاء، أما ما أصاب هؤلاء فغالبًا هم ذراريّ ضحايا القنابل النووية والقنابل الجرثوميّة في الحرب الطاحنة.

محمد:

- اللعنة، ألف لعنة على هذه الحرب وعلى من أشعلها.

عُمر:

- أي والله.

سهم (عبد الرازق) ببصره وقال كأنه يحاول تذكر معلومة طواها النسيان:

- يقول المؤرخ (عبد القادر اليافي) في كتابه (رماد التاريخ): في نهاية الحرب العالمية الثانية، وظهور السلاح النووي بيد الولايات المتحدة الأمريكية وقوته الفتاكة، تربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش العالم، واتخذت مجالس ومنظمات شكلية لخداع العالم بأنها تديره بالاشتراك مع الجميع والقوى المُنتصرة، والحقيقة أنَّها تديره وحدها وتضرب بكل شيء عرض الحائط حين يتعارض مع مصالحها، واستخدمت أسلوب "العصا والجزرة" بطريقة أفسدت كل بقعة في الأرض، ولكن الدور الذي اتخذته لنفسها كقائدة للعالم بالإضافة لحروبها الخاصة، جعلها مع الوقت مُنهكة ومثقلة بالديون للجميع، ومع الوقت ظهرت قوى منافسة كالصين واستعادت أخرى قوتها كروسيا، وظهرت تكتلات جديدة وأصبح هناك من ينازعها على عرش العالم، وهنا أدركت الولايات المتحدة الأمريكية حاجتها إلى حرب عالمية جديدة -وهو أمر كانت تدرك أنه واقع لا محالة- لتصفير ديونها والتخلص من خصومها واستعادة قوتها وتفردها بقيادة العالم، وبدأت لعبتها من جديد، ومع انقضاء الثلث الأوَّل من القرن الحادي والعشرين -هذا القرن- كانت كل بقعة في الأرض تغلي من الحروب والأزمات، ولكن هذه المرة كانت تختلف، الجميع كان يدرك ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية، والجميع اتخذ قرارًا واحدًا "يجب التخلص من الولايات المتحدة الأمريكية، وإزالتها من الوجود وتقاسم إرثها"، وعلمت الولايات المتحدة الأمريكية بذلك وكان قرارها "عالم ليس فيه الولايات المتحدة الأمريكية، هو عالم لا يستحق الوجود في عالم الولايات المتحدة الأمريكية"، والحرب تستعر

علمت الولايات المتحدة الأمريكية أنَّ حلفاءها يشاركون أعداءها طموحهم في التخلص منها، وجُنّ جنونها، وقررت التخلص من الجميع وبدأت بحلفائها، وقضت عليهم بأسلحة تحمل اسماء تُظهر استهزاءها بهم، فدمرت (كندا) بقنبلة جليدية اسمها "أتذكر؟ لقد كُنّا معًا"، قنبلة من قوتها جمدت الهواء، حتى أنَّ الطيور ماتت في السماء ولم تسقط أرضًا بفعل الهواء المتجمد...

- يا للهول.

- يا للوحشية.

- يا الله.

قطع حديثه صيحات الانفعال من الآخرين، فنظر لهم واجمًا، وأكمل:

- لم تكتف بهذا، بل فعلت أكثر.

- هل هناك أكثر من ذلك؟

- كيف لم تؤثر فيهم؟

قاطعه (محمد):

- معذرة على المقاطعة، ولكن إلَى أين نتجه؟ هل سنعود لبلدتنا؟

التفت إليه (عبد الرازق):

- لا، سنذهب إلَى البلدات الأوروبية على الساحل الشمالي، وابحث في الطريق عن بلدة، نحتاج التزود بالوقود والطعام والذخيرة.

وافقه (محمد) بإيماءة من رأسه، وعاد (عبد الرازق) ينظر للآخرين بعيونهم الملهوفة، وتابع:

- كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أخلت الحدود من السكان بحجة منع الاحتجاجات من قبل السكان عند إعادة رسم الحدود مع (كندا)، بعد إلقاء القنبلة الجليدية، أمرت أحد جنودها بالذهاب إِلَى الحدود، وإطلاق رصاصة واحدة فقط على الأراضي الكندية، رصاصة واحدة فقط جعلت (كندا) بأشجارها وأحجارها وبيوتها ومساكنها، والأبدان والأجساد تسقط أرضًا كبيت من الرمال، لتُصبح (كندا) سهولًا وتلالًا من الهباء.

شهقات الآخرين جعلت الصمت يجثم بينهم حتى أفزعه قول (عُمر):

- وحلفاؤها الآخرون؟

أكمل (عبد الرازق) حديثه:

- لم يكونوا أفضل حالًا منهم، أغرب النهايات كانت من نصيب حليفتها بريطانيا، لقد دمرتها بقنبلة غريبة اسمتها "حفل الوداع"، انفجرت القنبلة ولكن بدلًا من سماع صوت أنفجار سُمع صوت ألحان كأنَّها فرقة تعزف، أخذ يتعالى ثم خرص فجأة، ومع خرصه خرصت بريطانيا، يقول من نجا "في البداية تحسب إنَّ كل شيء جمد في مكانه، ولكن إنْ تحاول تحريكه يتهاوى كالرماد، كل شيء، البشر والحجر والنبات وكل دابة"، ومعها قضت استراليا بقنبلة أخرى اسمتها "أحبك كما كنت"، لا يمكنك أنْ تفرق المدن عن محيطها إلا من لون الرمال، دبّ الرعب والفزع في العالم حتى أنَّ رئيس إحدى الدول قال: "إنَّ أسمى فخره أن يكون حذاءً في قدم أمريكي"، وأعلن الكثير من الدول استسلامهم وخضوعهم، باستثناء روسيا التي أطلقت أقوى ما في جعبتها على الولايات المتحدة الأمريكية، صاروخ اسمته "أوتاد الشيطان"، يُقال إنَّ من قوته أن الصفائح الأرضية

تحت الولايات المتحدة الأمريكية انشطرت وتزلزلت الأرض كلها وفاضت البحور والمحيطات وغرقت جميع سواحل العالم والمدن الساحلية، ولكن ما يهم أنَّ أمريكا انتهت تمامًا، لقد التقى المحيطان على جانبيها، ولم يبق منها سوى قطع صغيرة صارت جزر صغيرة.

زفرات الارتياح انطلقت من معه، وتعالت أصواتهم:

- الحمد لله.

- تستحق.

- يُمهل ولا يُهمل.

وبارتياح أضاف (بهاء):

- وانتهت الحرب.

نظر (عبد الرازق) إليه وقال:

- لا، لقد بدأت للتو.

بصوت واحد صاحوا جميعًا:

- ماذا؟

هز (عبد الرازق) رأسه وهو يفكر متأنيًا، قال:

- لقد كان الجميع يعد لهذه الحرب منذ أمد بعيد، ويجهز لها وقودها ويحتفظ في جعبته بالكثير، والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين وحلفاؤهم كانوا يحتفظون بقواعد لهم في جميع بقاع الأرض، والكثير منها سريَّة لا يعلم عنها أحد، أمريكا وضعت في حسبانها أسوأ الاحتمالات وهو زوالها، ووضعت لذلك خطة انتقام اسمتها "نزول آدم"، فور زوالها بدأ تنفيذها، تنفيذ جعل العالم يكذّب أخبار فنائها، كان المسؤلون

الأمريكيون يظهرون في الأخبار على القنوات الأمريكية، ويطلقون التهديدات التي يتم تنفيذها فورًا، وكانت روسيا والصين أول طبقين على مائدة الانتقام، احتاج العالم بعض الوقت كي يدرك أنَّ من يحاربهم برنامج ذكاء اصطناعي تنتشر مراكزه السرية في أكثر دول العالم، وكان البرنامج يدمر دولة كاملة بما يملكه من اسلحة نووية أو جرثومية أو كيميائيّة، ثم يدمر الدولة التي يعمل فيها مع نفسه، لينشط برنامج آخر في دولة أخرى ويفعل مثل سابقه، حتى لم يسلم جزء من الأرض من الخراب والدمار والتلوث، باستثناء أرض الشام لحكمة لا يعلمها سوى الله، إفريقية وأمريكا الجنوبية والمنطقة العربية دُمرت بشكل كامل في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ورغم هذا نجا الكثيرون من هذه الحرب الطاحنة، ثم جاءت الطامة الكبرى التي قضت على البشرية جمعاء إلا قليلا.

صاح (عُمر):

- هل هناك المزيد؟

عبد الرازق:

- بالتأكيد، كأنَّ الله يريد أن يعاقب البشر على إفسادهم في أرضه، ونشرهم الإلحاد والربا والمجون والظلم، يريد أن يمحقهم بما قدمته أيديهم على أيديهم، بعد انتهاء الحرب عصفت العواصف والأعاصير والزلازل بالأرض على مدار خمسة عشر عامًا متتالية، وكانت تنقل التلوث والأوبئة من مكان إلَى مكان ومن أرض إلَى أرض، والأمطار تغسل الهواء ولكنها تضع التلوث والأوبئة في الأرض والماء، فينبت النبات مريضًا هزيلًا، يصيب من يأكله بالأمراض فيهلك، حتى هلك أكثر

أهل الأرض، ومن بقي منهم هرب إلى الجبال وتحصن بها، ورضي بعيش الحيوانات خاصة وقد صارت المدن أرض الموت، حَوَت داخلها جيوب للأوبئة والأمراض والتلوث، لم تفلح الرياح والأمطار في غسلها، وخلت من الماء والطعام وظهرت فيها مخلوقات وكائنات لم يعهدها البشر، ثم نشأت طفرات من البشر لا يجمعها بالبشر سوى الهيئة كالهمج وسواهم، وولد جيل مشوه مثل قاطني بلدة (السلامة) ورغم مرور أربعين عامًا على الحرب الطاحنة، لا يزال أكثر الأرض لا يصلح للحياة، والمخاطر والكوارث تعصف بها.

وصمت (عبد الرازق) ولم يُعقِّب أحدهم، كلّهم صامت يفكر في ما سمعه، ويقلّبه من جميع الوجوه ويتأمل المأساة التي حلت بالأرض، مأساة صنعها فجور الإنسان وفسقه وظلمه وجعل عقوبتها بيده، ثم يسأل بكل وقاحة "أين الله؟ أليس هو الغفور الرحيم"، حتى قطعت صيحة أفكارهم، صيحة خرجت من (محمد)، هُرعوا إليه لتصطدم أبصارهم بمشهد هزّ وجدانهم، مشهد لا يعرفه أحدهم ولم يره من قبل..

* * *

11- المدينة القديمة

- يا.. يا.. يااااا.. عيييييني.. يا.. يا.. ليييي.. يـ.. يييـ.. لي، يا.. نجوم.. يا..

وضع (يونس) مرفقيه على مكتبه واتكأ برأسه إلَى قبضتيه المتشابكتين، وهو يستمع إلَى غناء (موسى) بصوته الأجش، والنشوة تعصف بـ (موسى) وهو يطاوح برأسه ذات اليمين وذات اليسار، ويلوح بيده وفيها الأنبوب الذي حصل عليه من (عبد الرازق).

- موسى.

- ياااااااا... ليييييييـ.... يييـ

- موسى!

انطلقت هذه المرة قوية عالية من بين شفتي (يونس) لتُخرج (موسى) من نشوته فزمجر:

- ماذا تريد؟

قال له (يونس) والهدوء يسربل كلماته:

- أنت تعلم إنَّك لم تحصل على شيء.

مستخفًا ومستهزءًا قال (موسى):

- حقًا! وما هذا الذي بيدي؟ وهم؟ لعبة؟

- بل دليل أنَّ (عبد الرازق) يملك ما تريده.

- دليل؟ دليل على أي شيء؟

- أخبرتك، إنَّه يملك ما تريد، لا أحد يحمل هذه الأشياء في جيبه.

ضحك (موسى) وساخرًا قال:

- إذًا أين يضعها؟ في جيب الآخرين؟!

ويبدو إنه أُعجب بقوله فشرع يضحك، لم يهتم (يونس) بل قال:

- بل في عتاد خاص يضمن بقاءها وفعاليتها، خاصة وقد مضى على إنتاجها أكثر من أربعين عامًا.

في خشونة سأل (موسى):

- وما أدراك بهذا؟

- لقد بحثنا عن هذا سنينًا طويلة، وما وجدناه منها كان فاسدًا، كل ما وجدناه كان موضوعًا في أماكن لها طبيعة خاصة، أماكن فقدت طبيعتها الخاصة بإنقطاع التيار الكهربائي وتحطم أبوابها وجدرانها.

هتف (موسى):

- انظر إلَى هذه، إنَّها تختلف عن كل ما وجدناه، إنَّها جديدة، لا كسور ولونها لا يختلف عن الأصل الموجود في المجلة القديمة التي تتحدث عنها، بل لا يوجد فيها انثناء واحد، بل لا يوجد عليها خدش واحد.

بهدوء عقَّب (يونس):

- ولكنها - مثل كل شيء- لها مُدة صلاحية، وحتمًا انتهت صلاحيتها حين أُخرجت من الحافظة الخاصة بها.

أخذ كلام (يونس) يدخل رأس (موسى)، ويعبث بأفكاره ويزيح عنه نشوة الظفر، وتذكر دهاء (عبد الرازق) وحذره منذ أن عرفه ووجد نفسه يصرخ:

- الحقير.

ثم تنبه لأمر ما، فاستعر غضبًا:

- لماذا لم تخبرني في حينها؟

رفع (يونس) رأسه عن قبضتيه وصاح:

- ألا يكفينا قُبح الخلقة حتى نضيف إليها قُبح الأخلاق.

- أيها الأحمق لقد أعطيته خريطة حقيقية لما يحتاجه.

- خريطة لمدينة من مدن الموت يا (موسى).. الموت.. هل تعي ذلك؟ لقد أعطيته شيئًا لن يستفيد منه.

- ولكنها حقيقية يا أحمق، إن لم يجد ما يريده فسوف يذهب هناك ليحضره.

- يذهب إلى مدينة الموت! (عبد الرازق) ليس بهذه الحماقة.

- الغنيمة تستحق يا أحمق، أنه مصدر طاقة لا ينضب ويكفي لتشغيل مائة بلدة كبلدتنا بأقصى طاقتها بأدنى جهد.

بُهت (يونس) وهتف:

- إلى هذا الحد!

- نعم يا أحمق، إلَى هذا الحد.

صمت (يونس) هُنيهة ثم قال:

- ولكن (عبد الرازق) لا يعلم هذا، فلم يخاطر بالذهاب؟ ثم من أخبرك بأمر هذا المصدر؟

ساد الصمت مرة أخري ليقطعه (موسى):

- صدقت، (عبد الرازق) لا يعلم، ولكن اليأس من العثور على ما يريد، قد يدفعه للمخاطرة.

وعاد إليه جنونه وصراخه:

- وأنت من ساعدته في خداعي.

- لم تخبرني، كيف علمت بأمر المصدر وقوته؟

- يا أحمق، كان مع الخريطة ورقة تشرح بالتفصيل شكل المصدر وطريقة تشغيله وقوته، لقد كان من أعظم ما صُنع في مجال توليد الطاقة، وقد صُنع قبل الحرب الطاحنة بسنوات قليلة وبأعداد قليلة بسبب تكلفته الباهضة.

- وأعطيته الورقة مع الخريطة؟

- لا، الورقة معي، هل تظنني أحمقًا لأعطيها له!

في دهشة سأل (يونس):

- ولم احتفظت بها؟ هل كنت تنوي خداعه؟

- بل كنت أرغب في المزيد من هذه يا أحمق.

- توقف عن نعتي بالأحمق، هو لا يعلم بقوة المصدر، لذلك حتمًا لن يفكر في الذهاب والبحث عنه.

- وما يدريك يا ملك الحُمقى؟

زفر (يونس) بقوة قبل قوله:

- كفى، إنها من مدن الموت، لم يذهب أحد إلَى مدينة من مدن الموت وعاد حيًّا.

- من وضع الخريطة عاد حيًّا يا أحمق.

- قلت لك "كف عن نعتي بالأحمق"، أقسم إنْ لم تتوقف سأذهب إلى المقهى الذي تبغضه وأمكث هناك الليل كله، من وضع الخريطة مات بعد

عودته بدقائق وقد أثخنته الجراح، وقد قُطعت ساقه وتلفت عينه ومُزّق وجهه ولم يخل شبر من جسده من الجراح، وبدا فريسة ألف ذئب جائع.

- ربما يكون حظهم أفضل.

- لا أظنه سيذهب إلى هناك، فإنْ ذهب وعاد حيًّا، سيكون لنا معه شأن آخر.

وملّ الكلام مجلسهم وغادر تاركًا الصمت معهم..

*** * ***

نظر (كنان) إلَى الجبال أسفله ورؤوسها توشك أن تضرب قاع منطاهم المتجه غربًا، ونظر إلَى قائد الحرس قائلًا:

- هل تظن أننا سنجد شيئًا؟

لم يجبه قائد الحرس فورًا، وواصل في فحص سلاحه والتدقيق فيه قبل أنْ يقول:

- لا أعلم، الهمج يفرون من شيء ما في الغرب، ما هو؟ لا نعلم، نحن الآن نتجه غربًا لعلنا نجد شيئًا.

قال سائق المُنطاد بصوت عال:

- إننا نقترب من المدينة القديمة، رُبَّما نحتاج أقل من ساعة حتى نبلغها.

قائد الحرس:

- سنمضي غربًا قدر ما نستطيع، لعلنا نجد تفسيرًا أو سببًا لما يحدث.

قال شاب يجلس قبالته:

- ألم يكن استخدام الطائرة أفضل وأسرع؟

أجابه قائد الحرس بسؤال آخر:

- ومن أين نأتي لها بمطار حين نحتاج الهبوط في مكان ما؟

كنان:

- نحتاج طائرة عموديّة.

الشاب:

- نعم، إنَّها بديل أفضل من المُنطاد.

قائد الحرس:

- وثمنها باهض جدًا، وعند العطب قد لا نجد لها قطع غيار أو إصلاحًا.

ورفع نظره عن سلاحه إلى الشاب مبتسمًا وأردف:

- علينا أنْ نكتفي بالمُنطاد في ظروفنا الراهنة، ثمنه مناسب وإصلاحه سهل وقطع غياره متوفرة.

ثم دار بسبابته في أرجاء قارب المُنطاد متابعًا:

- ثم في أي طائرة ستجد هذا البراح، أنه أشبه بحجرة طويلة مؤثثة جيدًا، ولن تجد هذا في أي طائرة.

استمر حديثهم حول المَناطيد والطائرات ومزاياها وعيوبها، حتى قطع حديثهم قول السائق:

- نحن نقترب من المدينة القديمة.

وقفوا خلف السائق ينظرون عبر نافذة المُنطاد إلَى المدينة القديمة وهي تقترب منهم شيئًا فشيئًا.

سأل قائد الحرس السائق:

- ألم تر شيئًا يلفت الانتباه حتى الآن؟

- نعم، لم أر شيئًا.

اقتربت المدينة أكثر، لتظهر معالمها، كانت مدينة صغيرة وبسيطة، أعلى مبانيها لم يزد عن خمسة طوابق، وظهرت مبانيها وقد علاها الغبار والتراب، وشوارعها غمرتها الرمال وأوشكت أن تُطْمس، والسيارات المُحطمة في الطرقات، وأعمدة الكهرباء ترنحت وأسلاكها تقطعت، وسقطت أكثر اللوحات التي تُخبر السَّابلة، وذهب لونها وبهت كلامها، كأنها علمت ما من أحد هنا لترشده، كانت الرهبة حاضرة معهم، تشاهد المدينة التي أصبح أوّل مبانيها تحت مُنطادهم، وتحشرج صوت السائق وهو يقول:

- هل انخفض قليلًا؟

قائد الحرس بعد صمت:

- فقط بقدر نرى فيه الأشياء واضحة، ولا تقترب كثيرًا من المباني.

بدون وعي منهم أمسك الباقون أسلحتهم بقوة والسائق ينخفض بالمُنطاد، ليبدو المشهد أكثر وضوحًا.

الحال خارج المُنطاد غير داخله، هدير المُنطاد يدوي في سماء المدينة الصغيرة، يصرخ فيها فلا تسمعه، ويلكزها في جوانبها فلا تحرك ساكنًا، جثة هامدة غادرتها روحها ولم تجد ضريحًا.

اقترب المُنطاد من مركز المدينة حيث حديقتها الرئيسية، وليس لها من سمة الحديقة إلّا الظّن.

- هناك.

صاح (كنان) وهو يشير نحو مبنى قريب من الحديقة، التفت الجميع إلى حيث أشار، ولم تبصر عيونهم ما رأى أو شيئًا غريبًا عن المكان.

قال قائد الحرس متوترًا:

- ماذا هناك؟

قال (كنان) في تردد:

- كان هناك شيء على نافذة المبنى.

هتف السائق:

- شيء؟! شيء مثل ماذا؟

بتردد أكبر قال (كنان):

- شخص عارٍ ينظر إلينا.

الشاب مدهوشًا:

- شخص! وعاري!

قائد الحرس وقد زاد توتره:

- لقد رأيته.

صاح الباقون في صوت متعجب واحد:

- رأيته!

(كنان) شاركهم الصيحة، وردّ قائد الحرس على صياحهم بهز رأسه كأنه ينفض منه ماءً:

- رأيت بطرف عيني شيء يتحرك، وحين نظرت إليه لم أجد شيئا، فظننت إنني تخيلته.

نظر الباقون إلى قائد الحرس ثم أداروا وجوههم إلى المبنى، المبنى الذي خلع عنه رداء السكون وارتدى ثوب المهابة.

قال قائد الحرس للسائق:

- اقترب من المبني ودر حوله بحذر شديد، لعله أحد الهمج.

أراد (كنان) أنْ يقول له إنَّه يعرف الهمج وهذا ليس منهم، كتم قوله وجعل ظّن قائد الحرس أُمنيته.

دار سائق المُنطاد حول المبنى بحذر شديد وقد أبقى مسافة كافية بينه وبين المبنى.. لم يروا شيئًا و..

- دعنا نهبط على سطحه.

قالها (كنان) ثم أردف:

- لقد رأينا شيئًا، دعونا نعرف ما هو.

نظر الشاب والسائق إلى قائد الحرس الذي غاص بصره وذهنه في المبنى الشاخص أمامه، ولم يرد قائد الحرس من فوره، تمهل وجعل كلماته تخرج متأنية:

- هل تعلم ماذا يعني هبوطنا؟

بهاء في حدة:

- يعني إننا سنحسم ما شاهدته أعيننا.

السائق:

- بل يعني أنْ نُمنع من دخول بلدتنا لأربعين يومًا.

نظر قائد الحرس إلى (كنان) وعقَّب:

- هذا صحيح، إجراءات السلامة تمنع دخول المُدن، خشية التلوث أو وجود جيب وبائي لم تصله الرياح أو الأمطار، وأي احتكاك مباشر أو غير مباشر سيجعلنا خطرًا على أنفسنا وبلدتنا.

تكلم الشاب:

- سنُمنع من الدخول وسنبقى في قفص خارجها ويُطعموننا كالكلاب، يلقون لنا الطعام من بعيد ويفرون.

أكمل عنه السائق:

- وسيراقبوننا أربعين يومًا، خلالها إذا رأوا أي علامة مرض علينا أو حتى شكّوا فلن ندخل البلدة ابدًا، وربما يقتلوننا حتى لا ننشر العدوى في المحيط.

كان (كنان) يعلم هذا كله، ولكن رغبته في التيقن مما رآه، جعلته راغبًا في تجاهله، ولكن صوت العقل صدح وعلا وجعله يقول:

- حسنًا لن نهبط، ولكن لنقترب أكثر حتى نستطيع تحرّي الأمر.

هز السائق رأسه بمعنى "لك هذا"، وأخذ يقترب أكثر من المبنى، وهم يكتمون أنفاسهم وسلاحهم يغوص في لحم أيديهم، دار السائق حول المبنى وهو يقترب منه أكثر فأكثر، حتى استطاعوا رؤية قطع الأثاث والغبار الذي يغطيها، و..

ووجدوا أنفسهم ينظرون إلى كائن مخيف، وثب من حيث لا يعلمون ليحط على زجاج نافذة القارب ويمسك بحوافها بقوة و..

كائن مُسحت ملامح وجهه، ليبدو كمن وضع جسمه كله في حلة من المطاط بلون الجلد ثم شدّه عليه، ومن فوقهم جاء صوت آخر.. وآخر..

وآخر، وعشرات الأصوات وسط صياح السائق المذعور يسأل عن كنه هذه الأشياء، و.. أنَّ المُنطاد يهبط بهم.. ومن جميع النوافذ تظهر هذه الكائنات.. أما الفزع الأكبر حين أخذت هذه الكائنات تضرب النوافذ برؤوسها.. تريد أن تحطمها.. تريد أنْ تنفذ إليهم..

*** * ***

12- كائنات

- ما هذا؟

سأل (بهاء) وهو ينظر للمشهد المهيب أمامه، مشهد لم يره في حياته، بل لم يره أحدهم، وأجابه (عبد الرازق) في رهبة:

- لا أعلم.

أمام أعينهم المحدقة، سربٌ من الطيور المهاجرة، تطير كأنها طير واحد له مائة انعكاس، تندفع كالسهم نحو الأرض تريد اختراقها، حتى إذا اقتربت منها عدلت عن قرارها، ورفرفت بجناحها لتندفع نحو السماء في انسيابية الماء، ترسم على صفحة الأفق قوسًا قعره على الأرض وأطرافه في السماء.. ثم ترسم دائرة في السماء، لتقدم عرضًا راقصًا لجمهور لا يراه سواها، حالها سجين قضى في غيهب السجن دهرًا وخرج إلى براح الدنيا يعانق كل ما فيها..

عالمهم ينهض من جديد.. يدفع عنه الخوف.. ينفض عنه رماد الحرب.. يداوي جراحه.. يستعيد ذاكرته.. يرسم حاضره.. وينظر لمستقبله.. ويشكر ربه الغفور الرحيم..

واصل الطير رقصه وهو يبتعد ويتضاءل حتى اختفى في الأفق.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، والجميع يشاهد في رهبة، ولا يعلم أيفرح أم يترح أم يطرح، بل أنَّ (محمدًا) ترك قيادة المُنطاد وشاركهم التحديق في المشهد..

- ما هذا؟

كررها (بهاء) وجيء بالصمت جوابًا على سؤاله، نفضوا الرهبة عنهم، وعاد كل منهم إلى مكانه السابق، وهو يفكر في ما رآه، حتى قطع (محمد) أفكارهم بإعلانه وجود بلدة قريبة.

لم يتخيل (بهاء) مقدار الصعوبة التي واجهتهم في الحصول على الوقود والطعام والذخيرة، قائد الحرس رفض دخولهم بدون معرفة مسبقة أو كفيل معتمد، وأمين البلدة الذي يعرف (عبد الرازق) مُتغيب في مهمة خارجية، واحتاج الأمر اتصالات كثيرة من قبل قائد الحرس حتى استطاع الوصول إليه، والعديد من الخطوات للتحقق من أنَّ (عبد الرازق) هو الشخص المعني الذي يعرفه أمين البلدة، ثم السماح لهم بالهبوط دون مغادرة المُنطاد، وإرسال ما يحتاجونه إلى باب المنطاد، ولم يُسمح لهم بفتح باب المُنطاد لإدخالها حتى ابتعد عمال المطار، ولم تؤخذ منهم الأموال بل رُفضت، وأُضيفت على حساب (عبد الرازق)، وستُجبى منه في السوق العظيم حين يلتقيه أمين البلدة، وحين طار المُنطاد شاهد عمال المطار وهم يقومون بتطهير موضع هبوط مُنطادهم، باختصار.. تمت معاملتهم كوباء.

- ما هذا؟

لم يمل (بهاء) من تكرار سؤاله، ولكن هذه المرة جاوبته ضحكات (محمد) و(عُمر) وابتسامة (عبد الرازق) وهو يقول:

- يجب أنْ تعتاد هذا، هناك مبالغة في الحذر، ولكن هذه الإجراءات يتبعها الجميع، مشيئة الله جعلت أمين البلدة غائبًا، لأن وجوده سيختصر الإجراءات وسيسمح لنا بدخول البلدة.

بهاء:

- ولكننا لم نحتج هذه الإجراءات لدخول بلدة (الحُطام) ولا بلدة (السّلامة)!

عبد الرازق:

- لأن الجميع هناك يعرفوننا ويثقون في وفي فريقي، ويعلمون إنَّني أعلم قواعد السلامة والتزم بها، ورغم هذا شاهدت بأم عينك ماذا فعلوا بنا حين دخلنا بلدة (السّلامة).

بهاء:

- وكيف سندخل البلدة الأوروبية؟

أشار (عبد الرازق) بيده أنْ لا يهتم لذلك وأوضح:

- معرفة أمين البلدة هي الضمان لدخول البلدة، وفي السوق العظيم يعرف الأمناء في البلدات نظراءهم، المعضلة التي قد نواجهها هي غياب الأمين كما حدث معنا في تلك البلدة.

محمد:

- السؤال الآن، أين سنقضي ليلتنا؟

عبد الرازق:

- كم تبعد عنّا أقرب بلدة أوروبية؟

محمد:

- إذا واصلنا الطيران، فسنصل إليها بعد منتصف.

عبد الرازق:

- دعنا نواصل الطيران، وحين نقترب منها سنبحث عن مكان للبيات.

بهاء:

- ألا يستطيع الأمين إدخالنا؟

عبد الرازق:

- نعم، لا يستطيع، لا توجد استثناءات في الليل.

محمد:

- أنَّكم جميعًا تخشون أن يتسلل شيئًا ما من المناطيد الى البلدة ليلًا، ولم يسأل أحدكم نفسه، ما الذي يمنع تسلله نهارًا.

بهاء:

- النهار له عينان.

نظر (عبد الرازق) إلى (عُمر) الذي أُستغرق في نوم عميق وعقَّب:

- الليل تأتي معه مخاطر جمة، يمكن تلافيها بإغلاق البلدة حتى الصباح.

نظر إلى الساعة في مقدمة المُنطاد قبل أنْ يقول:

- اقترب وقت صلاة العصر ولم نصل الظهر بعد.

وخاطب (محمد):

- اعثر لنا على منطقة آمنة لنصلي ونتناول غداءنا.

سأله (بهاء):

- لم تجب سؤالي!

حملت عينا (عبد الرازق) استفهامًا عوضًا عن لسانه، وأوضح (بهاء):

- حين بدأت الحرب، كيف لم يخش المتحاربون من انتشار آثار اسلحتهم إليهم، والأهم من ذلك كيف حصلت على كتاب "رماد التاريخ"؟ من أين جئت به؟

ضحكة صغيرة من (عبد الرازق) تلاها جوابه:

- لا تزال الكُتب تُطبع ولكن بصعوبة وأثمانها غالية، وأكثرها في الشام، حصلت على هذا الكتاب من السوق العظيمة، هناك من يبيع الكتب وكل ما يتعلق بها، رأيت الكتاب وأعجبني عنوانه وسألت البائع عن محتواه فاشتريته، ولم أندم على ذلك لقد قرأته قُرابة عشر مرات.

توقف هُنيهة ثم واصل:

- في بداية الحرب كان الجميع يسعى للقضاء على عدوه والاستيلاء على أملاكه، الجميع في البداية استخدم القنابل الجغرافية..

- القنابل الجغرافية! وما هذه؟

سأل (محمد) مدهوشًا ليريح (بهاء) من عناء السؤال..

مع تنهيدة طويلة، أجاب (عبد الرازق):

- يقول المؤرخ (عبد القادر اليافي) إنَّ القنابل الجغرافية ليست قنابل في ذاتها، بل هي إضافة إلى القنابل لتتحكم في شكل الانفجار ومداه، تم اختراعها قبل الحرب الطاحنة بمدة قصيرة، وهي أشبه بصندوق من مادة ما، ويكون شكله حسب المنطقة المُستهدفة، وتتفاعل مادته مع الانفجار

بعد مدة زمنية يحددها نطاق الانفجار المطلوب، وعند حدوث التفاعل يفقد الانفجار قوته واندفاعه، كان استخدامها في بداية الحرب فقط، ثم لم يعد أحد يبالي سوى بالقضاء على عدوه ولا يأبه للغنائم.

محمد:

- أتعلمون ما الأمر الجيد في الحرب الطاحنة؟

لم ينتظر منهم جوابًا ولا تعقيبًا، بل أجاب سؤاله بنفسه:

- لقد أراحتنا وأراحة العالم من الأوغاد الذين يحكمونه.

بهاء:

- ولكن ثمن القضاء عليهم كان باهضًا.

نفى (عبد الرازق) بهز رأسه وقال:

- ليس الله بظلام للعبيد، الناس وقادتهم كانوا شركاء في الفساد، الكتاب يصف الأرض قبل الحرب الطاحنة بأنه لم يخل مكان فيها من الظلم والفساد، وسقطت الفطرة والأخلاق، حتى أقدس الأماكن امتلأت بالعُهر والفجور.

محمد:

- عدالة القوي العزيز، هذا مكان جيد للهبوط، أيقظوا العريس، اليوم دوره في إعداد الطعام، أوصوه بنا، اليوم يوم زفافه.

انطلقت ضحكاتهم عالية والمُنطاد يهبط إلى الأرض..

* * *

مع تشقق نوافذ المُنطاد بضربات رؤوس تلك الكائنات، لم يعد هناك مجال للتردد، فشهروا أسلحتهم وشرعوا في إطلاق النار..

تحطمت النوافذ ومعها سقطت الكائنات صرعى خارج المُنطاد، ويندفع هدير محركات المُنطاد إلى الدخل ومعه المزيد من الكائنات تنقض عليهم..

صاح قائد الحرس وهو يواصل إطلاق النار:

- (كنان).. الجهة الخلفية، (عادل) الجهة اليسرى،(يسري) ارتفع بنا قدر ما تستطيع.

بسرعة أجاب (كنان) و(عادل) أوامر قائد الحرس، في حين صاح السائق (يسري):

- كيف؟ يوجد وزن زائد، حتمًا هناك جيش منهم فوق السقف.

واصل المُنطاد هبوطه نحو الأرض، وأصبح الثلاثة آلات تطلق النار بل رحمة ولا توقف، وقائد الحرس يفكر في حل ما وهو يصرع الكائن التاسع أو العاشر، لا يهم العد الآن.. وجاءه صوت (كنان) يصرخ:

- إنَّهم لا ينتهون، كلما قتلت واحدًا جاء...

قاطعه صياح (عادل):

- انظروا هناك.

نظروا إليه لتبصر أعينهم مشهدًا مروّعًا، من الحديقة ومن جميع المباني المحيطة بها يخرج عشرات بل مئات من الكائنات، جميعها تزحف كالسحالي، وتندفع نحوهم.

صرخ قائد الحرس في السائق (يسري):

- ارتفع بنا، أخرجنا من هنا قبل أنْ نُقتل هنا.

صرخ (يسري) وهو يحاول عبثًا فعل أي شيء من شأنه أن يرفع المُنطاد:

- كيف؟ أخبرني أنت كيف؟

عجز قائد الحرس عن إعطائه رد، واكتفى بمواصلة إطلاق النار وهو يعض على نواجذه، ليته يعرف شيـ...

- البالون الإضافي، أطلق البالون الإضافي.

جاءت هذه الصيحة لتخرق أذن (يسري)، لوهلة لم يفهم مغزاها، ثم أدرك الأمر، جميع المَناطيد تحتوي بالونات إضافية يمكن نفخها في حالة الطوارئ، أو عند وصول حمولة المُنطاد حدها الأقصى، ومن رحمة الله بهم إنَّ هذا المُنطاد يحتوي بالونين إضافيين، كلمح البصر امتدت يده لتشغيل البالونين في وقت واحد، وصرخ:

- أحتاج خمس دقائق.

لم يعقّب أحدهم على قوله وواصلوا إطلاق النار بشراسة، وضرب (كنان) أحد الكائنات بعقب بندقيته ليلقيه بعيدًا عنه ثم يديرها ليطلق عليه الرصاص، ليرديه ويستقبل آخر وثب من النافذة بوابل من الرصاص، قبل أن يحط ثقل على ظهره، ليدرك إنَّه أحد الكائنات يعتلي ظهره وقد أحاط خصره بساقيه ورقبته بيديه وألصق رأسه برأسه.

بين نارين.. هي أدق ما يصف به (كنان) حالته، كائن على ظهره وآخرون يثبون من النافذة الخلفية، لا يستطيع أنْ يتوقف عن إطلاق النار ولا يعرف كيف يتخلص من الذي على ظهره، وخطرت له خاطرة ليس هذا وقتها، إنَّ المُنطاد له نوافذ أكثر من اللازم..

صرخ هو يحاول نفض الكائن عن ظهره:

- عادل.. ازله عنّي.

ولكل منهم شأن يغنيه، (عادل) يطلق النار بشراسة لم تمنع أحد الكائنات من الوثب إلى ظهر (كنان)، قائد الحرس بدوره يقاتل في جهتين، يمنع هذه الكائنات من الدخول للمُنطاد ويحمي سائق المُنطاد منهم، سائق المُنطاد بدوره يواصل عبثًا تحريك ذراع الطيران ليرتفع بالمُنطاد عن الأرض دون جدوى.

(كنان) يواصل إطلاق النار وهو يضرب ظهره بما عليه في عمود معدني في الجانب الأيمن من قارب المُنطاد دون جدوى، قارب المُنطاد يُصنع من الخشب الرقيق والخيزران مع قضبان من الألمنيوم لتقليل وزن القارب والتركيز على الحمولة، لهذا شعر (كنان) إنَّه يهز القارب مع كل ضربة.

صرخ فيه السائق (يسري) وهو يلتفت إليه:

- ماذا تفعل؟ الـ..

وأبصر الكائن الذي يعتلي ظهر (كنان)، وارتسم الذعر على وجهه، ذعر رآه قائد الحرس فالتفت إلى حيث (كنان) وصاح:

- يا رب العالمين.

وعاد يلتفت لنافذة السائق وزاد من تركيزه في إطلاق النار، حتى وجد لنفسه فسحة لالتقاط الانفاس، فاندفع نحو (كنان) وهو ينزع من حزامه خنجرًا، وبكل قوة انهال على المخلوق طعنًا، لم يوقفه سوى صراخ السائق، فالتفت إليه ليجد كائنًا قد جثم فوق السائق وآخر يثب من النّافذة،

فأرداه قتيلًا بوابل من الرصاص، واندفع نحو الآخر الجاثم فوق السائق وانهال عليه طعنًا.

عادل فقد الإحساس بما حوله، وأصبح آلة صماء تطلق النار بلا هوادة ولا رحمة على كل ما يتحرك أمامه، أقرب الكائنات إليه لقي مصرعه على بعد أمتار من المُنطاد، ولكن (عادل) يملك شيئًا لا يملكه رفاقه، إنه يرى الحديقة والمباني حولها كاملة وواضحة، يرى الكائنات وهي تتدفق بقوة نحوهم، المشهد وحده يجعل الخوف والرعب يدبان في وجدانه، ورغم شراسته بدأ اليأس يدب فيه مع هذا التدفق الذي لا يتوقف..

كنان!.. لا يدري (كنان) ماذا يفعل الكائن به، إنَّه يعتلي ظهره ويلصق رأسه برأسه، و.. وقواه تخور وزاغ بصره وصار يطلق النار نحو أجساد مبهمة تتقافز أمامه، وأخذ يترنح، بل لم يدرك ما فعله قائد الحرس لأجله، حتى سقط الكائن عن ظهره ورويدًا رويدًا يستعيد يقظته.. و..

والمُنطاد يرتفع ويرتفع.. ويرتفع.. سرى فيهم الأمل مع ارتفاعه وتجددت عزائمهم، ونهض بأسهم من جديد..

- ابتعد عن المباني.

سمع السائق صيحة قائد الحرس وأطاع دون أنْ يدرك مغزاها، رأى أحد هذه الكائنات يثب نحو المُنطاد من مبنى مجاور ليتشبث بنافذة القارب ولكن رصاصة من قائد الحرس في رأسه جعلته يسقط خارج القارب.

أخذت الكائنات تتقافز لتمسك بالمُنطاد الذي ارتفع عن مداها، وأسرع بعضها يتسلق أشجار الحديقة الجافة، ويحاول الوثب منها إلى قارب

المُنطاد، ونجح بعضهم في التعلق بالقارب ولكن زخات من الرصاص كانت تلقي بهم جثثًا هامدة في أرض الحديقة..

صاح السائق:

- تخلصوا من الجثث.

فهم الجميع مُراده، واندفع قائد الحرس و(عادل) نحو الجثث وشرعا يلقيان بها من النوافذ، وجاءت منهما التفاتة إلى (كنان)، فإذا هو يتطاوح يمينًا وشمالًا كالسكير، قبل أنْ يسقط على وجهه.. لا تدري أسقط جسمًا أم بدنًا..

*** * ***

نظر السَّيِّد (جمال) إلى التاجر السمين (كرم) وبهدوء قال:

- نعم، لقد أخبرني قائد الحرس بأمر المَناطيد، ولكنني لا أعلم هل فرغوا من حاجتهم إليها أم لا.

في تردد وحذر سأل التاجر السمين (كرم):

- هل يمكنك سؤالهم؟

لم يجبه السَّيِّد (جمال)، ونظر إليه وأطال النظر، حتى إنَّ التاجر السمين هرب بعينيه إلى الأرض، وتكلم السَّيِّد (جمال):

- سَّيِّد (كرم)، هل تعلم ما سيصيبك إن غادرت البلدة؟

ردت عينا التاجر السمين بسؤال "وماذا سيصيبني؟"، وواصل السَّيِّد (جمال) الكلام:

- لن تسمح لك أي بلدة بدخولها لمدّة أربعين يومًا، لأنك ستذهب بدون توصية أو تصريح منّي أو من أمين البلدة، وأمين البلدة غائب ولا نعلم متى يعود، خلال هذه الأربعين يومًا ستقيم خارج البلدة، وسيكون طعامك وشرابك على حسابك الخاص، وفي حال فكرت في العودة إلينا سنقوم بالمثل للحفاظ على سلامتنا، هل تستطيع تحمل هذه المعاناة؟ خاصة في الظروف التي تمر بها.

ببطء نظر إليه التاجر السمين (كرم)، وبحذر سأل:

- ولماذا لا تعطيني أنت توصية؟

مجيبًا دون أن يرفع السَّيِّد (جمال) عينيه عنه:

- لأنني يجب أنْ أحافظ على بلدتي يا سَيِّد (كرم)، إعطائك تصريح بالخروج يعني إنَّ البلدة غير آمنة وسيدب الخوف في الناس وسيشجعهم ذلك على الفرار والهجرة، وأنا لن أدفع الناس إلى هجر بلدتهم، هل فهمت؟

في لهجة ذات مغزى قال التاجر السمين:

- ليس ضروريًا أن يعلم أحد بأمر هذا التصريح.

بنظرة هي للاحتقار أقرب عقَّب السَّيِّد (جمال):

- الناس ليسوا أغبياء يا سَيِّد (كرم)، وسيدركون عاجلًا أم آجلًا إنَّك أخذت التصريح منّي أو من أمين البلدة، وسيطلبون معاملتهم بالمثل، إعطاؤك تصريحًا -وهذا ما لن أفعله- سيجعل الناس يسارعون في الفرار.

صمت التاجر السمين بُرهة، أطرق فيها رأسه، ولم تغفل فيها عينا السَّيِّد (جمال) عنه، ثم أتبع صمته بالقول وهو يرفع رأسه:

- سَيِّد (جمال).. لقد فعلت لهذه البلدة الكثير.

أصابت عبارته شيئًا في فؤاد السَّيِّد (جمال)، أو رُبَّما هي النبرة التي نطق بها التاجر السمين، حقًا لقد قدم السَّيِّد (كرم) الكثير والكثير، نعم هو يفعلها بكبر وغطرسة وأحيانًا بعنجهية، لكنه لم يبخل عليهم يومًا بشيء، السَّيِّد (سامح) هو من أسس هذه البلدة، وبذل لأجلها الكثير ليحميها من أثار الحرب الطاحنة، وينهض بها، ولكن السَّيِّد (كرم) والتجار الآخرين ساهموا بدورهم لتكون النهضة أسرع والحياة أسهل، بل إنه دفع إيجار مناطيد اليوم وتكلفة العتاد الذي يحتاجه الحرس لحماية البلدة، لذلك وجد السَّيِّد (جمال) نفسه يقول بأسف:

- سَيِّد (كرم)، لا ينكر فضلك أحد، دعنا نتجاوز هذه الأزمة وأعدك بأنني سوف أمر أمين البلدة بأن يأخذك بنفسه إلى حيث تشاء، ودون تصريح ودون أن تحتاج أن تبقى في الحجز أربعين يومًا.

شعر التاجر السمين (كرم) بلين السَّيِّد (جمال) وقوة موقفه فقال:

- وما حاجتنا للذهاب أو الرحيل حين انتهاء الأزمة؟ هذه الأزمة هي من تدفعنا للرحيل.

نظر السَّيِّد (جمال) إلى مكتبه ثم إليه، سأل:

- ما الذي تخشاه أنت وسواك؟ البلدة تحت حراسة مشددة، وقد زدنا التحصينات اليوم، وما حدث بالأمس لن يتكرر.

- كيف لن يتكرر! لقد قُتل خمسة شبان ويُقال سبعة، ودخل الهمج البلدة ولا نعلم ماذا دخل معهم من الأوبئة والأمراض.

مع تنهيدة قال السَّيِّد (جمال):

- قُتل شابان فقط، لأنهم خالفا التعليمات وخرجا من البلدة بدون إذن، واعتديا على الهمج، أما الأوبئة والأمراض فإن الهمج لا خطر منهم، إنهم يعيشون في الأماكن المفتوحة خارج المدن القديمة، وقائد الحرس يبحث الآن سبب فرارهم ومجيئهم إلينا.

ساد صمت قطعه السَّيِّد (كرم):

- سَيِّد (جمال)، إذا أخبرتك إنني لا أحتاج توصية منك أو من أي شخص، هل تسمح لنا بالخروج؟

نظر إليه السَّيِّد (جمال) وأطال النظر ثم قال:

- أمصر على الرحيل؟

- نعم.

دون أن يرفع السَّيِّد (جمال) بصره عنه، أمسك بجهاز الاتّصال.

- تامر.. هذا أنا السَّيِّد (جمال).. هل فرغتم من المَناطيد؟.. لا، لا تسمح لهم بالمغادرة، نحتاجهم في مهمة سرية، وأريدك أن تشرف عليها.. هل عاد (عمران) نائب أمين البلدة؟.. سيعود غدًا! ممم، لا بأس، لا يهم، لا تسمح بمغادرة المَناطيد وتعال إلى مكتبي.

وضع جهاز الاتّصال على المنضدة ونظر إلى التاجر السمين (كرم)، قال:

- احرص أنْ يكون خروجكم سرّا لا يعلمه أحد، وسيقوم نائب قائد الحرس (تامر) بإخراجكم من البلدة، وسنخبر من يسأل عنكم إنَّ بعض الأمور خارج البلدة تحتاج وجودكم الشخصي.

ظهر البشر والسرور على وجه التاجر السمين، ونهض وهو يمد يده نحو السَّيِّد (جمال) ليودعه قائلًا:

- الشكر لك، الشكر لك شكرًا جزيلًا يا سَيِّد (جمال).

صافحه السَّيِّد (جمال) ونظر إليه وهو يغادر، وقبل أن يعبر عتبة الباب ناداه:

- سَيِّد (كرم)..

التفت إليه السَّيِّد (كرم) والسرور لا يزال على وجهه، وتابع السَّيِّد (جمال):

- هل أوفيناك دينك بهذه الطريقة؟

بسرعة رد التاجر السمين:

- بالتأكيد يا سَيِّد (جمال)، بالتأكيد.

- حسنًا، هذا كل تمنيته..

ألقى التاجر السمين نظرة سريعة عليه ثم هُرع إلى غايته..

*** * ***

13- غموض

اندفع قائد الحرس و(عادل) نحو (كنان)، وتعاونا على رفعه وإجلاسه على مقعد، صاح (عادل) ليعلو صوته فوق هدير المحرّكات:

- ما به؟

أخذ قائد الحرس يفحص (كنان) وفي نفس الوقت يجيبه صائحًا:

- لا أعلم، أخشى إنَّ ذلك الكائن قد فعـ..

بتر عبارته ومال برأسه ليقترب من عنق (كنان) ويهتف:

- هذا..

اقترب (عادل) برأسه ليرى ما يعنيه قائد الحرس، كانت بقعة كبيرة بلون قرمزي على الجانب الأيمن من عنق (كنان)، جعلت (عادل) يهتف:

- ما هذه؟

صاح قائد الحرس:

- لا أعلم.

كانت مجرد بقعة، كأنها ضربة بعصا غليظة، لم يكن هناك جرح أو تمزق في جلد الرقبة، وضع قائد الحرس كفه أمام فم (كنان)، وشعر بأنفاسه، قال:

- إنَّه حي، ولكن لا نعلم ما أصابه، كيف لم..

قطع عبارته والتفت إلى سائق المُنطاد (يسري).. كانت التفاتة في وقتها، (يسري) مُنكفِئ على لوحة قيادة المُنطاد، الذي بدوره يهبط وينقضّ على

برج من أبراج الاتصالات المعروفة قبل الحرب الطاحنة.. ولم يعد يفصله عنه سوى أمتار قليلة..

*** * ***

ترك قائد الحرس (كنان) واندفع نحو السائق، وبسرعة أزاحه عن لوحة القيادة، لتتحرر ذراع الطيران، وجذبها قائد الحرس لأعلى ثم أدار عجلة التوجيه نحو اليسار، ولكن المُنطاد لم يغيّر اتجاهه بل واصل اندفاعه نحو البرج كأنه لا يريد من لا يريد من الدنيا سواه..

بسرعة تدارك قائد الحرس الأمر وأدار عجلة التوجيه إلى اليمين، لينحرف المُنطاد معها ويمر بجوار البرج لا تفصله عنه سوى مسافة قليلة، وحتى هذا غير كاف، لأن صوت احتكاك قوي اخترق مسمع قائد الحرس.

لم يترك قائد الحرس عجلة التوجيه، وهو يوجه المُنطاد إلى خارج المدينة، ونادى (عادل)، الذي هُرع إليه..

- هناك مشكلة في توجيه المُنطاد، أريد منك الصعود إلى السطح وتفحص مراوح الرفع والتوجيه.

ركض (عادل) نحو الكوة التي تؤدي إلى السطح ولكن اسمه على لسان قائد الحرس أوقفه، ليلتفت إليه، وبصياح عال حتى يسمعه (عادل)، تكلم قائد الحرس:

- تفحص الجانب الأيسر، انظر إذا ما الاحتكاك أفسد شيئًا.

هز (عادل) رأسه وعاد إلى استعجاله..

*** * ***

أدت مراوح المُنطاد عملًا جيدًا، فجثث كثير من تلك الكائنات مقطعة على سطح قارب المُنطاد، ودماؤها تُغرق كل شيء.
سار عادل بحذر على السطح، كل شيء يعمل بكفاءة، مراوح الرفع ومراوح التوجيه و..
انتبه إلى مروحة التوجيه اليُمنى، هناك جثة أحد الكائنات عالقة فيها وتمنع دورانها وتمنع في نفس الوقت جناح التوجيه من البسط..
لوهلة وقف يتأمل جثة الكائن التي تهزها مروحة التوجيه وهي تحاول الدوران ولا تستطيع، غريب أمر هذه الكائنات.. لا عيون ترى بها!.. لا أنف!.. لا فم!.. ولا آذان!.. كيف تعيش هذه الكائنات؟ كيف ترى؟ كيف تأكل؟ كيف تسمع؟..

كيف يخرج جثة الكائن من المروحة؟ هل يمسك بها؟ هل.. هذا الأمر قد فات أوانه، لقد حدث اتصال مباشر مع هذه الكائنات، وبهذا لن يستطيع أحدهم دخول البلدة.. بلدتهم.. لأربعين يومًا.. لا تنقص يومًا..
جذب الجثة من المروحة وألقى بها من علٍ، لتعود المروحة تدور بقوة، وتفحص سطح قارب المُنطاد مرة أخرى، بعض أنابيب الغاز مثنية ثنيًا بسيطًا، ولكن لا يوجد تسريب.. في الجهة اليسرى هناك أثر احتكاك في

بالون المُنطاد ولكن الحمد لله لا يوجد تمزق، هل يوجد تسريب؟ هذا أمر لا يمكنه البت فيه الآن..

ماذا عن (عادل) و(يسري)؟ ماذا أصابهم؟ هل هم مصابون بشيء ما؟ هل يمكن علاجهم؟ ما..

لسبب لا يعلمه، ربما هو إحساس بأمر ما أو هو هاجس ما.. حانت منه التفاتة إلى الأفق.. ليرى أمرًا غريبًا.. عجيبًا.. أمرًا لا يمكن فهمه ولا تفسيره..

*** * ***

- ما بك؟

نظر (بهاء) إلى صاحب السؤال (عبد الرازق)، وأراد أنْ يجيبه ولكن غصة في حلقه منعته من الإجابة، فهز رأسه بمعنى "لا شيء"، وعاد ببصره إلى النار التي أوقدها (عُمر) وقد جعل أبريقًا من الشاي فوق الأثافي.

ماذا يقول له؟ يقول إنّه نشأ مع (كنان) وبضعة من أبناء البلدة في كنف أبيه، وتعلموا على يديه وآخرين حتى صاروا أعلامًا ورموزًا في بلدتهم، في العلم والرياضة والعسكرية والإدارة، وفي أول اتصال حقيقي مع العالم الخارجي، وجد نفسه طفلًا لا يعلم شيئًا، طفل يمسك برداء أمه (عبد الرازق) ويراقب العالم من خلفها، قضى حياته كلها داخل بلدته وحول أسوارها الجبلية، قانعًا بالأمن والسلام فيها، مكتفيًا بها لتكون كل دنياه،

ويسمع أخبار العالم الخارجي دون اهتمام، إنه عالم مليء بالأوبئة والخوف والاضطراب، فلماذا يهتم به؟ أمين البلدة يأخذ بضاعتهم ليبيعها في الخارج ويأتي لهم بما يحتاجونه، وضمن إجراءات صارمة تضمن أمنهم وسلامتهم، كل ما عليه هو حماية بلدتهم، من ماذا؟ من الأخطار الخارجية.. ماذا يريد أكثر من ذلك؟..

لم يكرر (عبد الرازق) سؤاله والتفت إلى (محمد) الذي وجد في (عُمر) تسلية وترويحًا عن النفس.

كانوا قد فرغوا من الصلاة وتناولوا غداءهم، وانهمك (عُمر) في إعداد الشاي.

- وماذا سيكون عيبها يا صديقي؟ مفاتنها أكبر من المعتاد! تجتهد في رضاك أكثر!

نظر إليه (عُمر) في ضيق وقال:

- إليك عنّي.

قهقه (محمد) واضطجع بجانبه على الأرض واتكأ على مرفقه وغاص بقدميه في الرمال، وقد زاده غيظ (عُمر) سرورًا.

- هيا يا صديقي، لماذا لا تتزوجها، هل تعلم مشقة الحصول على عروس في زمننا هذا؟ أخي أرهق أمي حتى وجدت له عروسًا، وانتظر ثلاث سنين حتى بلغت العروس سن الزواج، ثم اكتشف أنَّ العروس تشبه شخصًا يراه كل يوم في المرآة.

وأعجبت الدعابة صاحبها فقهقه حتى سقط على ظهره، و.. واهتز المكان بزئير قوي.. زئير جاء من كل مكان.. وفي آن واحد وثبوا جميعًا قيامًا..

وأخرج (عبد الرازق) من حول ساقه مسدسًا في حين هتف (محمد):

- ما هذا؟

من غير تدبير مسبق صنعوا بأجسادهم دائرة، النار مركزها ووجوههم خارجها.

- ما هذا؟

كررها (محمد) ليجيبه (عبد الرازق):

- لا أعلم، لم أسمع هذا الصوت من قبل.

- أسد؟

استفهم (عُمر)، ليجيبه (محمد):

- أسد! أي أسد يستطيع إصدار هذا الصوت؟

- ديناصور؟

جاء دور (بهاء) ليستفهم، ويرد عليه (عبد الرازق) مستهجنًا:

- ديناصور؟ أي هراء هذا؟

عُمر:

- ما هذا الـ (ديناصور)؟

عبد الرازق:

- الحق وبعد إعادة النظر في الأمر لا استبعد أن يكون ديناصورًا.

توقف ثم أردف:

- هيا لنحمل أشياءنا ونغادر بسرعة.

انقض كل منهم على أقرب الأشياء إليه وحملها راكضًا إلى المُنطاد، وقد نسوا إطفاء النار التي عاد إليها (عُمر) بسرعة، ليسكب فوقها إبريق

الشاي الذي لم يجهز بعد، ويعود مسرعًا وقد أدار (محمد) محركات المُنطاد، وما أن دخل (عُمر) حتى ارتفع (محمد) بالمُنطاد.

- ابحث عن مصدر الصوت قبل أنْ نبتعد.

قالها (عبد الرازق) وهو يضع يده على كتف (محمد) الذي كرر سؤال (عُمر):

- ما هذا الـ (ديناصور) الذي تتحدثان عنه؟

أجابه (عبد الرازق):

- يُقال إنّه كائن منقرض منذ عصور عديدة، قبل خلق آدم عليه السلام.

مدهوشًا قال (عُمر):

- منقرض؟ وكيف ظهر في حاضرنا؟

محمد:

- وكيف يعرفه (بهاء)؟

رد (بهاء):

- لقد شاهدت فيلمًا عنها في نادي بلدتنا، كيف لم تشاهداه!

محمد:

- لم نشاهده، وربما شاهدناه ولا نذكره، لكنه في جميع الأحوال حيوان منقرض، كيف ظهر الآن؟

عبد الرازق:

- لم نره بعد حتى نحسم أمره، أهو ديناصور أم لا.

عُمر:

- سنفترض إنّه ديناصور، كيف ظهر؟ كيف جاء إلى حاضرنا؟

دار المُنطاد حول مكانهم السابق المرة تلو المرة دون أنْ يرصد شيئًا، في الوقت نفسه يجيب (عبد الرازق) على سؤال (عُمر):

- خلال فترة الحروب الصغيرة والنزاعات التي سبقت الحرب الطاحنة، سادت الفوضى وسقطت القوانين التي تحكم الكثير من الأشياء، ومن القوانين التي سقطت، القوانين التي تحكم الهندسة الوراثية[1] وزراعة الأعضاء، وانتشر العبث في الخلق، وظهرت مخلوقات هي مزيج من عدة كائنات، كائنات استخدمتها الجيوش المتصارعة في معاركها، كما جرى استنساخ البشر فقط لأجل تجارة الأعضاء وثم التخلص منهم، كانت فوضى بلا حدود أو قيود.

بهاء:

- ولكن منطقتنا كانت خالية من تلك الحروب!

عبد الرازق:

- ولكن الفساد استشرى في كل بقاع الأرض ولم تكن بلادنا استثناءً، كان يتم فعل الكثير من المحظورات فيها وبيعها للآخرين، أتحسب أنَّ الحرب الطاحنة كانت عبثًا! لقد كانت عقابًا من رب السماء.

محمد:

- والآن ماذا؟ لم نعثر على شيء! ماذا سنفعل؟

وضع (عبد الرازق) يده على كتف (محمد) وقال:

- سنواصل طريقنا إلى البلدة الأوروبية ولن نتوقف حتى نصلها.

---

[1] الهندسة الوراثيّة هي تقنية تتعامل مع جينات الأحياء، لتعديل خصائصها الوظيفية أو الشكلية أو كليهما ، وقد نتج عن ذلك ظهور كائنات تقوم بمهام لا يستطيع نوعها الأصلي القيام به، كما ظهرت كائنات تجمع في خصائصها الوظيفية والشكلية أكثر من نوع، خصائص لا توجد في الأصل.

* * *

ـ ما هذه؟

سأل قائد الحرس في قلق.. في توتر وهو ينظر إليها ويقود مُنطادهم ليقترب منها، إنَّها دائرة سوداء.. سوداء حالكة.. أشبه بثقب في البصر، وترتفع في الهواء قرابة ثلاثين مترًا، اقتربوا منها أكثر، حتى لم يعد يفصلهم عنها أكثر من مائة متر، وظهرت لهم ضخامتها، لا يقل قطرها عن خمسين مترًا، زادهم اقترابهم منها رهبة وخوفًا، وعاد قائد الحرس يسأل:

ـ ما هذه؟

لم يسمعه (عادل).. ربما لأنَّ هدير المحركات يحجب صوت قائد الحرس الخافت.. وأدرك (عادل) السؤال.. ولم يجبه.. الرهبة وخوف غامض يملئان كيانه، يلجمان لسانه، كما أنه لا يملك إجابة.. لا يعرف ما هذه.. ووجد نفسه يصيح:

ـ دعنا لا نقترب منها أكثر من ذلك.

لم يكن قائد الحرس في حاجة لقوله كي يفعل ذلك، لقد توقف عن التقدم إليها وانحرف بالمُنطاد ليدور حولها، لتتكشف لهما حقيقة جديدة عنها، أنَّ شكلها لا يتغير أبدًا.. تبدو كما لو أنَّها تدور معهم وتواجههم دائمًا.

ـ ما هذه؟

هذه المرة صاح قائد الحرس بسؤاله كي يسمعه (عادل)، و(عادل) لا يملك إجابة ولكنه وجد نفسه يصيح:

- ثقب أسود.

التفت إليه قائد الحرس مدهوشًا، صائحًا:

- ماذا؟

كرر (عادل) صياحه و..

- مستحيل، لا يمكن أنْ تكون ثقبًا أسود.

التفت قائد الحرس و(عادل) إلى صاحب الصياح، ليجدا (يسري) واقفًا خلفهما يشاركهما النظر إلى الدائرة السوداء..

للحظات قصيرة نسيا أمر الدائرة السوداء، وطفقا يهللان، ويحمدان الله على سلامته واستعادته وعيه ويسألانه عمّا أصابه.

- لا أعلم، أظلمت الدنيا ثم أضاءت، ولدهشتي وجدت نفسي ممدًا بعد أنْ كنت جالسًا على كرسي قيادة المُنطاد، هذا كل ما شعرت به.

أجاب (عادل) سؤاليهما عن ما أصابه وأردف دون أنْ يترك الصياح وفي الوقت ذاته يشير إلى الدائرة السوداء:

- لا يمكن أنْ تكون هذه ثقبًا أسود، الثقب الأسود سيبتلع كل شيء، سيبتلع الأرض كلها.

صاح قائد الحرس سائلًا:

- ما هو الثقب الأسود؟

بالصياح أجابه (عادل):

- فجوة في الفضاء تجذب وتبتلع كل ما يقترب منها -بغض النظر عن حجمه- حتى الضوء، لذلك تبدو سوداء.

تأمل قائد الحرس الدائرة السوداء وهو لا يزال يدور بالمُنطاد حولها، ثم صاح:

- كيف عرفتم بشأن هذه الثقوب؟

لم يجبه أحد، الفجوة تجذب وجدانهم إليها، وتملأ قلوبهم رهبة، هو بدوره نسي سؤاله والمُنطاد يواصل دورانه حول الفجوة، بعد برهة صاح :

- سنعود للمدينة.

لم ينتظر ردًا وأدار المُنطاد في اتجاه المدينة القديمة، و.. فجأة.. توقفت محركات المُنطاد عن العمل.. وساد سكون عميق.. سكون أوجس خيفة من نفسه...

*** * ***

- ماذا حدث؟

هتف بها (يسري) في قلق، ولكن في هذا الصمت كان هتافه أشبه بصوت الرعد، و(عادل) يتساءل مثله:

- هل فرغ الوقود؟

أشار قائد الحرس لهما بالهدوء وقال:

- لقد اطفأت المُحركات لتوفير الوقود.

وأشار بسبابته، قائلًا:

- والآن، كيف علمتم بأمر الثقوب السوداء؟

استغرب (يسري) إصراره على السؤال ولكنه أجاب:

- لقد شاهدت فيلمًا عنها في نادي البلدة.

أما (عادل) فقال:

- لقد كنت حاضرًا في لقاء مع الأستاذ (عدنان) يتحدث فيه عن الفضاء وغرائبه.

تأمل قائد الحرس في كلامهم وعقَّب:

- لم أشهد أي منهما، المهم.. هل تعلمان حقيقة موقفنا؟

لم ينتظر منهما جوابًا وتابع:

- لقد أشتبكنا مع تلك الكائنات اشتباكًا مباشرًا، وحدث بيننا اتصال حقيقي، أتعلمان ماذا يعني هذا؟

مرة أخرى لم ينتظر منهما جوابًا وأردف:

- يعني إننا أصبحنا خطرًا على أهالينا وبلدتنا، لن يُسمح لنا بدخول البلدة، بل لن نسمح لأنفسنا بذلك، هذا يعني إننا سنذهب فور عودتنا إلى مركز الحجْر الصحي خارج البلدة، وسنبقى هناك أربعين يومًا حتى تظهر حقيقة ما أصابنا.

أراد (عادل) أن يقاطعه ولكن قائد الحرس أوقفه بإشارة من يده وتابع:

- لا نعلم حقيقة هذه الكائنات وما تفعله، ولكن يكفي إنها تعيش في المدينة القديمة، هذا يعني إنها تحمل الأمراض والأوبئة ولا شك التلوث، ولا يمكن المخاطرة بنقل شيء منها لبلدتنا.

يسري:

- ولكن ماذا عن الهمج، بل ماذا عن (كنان)؟ ماذا عن تلك الدائرة السوداء؟ لقد خرجنا لأجل أنْ نعرف ماذا أصاب الهمج، فنعود بخُفّي حُنَيْن، بل أشد من ذلك، نعود بوباء وخسارة أحدنا.

قائد الحرس:

- ما أصاب (كنان) لن يختلف عمّا أصاب (يسري)، سيفيق بعد وقت قصير، ولأننا سنواجه الحجْر الصحي في جميع الأحوال، فإنني أرغب في العودة للمدينة القديمة، أريد أنْ أعرف حقيقة ما أصاب الهمج، هل هناك شيء ما يفزعهم أم إنه الجوع كما يقول البعض.

عادل:

- ربما هذه الكائنات هي السبب!

يسري:

- وهل ظهرت هذه الكائنات فجأة! حتمًا هي موجودة منذ وقت طويل، فلماذا هرب الهمج الآن؟

قائد الحرس:

- بالضبط، مما يفر الهمج؟ ولماذا الآن؟

صمت هُنيهة كأنه ينتظر منهما إجابة، ولكن الصمت أجابه، فتابع:

- المُنطاد الآن يعود إلى المدينة القديمة، لكما الحرية في اصطحابي أو سنوقف المُنطاد بعيدًا عن المدينة القديمة، فتهبطان وتنتظراني.

نظر (عادل) خلفه حيث الشمس توشك على المغيب وعلى جانبها الدائرة السوداء تزيد المشهد غموضًا، قال:

- سأصحبك، ولكن من الأفضل تأجيل دخول المدينة إلى الصباح، على الأقل كي نرى ما يقتلنا.

يسري:

- لن تذهبا بدوني، الذهاب معكما أو البقاء وحيدًا في البراري يؤديان النتيجة نفسها، الموت مع الجماعة رحمة.

عادل:

- والفجوة السوداء؟

يسري:

- الفجوة السوداء! وما شأننا بها؟

قائد الحرس:

- لا شأن لنا بها، ستبقى غامضة من غوامض عالمنا.

عادل:

- تبقى معضلة مكان المبيت، أين سنبيت الليلة؟

قائد الحرس:

- أعلم مكانًا آمنًا.

وأضاف بمكر:

- سنبيت بين الأعداء.

* * *

14- البلدة الأوروبية

ظهرت أضواء البلدة الأوروبية بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وأوقف (عُمر) اندفاع المُنطاد، وأضاء مصابيحه السفلية وشرع يبحث عن مكان مناسب للرسو بالمنطاد، كانت المنطقة ساحلية منبسطة، يوجد فيها تلال وبعض الصخور، قد يبدو المكان مناسبًا للرسو، ولكن في هذا الزمن كل بقعة هي خطر محتمل.

بعد بحث طويل وجد فجوة بين صخرتين كبيرتين، فجوة تصلح لوضع مرساة المُنطاد فيها، اقترب منها وهبط بالمُنطاد حتى أصبح فوقها تمامًا، أوقف محركات المُنطاد، وفتح بابه.. لتقتحم أسوأ رائحة المكان.. رائحة نتنة.. تكاد تُزهق الأنفاس.. بل إنَّها أيقظت النائمين، وصاح (محمد):

- ما هذه الرائحة؟

أجابه (عُمر):

- لا أعلم، إنني أحاول إلقاء المرساة.

عبد الرازق:

- أفعل بسرعة، هذه الرائحة ستقتلنا.

التقط (عُمر) المرساة المعلقة بجوار الباب، والتي يصلها بالقارب سلك معدني، وبسرعة ضغط (عُمر) ذراع صغيرة في المرساة لتنفرد أجنحتها المعدنية الثلاثة، وألقى بها قريبًا من الفجوة ثم جذب السلك لتعلق

المرساة في الفجوة بين الصخرتين، جذب السلك أكثر من مرة ليتأكد من كونها محشوة بقوة، وأغلق الباب بإحكام.

هتف (بهاء):

- ألم تجد مكانًا آخر للإرساء؟

عمر:

- نعم، لم أجد مكانًا غير هذا للإرساء، أتظنني أحب الروائح النتنة كي أرسو هنا.

كانت الرائحة النتنة تملأ المكان رغم إغلاق الباب وجعلت (عبد الرازق) يهتف:

- من أين تأتي هذه الرائحة؟

أخبره (عُمر) عن جهله بمصدرها برفع كتفيه، ثم عاد إلى مقعد قيادة المُنطاد وهو يقول:

- أرجعوا لسباتكم، وسألحق بكم بعد قليل.

ولكن الرائحة النتنة لم تترك المكان حتى بعد نصف ساعة من انتظار زوالها، وجعلت (محمد) يهتف:

- أخرجنا من هذا المكان، لا نستطيع التنفس.

وافقه (بهاء) بحماس واكتفى (عبد الرازق) بهز رأسه تأييدًا.

فتح (عُمر) الباب لتقتحم الرائحة النتنة المكان بقوة، وجذب المرساة بعد أنْ ضغط زرًا في أول سلكها.

بعد نصف ساعة من البحث الشاق، وجدوا مكانًا للرسو يخلو من تلك الرائحة.. وسقطوا نيامًا وقد صار الفجر قاب قوسين أو أدنى..

* * *

- حان الوقت، لنذهب.

قالها (عبد الرازق) وهوينظر إلى الساعة التي قاربت السادسة صباحًا، والشمس تضيء بشائر أشعتها الدنيا، فأخذ (محمد) مكانه على مقعد قيادة المُنطاد، في حين جذب (عُمر) المرساة.

كان الصمت رفيقهم وهم يقتربون من البلدة الأوروبية، التي ظهرت أسوارها من بعيد، وقـ..

- هناك.

أشار (بهاء) بيده نحو الشرق مع قوله، والتفت الباقون إلى حيث أشار، ولم يكن هناك غير وهدة امتلأت بصخور مصفوفة غريبة الشكل.

- دعنا نذهب إلى هناك.

قالها (بهاء)، وسأله (عبد الرازق):

- ولم؟

قال (بهاء):

- ألا يبدو لك غريبًا؟ لنذهب ونروي فضولنا ثم نتابع طريقنا.

أراد (عبد الرازق) أنْ يتجاهل أمر هذه الصخور ثم وجد إنَّ بضعة دقائق لن تصنع فارقًا، فأشار على (محمد) - الذي كان دوره في قيادة المُنطاد - أنْ يتجه إلى هناك.

اقترب المُنطاد بهم إلى الوهدة، لتتضح لهم حقيقة الصخور.. كانت جثث عشرات.. بل مئات من الهمج.. لقد عرفوا الآن مصدر الرائحة التي أوشكت أن تُزهق أنفاسهم ليلًا..

- من فعل هذا؟

سأل (محمد)، وأجابه الصمت ثم قول (عبد الرازق):

- اهبط بنا، أريد أنْ أعرف ما الأمر.

شكره (بهاء) بقلبه على قوله الذي سيروي فضوله، هبط المُنطاد حتى جعل بينه وبين الأرض مترًا أو أقل، وفتح (عُمر) الباب لتصفعهم الرائحة النتنة من جديد، وهبط (بهاء) ومن خلفه (عبد الرازق)، واقتربوا من الجثث وهم يحاولون كتم أنفاسهم قدر المُستطاع، لم تكن الجثث أكوامًا مكدسة بل ملقاة بشكل عشوائي، ومسافة تفصل الجثة عن الأخرى، وكأن من قتلهم تعمد توزيعهم بهذا الشكل، رغم تعفن أكثر الجثث، فإن أماكن مقاتِلهم ظاهرة، أقحاف معظمهم مُنتزعة.. صدورهم مشقوقة.. بعضهم أُقتلعت عيونهم.. كأن طبيباً مجنونًا من فعل بهم هذا..

تربيتة على كتف (بهاء) جعلته يلتفت إلى (عبد الرازق)، الذي أشار له بالذهاب.

ما أن جمعهم المُنطاد داخله وأغلق عليهم بابه، حتى انطلق هتاف (بهاء):

- من فعل بهم هذا؟

رفع (عبد الرازق) يده لتقول له "من يعلم؟"، ثم رد بسؤال:

- هل رأيت كيف قُتلوا؟

سأل (محمد) دون أنْ يلتفت إليهما:

- من قتل من؟ من هؤلاء؟

دون أنْ يجيبه وبإنفعال قال (بهاء):

- كأن مجنونًا مثّل بهم.

نفى (عبد الرازق) برأسه ولسانه:

- لا، بل شخص يبحث عن شيء ما.

هاتفًا ومتسائلًا، قال (بهاء):

- طبيب؟ هل يكون طبيبًا؟

رد (عبد الرازق) بهز كتفه وقوله:

- من يعلم؟ لنواصل طريقنا.

أطاعه (محمد) وهو يكرر سؤاله بصوت أعلى وغيظ ظاهر..

قصّ عليه (بهاء) ما رأى، ليأتي دور (عُمر):

- من يفعل هذا؟ لا يوجد أحد في هذه الأنحاء؟ انظروا إليها.. لا يوجد سوى أرض منبسطة وتلال ووهاد وبعض الصخور، بالكاد وجدت صخرة لنرسو عندها.

بهاء:

- ليس بالضرورة أن يقيم الفاعل هنا، ربما يأتي من مكان قريب.

عمر:

- قريب؟ أين؟ أقرب مكان لنا الآن هو البلدة الأوروبـ..

وتوقف.. لقد أدركوا جميعًا من أين يأتي الفاعل.. أو المجنون.. إنهم يذهبون إليه.. بإرادتهم الحرة..

*** * ***

ضغط (يسري) زر إلغاء المرساة وأخذ يرفعها إلى القارب عبر الباب وهو يقول:

- كانت فكرة عبقرية أنْ نرسو عند برج الاتّصالات.

ابتسم (كنان) وفرد ذراعيه قائلًا:

- النوم بين الأعداء.. يا لها من فكرة.. قريب منهم.. بعيدًا عنهم..

قال له (عادل) وهو يفحص سلاحه:

- الغريب هو أن تفيق من غيبوبتك وأنت تشتعل همة ونشاطًا، هل تشعر بأمر غير طبيعي؟

هز (كنان) رأسه ومطّ شفتيه ثم أجاب:

- لا، إنني في قمة النشاط وكأنني نمت شهرًا، ربما حين استيقظت كان الجوع يقرصني ولكن بعد إفطارنا البسيط ذهب ذلك الشعور.

قائد الحرس دون أن يترك تفحُّص المدينة أسفله:

- هذا أمر طيب، لإننا نحتاج كل عون معنا، هل ستصحبنا؟

سرح (كنان) ببصره وهو يدعك ذقنه كأنه يفكر عميقًا، وقال:

- مممممم، تركت البلدة وجئت هنا لتناول المثلجات، لم أجد مثلجات، ماذا أفعل؟

والتفت إلى قائد الحرس متابعًا:

- حسنًا، لا خيار أمامي سوى الذهاب معكم.

نظر له قائد الحرس، قال:

- طريف جدًّا، نحتاج هذه المعنويات العالية معنا.

ثم التفت إلى سائق المُنطاد (يسري) يقول له:

- يسري، لا تقم بتشغيل محركات المُنطاد، أريد منك استخدام الغاز في الارتفاع والهبوط بدلًا من مراوح الرفع، هل ترى تلك البناية العالية هناك؟ لا يوجد أعلى منها في المدينة، أريدك ان تذهب إلى هناك وتقوم بإنزالنا على سطحها، هل لديك طريقة توصلنا بها إلى هناك دون تشغيل محركات المُنطاد؟

قال (يسري) وهو ينظر إلى حيث يشير قائد الحرس:

- يمكنني تشغيل محركات التوجيه، صوتها منخفض جدًّا بخلاف محركات الرفع.

وضع قائد الحرس يده على كتفه، قال:

- رائع، وأريدُ منك البقاء في المُنطاد مستعدًا إلى حين عودتنا، كما أريد منك شيئًا آخر نسيناه تمامًا، هل تعرف ما هو؟

لم يجبه (يسري) وترك التساؤل لعينيه، فتابع قائد الحرس:

- يبدو إننا نسينا إنَّ هذا مُنطاد حراسة، وإنَّه مزود بثلاثة مدافع رشاشة ثقيلة.

ضرب (يسري) جبهته بكفه وارتفعت تأوهات الآخرين، والتفت إليهم قائد الحرس:

- لا بأس يا أعزائي، يبدو أنَّ قلة المشاكل التي نواجهها، أنستنا الأمكانيات التي نملكها.

هتف (كنان):

- كان يمكن أنْ نستخدمها في التصدي للهمج!

قائد الحرس وهو ينفي برأسه:

- الحمد لله أنَّنا لم نذكرها، بفضل ذلك جاءت فكرة براميل الوقود، ولا أظن هذه المدافع كانت قادرة على التصدي لطوفان الهمج.

وعاد يلتفت إلى (يسري) مردفًا:

- أريدك أن تحمي نفسك والمُنطاد وأن تقدم لنا الدعم اللازم حين نحتاجه، هيا خذنا إلى هناك.

سأله (كنان) بينما (يسري) يتجه بهم نحو البناية العالية:

- لماذا نحتاج النزول إلى المدينة؟ ماذا هناك؟

قائد الحرس وعيونه تفكر بعمق:

- لأنني لا أظن أنَّ الجوع هو من أتى بالهمج إلينا، بل إنَّ الهمج يهربون من شيء ما، وهذا الشيء ظهر حديثًا، هل هذا الشيء هو هذه الكائنات،

لا أظن ذلك، إذا هذه الكائنات موجودة منذ زمن، فلماذا هرب الهمج الآن، وإذا ظهرت حديثًا فمن أين جاءت، ثم انظر إلى خلقة هذه الكائنات، إنها لا تتفق مع القصص والأساطير التي تدور حول المدينة، إنَّ من نجا من أهوال المدينة يتحدث عن وحوش تفترس الأحياء بلا رحمة، وتمزقهم شر ممزق، وحوش ليس لها جنس محدد، بل يبدو أنَّ المدينة أشبه بمعرض للوحوش المتنوعة، البعض يتحدث عن بشر لم يبق من بشريتهم سوى شيء من الهيئة، لكن هذه المدينة فارغة سوى من جنس واحد من الكائنات، جنس لا يتفق مع القصص والشائعات والأساطير.

ارتفع صوت (يسري):

- لقد وصلنا.

نهضوا وكل منهم يتحقق من سلاحه، وقائد الحرس يقول:

- لا تدخلوا مكانًا مغلقًا، بل لا تدخلوا مكانًا لا تدخله الرياح، أي مكان لا يحتوي بابًا مفتوحًا أو محطمًا أو نافذة مفتوحة أو محطمة لا تدخلوه، لا تلمسوا الجثث وعظام الموتى بأي حال من الأحوال، حتى الموجودة في الهواء الطلق، لا نعلم هل صاحبها مات بوباء أم بمرض أم غير ذلك، احرصوا على أنْ نكون قريبين من بعضنا، من يحتاج مساعدة فليناد، أو يطلق رصاصة إنْ لزم الأمر.

عادل:

- عمّ سنبحث؟ عَنْ الكائنات؟

قائد الحرس:

- عن أي شيء غير طبيعي أو تظن إنَّه قد يكون سببًا لما حدث.

فتح باب المُنطاد، ووثبوا إلى سطح البناية، واتجهوا بحذر إلى السلم الذي يقود إلى داخلها.. أو إلى حتفهم..

* * *

دخول البلدة الأوروبية هو رحلة سياحية، الشوارع واسعة نظيفة ومرصوفة، صحيح إنها ليست مرصوفة بالقار، ولكن بقطع صخرية تجعل حركة السيارات سهلة ومريحة، الأشجار على جوانب الطرقات منحت البلدة منظرًا رائعًا، والمباني بطلائها المتناسق وتصميمها المتقارب، كنائسهم ومدارسهم بملامحها المميزة، وهذا كله احتشد في مركز البلدة ثم احتشدت حوله المزارع الواسعة، وجُعلت المصانع مع المطار في زاوية بعيدة منها، وهناك مبنى خاص بالشرطة، (عبد الرازق) نفسه أدهشه جمالها وهو الذي ذهب إلى بلدات (عيون الجنة) و(وادي السعادة)، بلدات فخمة ومبهرجة يقصدها الأثرياء وكبار الأعيان، أما هذه البلدة فجمالها في بساطتها، والعجب إنَّ جمالها صُنع من أشياء بسيطة لا تحتاج شراءها، بل حُسن استخدامها.

لم تكن رحلتهم ذات جدوى، كبير البلدة - وعلى لسان أمين البلدة الذي يترجم كلامه إلى (عبد الرازق) ومن معه- اعتذر بأنهم لا يملكون ما يحتاجونه، وأنَّهم بدورهم يعانون من نقص شديد في الكهرباء.

- ما هذه؟

سأل (عبد الرازق) وهو يمسك بالورقة الصغيرة التي أعطاها البائع له، وهو يشتري أشياءً لهم.

رد عليه أمين البلدة -الذي يصحبهم لأجل الترجمة- باللغة العربية التي يجيدها:

- فاتورة بمشترياتك.

ردد (عبد الرازق) بدهشة:

- فاتورة!

أمين البلدة مستغربًا:

- ما بك؟ أنا وأنت نتعامل بها كثيرًا في عملنا.

نعم نتعامل بها كثيرًا.. في عملنا.. في الصفقات الكبيرة بين التجار.. وليس لأجل شراء أشياء بسيطة بين أناس عاديين..

- هذه الورقة تسمح لك بإرجاع ما اشتريته حسب الشروط المطبوعة على ظهر الورقة.

نظر (عبد الرازق) إليه.. إلى الورقة.. إلى البائع الذي لا يفهم كلامهم ولا يعرف ما المشكلة.. إلى الورقة.. إلى الأمين من البلدة الأوروبية.. إلى (بهاء) و(عُمر)..

*** * ***

- هيا، بسرعة، لقد علمت لماذا جاء الهمج.

قال (عبد الرازق) وهو يحثهم على الإسراع في نقل مشترياتهم إلى السيارة التي ستقلهم إلى المطار.

في لهفة سأل (كنان):

ـ حقًا، ما هو؟

أجابه (عبد الرازق) وهو يدفع ما يحمله في صندوق السيارة بمساعدة السائق:

ـ فيما بعد، في المُنطاد.

ومن حيث لا يدري فوجىء (بهاء) برجل أشعث ينقض عليه ويمسك بتلابيبه وهو يصرخ ويصيح بجنون واللعاب يتطاير من فمه، ويتحدث بلغة لا يفهمها هو ولا رفاقه.

لم يدر (بهاء) ماذا يفعل، الرجل لا يقاتل بل يصرخ بحديث كأنه يرغب في شرح أمر ما، رفع يديه ليبعده عن نفسه حين اندفع مسؤول التوريد مع رجلين كانا يسيران في الشارع نحو الرجل الأشعث وأخذا يجذبانه بقوة وعنف بعيدًا، والدهشة تتملك (بهاء) ومن معه من الرجل وسلوكه، في حين أشار سائق السيارة لهم بيده بمعنى إنَّ الرجل مجنون.

أكملوا وضع مشترياتهم في السيارة، وشعر (بهاء) بتربيتة على كتفه وسمع أمين البلدة يقول:

ـ رجل مجنون يا صديقي، رجل مجنون.

ثم التفت إلى (عبد الرازق) وتابع:

ـ إنّه ينادي في الناس بضرورة تدمير التقنيات وجميع الأجهزة والمعدات التي نملكها، ويقول إنها السبب في دمار العالم.

نظر (بهاء) و(عُمر) إلى الرجل الذي ابتعد به الرجلان؛ ليشتبك معهم بالصراخ والتلويح.

قال (عُمر):

- ربما هو ليس مجنونًا.

ردّ عليه أمين البلدة:

- بل مجنون حتمًا، الإنسان هو من دمر العالم وليس التقنية التي لا تقوم إلا بما صُنعت له على يد الإنسان.

أشار (عبد الرازق) لرفيقيه قائلًا:

- هيا.

والتفت إلى أمين البلدة ليقول له تحية الوداع التي اشتهرت بعد الحرب الطاحنة:

- نفنى ويبقى ذو الجلال والإكرام.

رد عليه أمين البلدة:

- ويبقى ذو الجلال والإكرام.

* * *

15- مدينة الموت

لا توجد كلمات تصف ما شاهده الثلاثة سوى الموت والخراب.. كانوا يهبطون السلالم القديمة المتربة.. يمرون بالغرف على جانبي الممر في كل طابق.. الواحدة تلو الأخرى.. يجدون المكاتب القديمة.. وكراسيها المهترئة.. وأصحابها عظاماً متناثرة.. قد جاءهم الموت بغتة.. فلم يترك منهم أحدًا.. أكوام الرمال في كل ركن.. والتراب على كل شيء.. كأن الرياح أرادت دفنهم.. فأعياها العد والعدد.. فأخذت تحثو التراب عليهم.. تُخفي الملامح وتمحو الآثار..

لم يعثروا على على شيء في طريقهم، يبدو إنَّ المبنى كان مؤسسة حكومية أو مكاتب لشركات، فلم يكن هناك ما يخبر أنَّه كان للسكنى أو الاستعمال الخاص، بحذر هبطوا إلى الطابق الأرضي، المكان يبدو كقاعة استقبال الجمهور، وقد ألقت فيها الرياح بأطنان من الرمال حتى غرق ثلثها تحتها، و.. وجثة ضخمة لمخلوق حجمه خمسة أضعاف أضخم رجل عرفوه.. جثة ذهب نصفها العلوي تاركًا نصفها السفلي..

- ما هذا؟

سأل (عادل) وهو ينظر إلى نصف الجثة ورائحة النتن تزكم أنوفهم، وهم يدورون حولها، قال (كنان):

- يبدو إنه قُتل من وقت قريب، أسبوع على الأكثر.

كرر (عادل) سؤاله:

- ولكن ما هذا؟

و عقَّب دون أنْ ينتظر إجابة:

- لا يمكن لهذا أنْ يكون بشرًا.

قال قائد الحرس وهو ينفض المكان بعينيه:

- لا شك إنَّه أحد المخلوقات التي صنعت أساطير المدينة.

قعد (كنان) القرفصاء عند طرف رجل المخلوق، سأل:

- لكن من أين جاء؟ من قتله؟

قال قائد الحرس وهو يقترب من الباب المؤدي للخارج:

- حتمًا هو طفرة من طفرات الحرب الجرثوميّة أو النووية، أما من قتله فهو طفرة أخرى تجوب المكان.

واصل (عادل) سيره حول بقايا المخلوق، وسأل:

- ألا تلاحظون إنَّه لا يوجد أثر للكائنات التي هاجمتنا؟

رد عليه قائد الحرس وهو يعبر عتبة الباب إلى الخارج:

- بلى، وهذا يدعوننا للبحث في الأماكن الأخرى، هيا بنا.

لم يسفر بحثهم عن شيء سوى تكرار مشاهد المأساة بصور أخرى، والعثور على المزيد من الكائنات المخيفة ممزقة أشلاء.

أخذ الغيظ (كنان) وجعله يهتف:

- أين ذهبت تلك الكائنات؟ لا نجد أثرًا لها!

قال (عادل) وهو يتلفَّت حوله:

- لعلها تعيش في منطقة الحديقة وما حولها فقط!

أقرّ قائد الحرس قوله وهو يمسك بجهاز الاتّصال:

- لعل الصواب ما تقوله، (يسري).. (يسري).. هل تسمعني؟

مضت مدة صمت قصيرة قبل أن ينبعث صوت (يسري) من جهاز الاتّصال في قائد الحرس:

- نعم، أسمعك، هل عثرتم على شيء؟

قائد الحرس:

- لا، هل ترى البناية التي عليها لوحة كبيرة مكسورة؟، على بعد خمس بنايات من البناية العالية، إلى الجنوب منها.

بعد صمت أجاب (يسري):

- أراها، ماذا عنها؟

قائد الحرس:

- التقطنا من سطحها، (يسري).. لا تدر محركات المُنطاد.

يسري:

- عُلم.

وأعاد قائد الحرس جهاز الاتّصال إلى حزامه، وأشار إلى رفيقيه أن يتبعاه.

*** * ***

لم يسفر تمشيط الحديقة وما حولها عن شيء ما.. لم يعثروا على جثة واحدة من الكائنات التي قتلوها.. لا آثار ركضها.. لا بقعة دماء.. لا شيء..

هل كان ذلك وهمًا!.. مستحيل.. لا يمكن أن يتوهموا جميعًا الشيء ذاته.. لقد قاتلوا تلك الكائنات وقتلوا منها.. فأين ذهبت الجثث!.. أين الدماء على الأقل!..

كل هذا نفثه (كنان) من صدره في أسئلة متتابعة، كان جوابها على لسان قائد الحرس:

- هناك أمر غامض، كيف اختفت تلك الأشياء وكل آثارها!

عادل:

- هذا هو السؤال، كيف! نحن لم نتوهم، آثار دمائهم على المُنطاد يمكن رؤيتها من هنا، لقد مزقت مراوح المُنطاد الكثير منهم.

كنان:

- هناك وسيلة لحسم الأمر.

التفت إليه الاثنان وقبل أن يحاول أحدهما منعه، كان رفع سلاحه نحو السماء و.. وأطلق الرصاص..

ودوى صوت الرصاص في سكون المكان كألف ألف مدفع..

*** * ***

- رسالة! رسالة ممن؟

هتف (بهاء) بهذا السؤال في وجه (عبد الرازق)، ومُنطادهم يطير في سماء البلدة الأوروبية متجهًا للجنوب.

عُمر بدوره كرر السؤال وقد جعل من هيئة (بهاء) هيئته، وانتظروا من (عبد الرازق) جوابًا لم يتأخر به:

- رسالة من رب السماء، من رب العالمين، هو من أرسل الهمج إلينا حتى نستيقظ، حتى ننهض من سباتنا.

في حيرة قال (عُمر):

- أي سُبات هذا الذي تتحدث عنه؟

جاء دور (عبد الرازق) ليهتف:

- أي سبات! أتسأل عن أي سُبات أتحدث! عن سُباتنا نحن، العالم ينهض من حولنا، ونحن في سُباتنا، من حولنا أسوار تُبقينا أحياءً والخوف من ورائها يحاصرنا، تطورنا هو ما يجود به الآخرين علينا، لا يوجد لدينا مستشفى ولا مدرسة ولا شرطة، فقط عيادات بسيطة ومراكز دراسية محدودة والمشاكل والجرائم يتكفل بها كبار البلدة، لولا الهمج لم يفكر أحدنا في البحث عن مصدر طاقة يناسب احتياجات أكبر، دائمًا نبحث عن حل للمشكلة وقت حدوثها بدلًا من البحث عن بديل أفضل للموجود، لا زال أطفالنا يدرسون بأساليب بسيطة وعتيقة ومن يرغب في التخصص عليه أن يجد متخصص يقبله.

أكمل (بهاء) الحديث عنه:

- وهذا المتخصص تتفاوت خبرته عن الآخرين، أو على الدارس أن يذهب إلى الشام، والشام أغلقت حدودها ولم تعد متاحة، وعلينا أن ننهض بأنفسنا، نبني مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، ونعد مناهجنا التي تضمن انتقال العلم كاملًا ومتساويًا لجميع الأفراد والأجيال، يجب أن نستفيد من

أهل العلم والخبرة قبل الكارثة، خاصة وأيامهم بيننا معدودة، يجب أن نحاول استعادة التقنية القديمة وإعادة إنتاجها من جديد، أو نصنع لها بدائل، يجب أن نتوقف عن البحث عن العتاد والأجهزة القديمة هنا وهناك وننتج ما نحتاجه بإيدينا.

نظر (عُمر) إليهما دون أنْ يتكلم وجاء صوت (محمد) من عند لوحة قيادة المُنطاد يقول دون أنْ يلتفت إليهم:

- وهل تظنان أننا سننجح! هذه التقنيات تحتاج إلى معدات احتاجت صناعتها عشرات بل مئات من السنين، وآلاف العلماء والخبراء والمخترعين، حتى الشام التي نجت من مخاطر الحرب الطاحنة، لا تزال عاجزة عن صنع أكثر هذه التقنيات.

رد عليه (بهاء):

- المهم هو حفظ التقنية وإن لم نستطع إنتاجها الآن، يجب إعداد المناهج التعليمية التي تساعد على حفظها ونقلها للأجيال القادمة، وحتمًا سيأتي يوم نكون فيه قادرين على صنع تلك التقنية، المناطيد التي نستخدمها هي مزيج من تقنيات قديمة مع تقنيات قبل الحرب الطاحنة، وهي أفضل كثيرًا من المناطيد القديمة وبالونها أصغر حجمًا، ولكنها أقل جودة وسرعة من طائرات قبل الحرب الطاحنة، مع تطوير التقنيات المناسبة أو تقليد بعض تقنيات ما قبل الحرب الطاحنة، سنكون قادرين على إنتاج بدائل أفضل خلال سنوات قليلة.

قال (عُمر) وهو يجلس بجوار (بهاء):

- ولكن المناطيد لها بدائل أفضل، هناك طائرات ما قبل الحرب الطاحنة، وهناك نماذج أفضل وأسرع من هذه.

بهاء:

- هذا صحيح، ولكن تلك الطائرات لا يمكن إصلاحها عند العطب، لإننا لا نعلم الكثير عن تقنياتها، كما إنها تستخدم وقودًا خاصًا، يجعلها مكلفة جدًا في وقتنا هذا وقصيرة الأجل، لأن عملية إنتاج الوقود ليست بكفاءة ما قبل الحرب الطاحنة، أما النماذج الأفضل من المناطيد فهي محاولات فردية، نحتاج لدمج هذا كله في مناهج خاصة ننقلها لابنائنا، وربما في وقت قريب نستطيع صنع طائرات قوية سريعة، قد لا تكون في قوة وسرعة الطائرات قبل الحرب الطاحنة ولكنها حتمًا ستكون أفضل وأسرع من المناطيد، خاصة إذا أنشأنا المصانع المتخصصة بدلًا من الاعتماد على المشاريع الفردية والهواة، والمناطيد هي جزء صغير مما نحتاجه، نحتاج أطباء ومهندسين وباحثين، نحتاج مدارس ومعاهد وجامعات ومستشفيات، نحتاج قضاة وشرطة وبلدية وجيش منظم.

قال (عبد الرازق) وهو ينهض:

- لقد قررت، اتجه بنا يا (محمد) إلى أقرب بلدة في طريقك، ستهبطون هناك وسأوصيهم بنقلكم إلى بلدتنا، أما أنا فسأذهب.

بدهشة سأله (عُمر):

- تذهب! تذهب إلى أين؟

أجابه (عبد الرازق) بعزم:

- سأذهب إلى هناك.. إلى مدينة الموت..

*** * ***

هتف قائد الحرس في غضب:

- ماذا فعلت يا أحمق؟ إننا نحاول إخفاء أنفسنا.

أجابه (كنان) بفظاظة:

- وأنا أحاول إجبارهم على الخروج من جحورهم.

ارتفع صوت (يسري) من جهاز الاتّصال يقول قلقًا:

- ماذا هناك؟ لماذا تطلقون النار؟

انتزع قائد الحرس جهاز الاتّصال من حزامه، وأجاب وعيناه صوب (كنان):

- لا شيء يدعو للقلق، (كنان) يعرض وجهة نظره.

جاء صوت (يسري) مستغربًا:

- وهل يحتاج هذا إلى إطلاق الرصاص!

أراد قائد الحرس أن يرد عليه، ولكن منعه هتاف (عادل) وهو يقول:

- هل تسمعون هذا؟

أصاخوا جميعًا السمع، فلم تجد أسماعهم غير الصمت، بل لأول مرة أدركوا إنَّهم لا يسمعون هفيف ريحٍ ولا صياح طائرٍ ولا حفيف شجرٍ.. كان صمتًا يثير الرهبة والخوف في النفس..

- ماذا هناك؟ ماذا حدث؟

انبعث صوت (يسري) من جديد من جهاز الاتّصال، ليقطع صمتهم وينتزعهم من جمودهم، ورد عليه قائد الحرس:

- لا شيء يا (يسري)، لقد ظنـ...

انطلق هتاف (عادل) مرة أخرى يقول:

- اصغوا..

مرة أخرى أصاخ الجميع سمعهم، ومرة أخرى لم يسمعوا شيئًا، وتكرر الأمر و...

- ما هذا؟

جاء هتاف (كنان) ليخرجهم من حالهم مرة أخرى، وقبل أنْ يسأله قائد الحرس عمَّ يسمع، بلغ مسمعه ما يثير الدهشة..

كان صوت ألحان... ألحان ترتفع نغماتها شيئًا فشيئًا.. ثم تتوقف هُنيهة ثم تعود أعلى.. ألحان هادئة تبعث الهدوء في النفس والاسترخاء في الجسم..

قال قائد الحرس والدهشة تغلف كلماته:

- ما هذا؟

أجابه (عادل) وهو يتربص حوله:

- إنها ألحان.

نهش الغيظ قلب (كنان) واستهزأ:

- حقاً! كنت أظنها شطائر جبن.

قائد الحرس:

- هذا الأمر ليس طبيعيًا.

كنان دون أنْ يترك الالتفات حوله:

- بالطبع، ليس طبيعيًا، من يقوم بهذا إما أحمق لا يبالي بما حوله، أو له هدف لا نعلمه.

جعل (عادل) يده اليسرى كالبوق، ووضعها على أذنه، قال:

- من أين تأتي؟

أشار (كنان) إلى مبنى ضخم قائم خلف ركن الحديقة البعيد منهم، قال:

- من هناك.

شهر قائد الحرس سلاحه قائلًا:

- هيا بنا، خذا حذركما.

وبيسراه رفع جهاز الاتّصال من حزامه إلى فمه وقال:

- (يسري).. هل تسمعني؟

جاءه صوت (يسري) مدهوشًا:

- نعم، أسمعك، ما هذه الألحان؟

أشار قائد الحرس بسلاحه لرفيقيه بالتحرك، وساروا بحذر وهو يجيب:

- هذا ما نحاول معرفته يا (يسري)، أريد منك التوجه إلى المبنى الضخم في مواجهتنا، قد بحذر ولا تقترب منه وكن مستعدًا لأي طارئ.

لم يخل صوت (يسري) من التوتر وهو يجيبه:

- عُلم.

واصلوا تقدمهم نحو المبنى والحذر في حركاتهم وأسلحتهم مشهرة، وشاهدوا مُنطادهم هو يتجه إلى المبنى، ويدور حوله دون أنْ يقترب منه.

قال قائد الحرس:

- هل تلاحظون شيئًا؟

قال (عادل) بقلق:

- مثل ماذا؟

قائد الحرس والتوتر يعصف بكلماته:

- الألحان.. الألحان لقد تغيرت.

هنا أدرك رفيقاه إنَّ الألحان صارت حماسية وسريعة وعالية جدًا، وقبل أن ينبس أحدهم ببنت شفة ليسأل عن مغزى ذلك، انبعث صوت (يسري) من جهاز الاتّصال مذعورًا:

- يا جماعة، هناك أمر غير طبيعي يحدث حولكم.

لم يفصلهم عن المبنى الضخم سوى ثلاثين مترًا، ولكن قول (يسري) جعلهم يتوقفون وينظرون حولهم، وقائد الحرس يسأل عبر جهاز الاتّصال:

- ما هو الأمر غير الطبيعي يا (يسري)؟

رد (يسري) بذعر:

- المكان من حولكم إنه.. إنه يموج كموج البحر.

قول (يسري) هو الوصف الدقيق لما تراه أعينهم من حولهم، قبل أنْ يدركوا أنَّ هذا الموج هو عشرات الكائنات تنقض عليهم من كل اتَّجاه، ومع انقضاضتها جاءت أجوبة لأسئلتهم، أين تختبئ الكائنات؟ أين ذهبت بقاياها؟ لماذا هذه الألحان؟ ولماذا توقفت فجأة؟

*** * ***

- إلى الآن لم يأتني أي اتّصال من قائد الحرس، والحق إنني أشعر بقلق بالغ.

قالها (تامر) نائب قائد الحرس وهو يجلس مع السَّيِّد (جمال) في مكتب الأخير مع (عمران) والسَّيِّد (سامح).

قال السَّيِّد (جمال) وهو يدعك ذقنه:

- هذا أمر يدعو للقلق، لقد غادر مع الحرس قبل عصر الأمس، ولم يرجعوا حتى الآن!

قال (تامر) تعقيبًا على تعجبه:

- لم يخبرني أنه سيتأخر، قال إنه سيذهب في رحلة استكشافية قصيرة نحو الغرب، لعله يجد سببًا لفرار الهمج إلى الشرق، أكد إنَّه سيعود قبل مغيب الشمس، فإن تأخر فعلي أخذ مكانه، ولم يعد إلى الآن.

قال السَّيِّد (سامح):

- ماذا عن الهمج؟ هل من جديد؟

فتح (تامر) كفيه قائلًا:

- لا جديد، إنَّهم يواصلون فرارهم إلى الشرق، يبدو هجومهم علينا كان لظروف خاصة أو أنَّ براميل الوقود أخافتهم.

السَّيِّد (جمال):

- المشكلة أنَّنا لا نملك مناطيد كافية لإرسال، لم يتبق لدينا سوى منطادين، مُنطاد للحراسة ومُنطاد النجدة والإسعاف، ونحن نحتاج كليهما.

عمران:

- لدينا مُنطاد التوريد، كما توجد طائرتان.

السَّيِّد (سامح):

- مُنطاد التوريد لا يمكن للبلدة الاستغناء عنه، كما إنه ضخم جدًا وبطيء، والطائرات لا تستطيع تقديم النجدة أو المساعدة بدون مطارات.

السَّيِّد (جمال) وهو يحدق إلى الفراغ والقنوط في كلماته:

- الحل هو انتظار انقضاء اليوم، فإن لم يحدث جديد، نرسل مُنطاد الحراسة المُتبقي صباح الغد.

ونظر إلى (تامر) وأردف:

- المهم هو أنْ تقوم بعملك، هل تحتاج معونة أو شيء ما؟

نفى (تامر) بهز رأسه ولسانه:

- لا، الأمور جميعها جيدة وتحت السيطرة، ولا ينقصنا شيء.

السَّيِّد (سامح):

- يبقى موضوع (عبد الرازق) ومن معه.

قال (عمران) وعيناه على السَّيِّد (سامح):

- لا جديد بخصوص مهمتهم، حتى الآن لم يعثروا على ضالتنا، وآخر رسالة بلغتنا تفيد بإنهم غادروا البلدة الأوروبية، وأحسبهم عائدين إلينا. لا يا (عمران)... إنهم ذاهبون إلى مدينة من مدن الموت.. مدن لم يعد منها أحد حيًّا.. ومن عاد مات.. من فوره..

*** * ***

- مدينة الموت!

هتف الثلاثة بها في آن واحد، ثم اتبع (محمد) هتافه بالصياح دون أن يلتفت إليهم:

- هل جننت؟

قال (عُمر) مستنكرًا:

- سَيِّد (عبد الرازق)، هذه المدن لم يرجع منها أحد، والبلدة تحتاج إلينا، من سيذهب ببضائعنا، ويأتي باحتياجاتنا!

نقل (عبد الرازق) نظره بينهم دون أن ينبس ببنت شفة، في حين لم يرفع (بهاء) عينيه عنه،ولم يتكلم أحدهم، حتى تنحنح (بهاء) ويقول:

- أنا مع رأي السَّيِّد (عبد الرازق).

صاح (عُمر):

- أجننت أنت الآخر! ألم تسمع ما قلته!

قال (عبد الرازق) والإصرار في ملامحه وكلماته:

- كلا، لم يجن أحدنا،(عمران) ينوب عني في عملي، بل هو أكثر مهارة مني في بعض الأشياء، بلدتنا تحتاج مصدر الكهرباء لحمايتها والنهوض بها، وحين نعود سيكـ...

قاطعه (عُمر) بهتاف:

- تعود! لم يعد أحد من مدن الموت!

قال (بهاء) بقدر من الهدوء:

- لقد عاد صاحب الخريطة.

صاح (عُمر) في غيظ:

- ألم تسمع (موسى) وهو يقول إنَّه مات.

هتف (عبد الرازق) في صرامة:

- كفى، أنا لا استأذنكم، أنا أخبركم بقراري، ولا أطلب منكم مرافقتي، سنتجه الآن إلى أقرب بلدة، وسأوصي بنقلكم إلى بلدتنا وأنا سأذهب وحدي.

نهض (بهاء) من مكانه وقال بحزم:

- وأنا معك.

وتابع ليقطع الطريق على الرفض الذي نضح من وجه (عبد الرازق):

- لن تذهب بدوني، نذهب معًا أو نعود إلى بلدتنا معًا.

سأله (عُمر) في غضب:

- هل تعلم ماذا سيحدث لك حين العودة، هذا إذا عدت!

قال (عبد الرازق) بإصرار:

- لن يذهب معي.

تجاهل (بهاء) قول (عبد الرازق) وأجاب (عُمر):

- نعم، سأذهب للحجْر، وسأبقى هناك أربعين يومًا، ولكن سيكون معي المولِّد الكهربائي.

نظر له (عبد الرازق) في غضب، قال:

- لن تذهب معي.

عاد (بهاء) ليقعد وهو ينظر إليه بهدوء شديد وقال:

- إذاً لن تذهب أنت.

حمل صوت (محمد) مفاجأة جديدة لهم:

- لن يذهب أحدكما من دوني.

- ماذا؟

هتف بها (عُمر) وتابع:

- أتشاركهم هذا الجنون؟

رد عليه (محمد) بحدة:

- لن أعود إلى بلدتنا لأقول لهم رجعت لكم بعريس.

رغم توترهم لم يجد (بهاء) سوى الابتسامة تعليقًا على قوله، أما (عُمر) فأدار نظره بينهم والغيظ يعصف به ثم قال:

- أهذا قراركم جميعًا؟

قال (عبد الرازق) بصرامة:

- بل قراري أنا، أنتم ستعودون للبلدة.

رفع (بهاء) حاجبيه ونظر إلى (عبد الرازق) وهو يقول:

- أتعني إنك تستطيع التغلب على اثنين!

قال (عُمر) بحدة:

- بل هل يستطيع التغلب على ثلاثة؟

نظر إليه (عبد الرازق) وبدهشة كرر كلمته الأخيرة:

- ثلاثة!

هتف (محمد) والدهشة في سؤاله:

- ثلاثة! من الثالث؟

صاح (عُمر) بغيظ:

- أنا، أنا الأحمق الثالث الذي سيصحبكم.

- أنت!

هتف بها (عبد الرازق) و(بهاء) بدهشة معًا، قبل أن يقول (بهاء):

- ما.. ماذا حدث؟ ما الذي غيّر موقفك؟ ألست أنت من يرفض الذهاب إلى هناك؟

قال (عُمر) في غيظ:

- لن أعود إلى البلدة خالي الوفاض أو مع ذلك أحمق، لأخبر الناس أني جبنت في حين ذهب الأبطال ليحضروا لهم مصدرًا للتيار الكهربائي من مدينة الموت.

لم يتكلم أحدهم لبُرهة، وهم ينظرون إليه وينظر لهم، حتى ارتفع صوت (محمد) يقول:

- يا عريس، هات الخريطة حتى نجد طريقنا إلى مدينة الموت.

وضع (عُمر) عينيه في عيني (عبد الرازق) ودون أن يتكلم مدّ يده إليه، ولم يغيّر الثاني من هيئته، كأنه لا يرى اليد الممدودة، فقال (عُمر):

- هيا، لا تدع الأحمق ينتظر أكثر، إنَّ الحمقى سِراع الغضب.

لم يجبه (عبد الرازق) من فوره واستمر يحدق إليه، ولكن بعد لحظة مد يده إلى جيبه وأخرجها ومدّ يده بها إلى (عُمر)، الذي أسرع بها إلى (محمد).

وانطلقت تنهيدة ارتياح طويلة من صدر (بهاء) وقال مخاطبًا (عبد الرازق):

- لوهلة ظننت إنّك سترفض.

قال (عبد الرازق) بهدوء بعد أنْ نظر إليه:

- كنت سأرفض، ولكن بحسبة بسيطة وجدت إنَّ ذهابكم معي، سيجعل الموت دائمًا بعيدًا عنّي بمقدار ثلاثة حُمقى.

ضحك (بهاء) ثم أردف:

- من الجميل أنْ نفكر جميعًا بنفس الطريقة.

جاءهم صوت (عُمر) من مقدمة المُنطاد، يقول:

- رحلتنا ستستغرق عشر ساعات، أي إننا سنصل المدينة بعد غروب الشمس بساعة على الأقل.

نهض (عبد الرازق) واتجه إليه ومن خلفه (بهاء)، وقال الأول:

- كالعادة، سنجد مكان خارج المدينة، وعند الفجر نتجه إليها.

سأله (محمد):

- نحتاج إلى المزيد من الوقود لأجل المُنطاد.

ربّت (عبد الرازق) على كتفه وهو يقول:

- وما تظنني فعلت في المطار، معنا كل المؤونة التي نحتاجها، كل ما عليك هو أنْ تأخذنا إلى هناك.

وتابع بصوت أقرب للهمس:

- إلى مدينة الموت..

*** * ***

16- كل شيء وأي شيء

الأرض التي ساروا عليها.. الأشجار التي مروا بها.. الأشياء التي تخطوها.. كلها كانت تموج كالبحر لتنفصل عن نفسها وتندفع نحوهم لتتخذ شكل الكائنات التي هاجمتهم من قبل..

اندفعت الكائنات نحوهم وهي تستعيد هيئتها.. وتسترجع ألوانها.. في مشهد مهول تسقط فيه قلوب الشجعان شظايا..

ومن الإنصاف القول أنَّ الرعب شلَّ أوصالهم، فلم تنطلق منهم رصاصة واحدة، ولم يشعر أحدهم إلا بالكائنات وهي تثب عليه وتحتضنه وتتراكم عليه حتى تسقطه أرضًا.. واختفت أجسامهم تحت أكوام من الكائنات.. أكوام ترتفع.. وترتفع.. وترتفع..

* * *

دبّ الفزع في قلب (يسري) وهو يرى رفاقه يسقطون، وأجسامهم تختفي تحت أكوام من الكائنات، ولوهلة لم يعرف ماذا يفعل!..

... يبدو إننا نسينا إنَّ هذا مُنطاد حراسة، وإنَّه مزود بثلاثة مدافع رشاشة ثقيلة...

سطعت كلمات قائد الحرس في ذاكرة (يسري) كشمس أشرقت فجأة في منتصف الليل..

وبلا تردد أشعل محركات المُنطاد ليملأ ضجيجها مسامعه والمدينة واندفع به حيث سقط رفاقه، وبكل قوة ضغط زر إطلاق النار.. و.. وفُتحت أبواب الجحيم..

كانت المدافع الرشاشة تحصد ما تصيبه حصدًا، لا تصيب حجرًا إلا وفتته ولا شجرة أو غصن إلا وكسرته، تضرب الأرض فتتطاير أمواج من الرمال، وتصيب كائن من الكائنات فتقتلعه اقتلاعًا من مكانه لتُلقي به بعيدًا كأنها ريح عاد.. ودويها يملأ الفضاء كزئير ألف وحش.. حتى لتسأل نفسك عن كنهها وحقيقة أمرها..

وأدركت الكائنات أنَّ لا حيلة لها بهذا السيل المنهمر ولا سبيل لها في مقارعة هذا الإعصار القادم من السماء، وأخذت تزحف مدبرة تريد النجاة.. وهي تتلاشى بسرعة في المحيط من حولها..

لم يتوقف (يسري) لحظة عن إطلاق الرصاص، حتى اختفى آخر كائن منها من المكان.. تيبست قبضته على زر الإطلاق.. صارت معه كتلة واحدة.. استمر إطلاق الرصاص.. ثم تنبه لنفسه ورفع يده عن زر إطلاق الرصاص.. وأدار المُنطاد إلى حيث أجسام رفاقه.. أو جثثهم.. أجسامهم ملقاة على الأرض.. ساكنة لا تتحرك.. وبيد مرتجفة ضغط زر جهاز الاتّصال وبصوت متحشرج نادى:

- أبا محمد.. أبا محمد.. هل تسمعني؟

لم يأته رد.. جهاز الاتّصال لم يستقبل أي إشارة تدل على الحياة.. أو الحركة على الأقل.. وهو يوشك على البكاء، ضغط زر جهاز الاتّصال مرة أخرى.. و..

- نعم يا (يسري).. أسمعك..

انبعث صوت قائد الحرس من جهاز الاتّصال، ليبعث البهجة في وجدانه المكلوم.. وغصت الكلمات في حلقه واختنقت فماتت.. وكبرياء الرجولة على أجفانه يدفع الدمع إلى المُقل فلا ينسكب فيجرحه..

- يسري.. (يسري)... هل تسمعني؟

مضت لحظات حتى جمع (يسري) شتات نفسه، وبصوت متحشرج نادى حتى يعلو صوته على صوت المحركات:

- نعم يا (أبا محمد).. أسمعك جيدًا..

أدرك قائد الحرس من صوته ما يجيش به صدره، وقال بصوت عال:

- نحن بخير ولكن نحتاج إليك كي تأخذنا.

وشاهد (يسري) قائد الحرس وهو ينهض ببطء من مكانه وحده، وبحث عن مكان يصلح للهبوط، لكن أشجار الحديقة اليابسة لم تبق مكانًا للهبوط، وتبدو كعشرات الرماح في هيئة أشجار، ضغط زر الاتّصال:

- أبا محمد، لا أجد مكانًا للهبوط.

رد عليه قائدالحرس:

- لا عليك، أريد منك أن تلقي لنا مرساة المُنطاد.

لام (يسري) نفسه على غبائه وبطء تفكيره، هذه هي المرة الثالثة التي يقترح فيها أحد شيئًا يجب أن يكون هو أعلم به من سواه.. البالون الإضافي.. المدافع الرشاشة.. المرساة..

* * *

أدخل قائد الحرس طرف المرساة في حزام (كنان)، وأشار إلى (يسري) بيده، فارتفعت المرساة حاملة جسد (كنان) حتى بلغت باب المُنطاد، ورأى قائد الحرس (يسري) وهو يجذب (كنان) إلى داخل المُنطاد، كان مطمئنًا أنَّ (كنان) و(عادل) سوف يستعيدان وعيهما خلال وقت قصير.. أما لماذا لم يفقد هو وعيه!.. فهذا أمر لا يعلمه إلا الله..

انهمك (يسري) في مراقبة المرساة التي ترتفع ومعها جسم (عادل)، وصوت محركات المُنطاد يحجب عنه كل صوت.. فلم يبصر الرعب القادم..

قائد الحرس الذي أبصر ذلك الأفعوان الضخم، وهو يرفع نفسه من فوق سطح بناية قريبة ويمط نفسه محاولًا الوصول إلى المُنطاد..

وصرخ قائد الحرس ونادى بعلو صوته وشاهد (يسري) وهو يجذب جسم(عادل) إلى داخل المُنطاد، ورفع جهاز الاتّصال وأخذ يصيح بكل قوته:

- يسري، (يسري)، ابتعد بالمُنطاد، هل تسمعني؟ هناك شيء هائل كالثعبان يهاجم المُنطاد، (يسري)، (يسري)، هل تسمعني؟

*   *   *

انهمك يسري في جذب جسم (عادل)، ثم حمله إلى مقعد طويل، ليمدده عليه ويتأكد من..

وانطلق صوت الرصاص.. ليقطع ما يهم به ويرغمه على الاندفاع إلى مقدمة المُنطاد.. ورأى قائد الحرس وهو يتقافز ويلوح بيده ويطلق الرصاص، وأخذ يسمع صوته من جهاز الاتّصال:

- يسري، (يسري) ابتعد بالمُنطاد، (يسري) هل تسمعني؟

ونظر (يسري) إلى حيث يشير قائد الحرس ويطلق الرصاص.. مستحيل.. هذا لا يمكن أنْ يكون حقيقيًا.. لا يوجد ثعبان بهذا الحجم.. بل لا يوجد كائن بهذا الحجم..

زخة أخرى من الرصاص؛ انتزعته من ذهوله وجعلته ينقض على لوحة القيادة، ويندفع بالمُنطاد بعيدًا عن هذا الرعب.. رعب أنساه نفسه.. وجعله يترك قائد الحرس وحيدًا خلفه.. وحيدًا عند الخطر.. وعند الموت..

*** * ***

ابتعد (يسري) بسرعة كبيرة وقد ترك خلفه كل منطق، وأصبح الفرار تفكيره.. الرعب شلَّ عقله.. لا يُعقل أن يكون هناك ثعبان كهذا.. لا يمكن.. الأساطير ليسـ..

- أين قائد الحرس؟

جاء صياح (كنان) من خلفه، فالتفت إليه وحدق إليه بعينين لا تبصران.. صياح (كنان) أخرجه من دوامة الرعب .. دوامة الرعب التي شلَّت تفكيره وطمست بصيرته.. ونظر إليه ذاهلًا.. لقد ترك قائد الحرس هناك.. وحيدًا بين آلاف الوحوش.. مع أفعوان أو شيء مثل.. بشق الأنفس تمالك شيئًا من نفسه وبصوت مبحوح صاح:

- هناك.

مستغربًا صاح (كنان) وهو ينظر إليه:

- هناك! هناك أين؟

بدأ الروع يذهب عن (يسري) واستعاد شيئًا من رباطة جأشه، وأدار رأسه إلى الأمام، وأدار المُنطاد وهي يصيح:

- حيث كنتم.

اندفع المُنطاد عائدًا بهم إلى حيث كان، و(كنان) يصيح:

- كيف تتركه هناك وتذهب!

أجابه بصياح المرتبك ومنطق الخجِل:

- لأنك لم تر ما رأيناه، ثم هو من أمرني بهذا..

زاد من سرعة المُنطاد وهو يأمل أن يرى (كنان) ذلك الكائن، لعله يعذره ويخفف من الخزي الذي يعصف به.

بلغ المُنطاد مكانهم في الحديقة.. لا يوجد أحد.. ليس هناك كائن.. أو حتى أثر له.. حتي قائد الحرس ليس له أثر في الحديقة.. طاف المُنطاد حول الحديقة.. بلا جدوى، لقد اختفى قائد الحرس.. اختفى تمامًا.. أو.. أو ذهب ضحية لكائن.. كائن لا يعلمون عنه شيئًا..

*** * ***

واصل قائد الحرس إطلاق الرصاص على الكائن وهو يشاهد المُنطاد يبتعد إلى الأفق البعيد، يبدو أنَّ الكائن أدرك أنَّه لن ينال من المُنطاد، وأنَّ بجواره فريسة سهلة، وانقض بقوة على قائد الحرس..

أطلق قائد الحرس الرصاص بغزارة وهو يشاهد إنقضاضة الكائن عليه، قبل أن يندفع بقوة نحو البناية القريبة التي كانت تصدر منها الألحان، ووثب فوق السور الحديدي المُتهالك الذي يحيط بالحديقة، وسمع من خلفه السور وهو يتحطم وقوة هائلة تدفعه أمامها نحوه.. لم يلتفت قائد الحرس ليرى ما يحدث.. بل زاد من سرعته كأن مساعير الدنيا كلها تركض خلفه.. وصوت السور الحديدي يبلغ مسامعه وهو يجرف كل ما أمامه.. وبكل ما أُتِي من قوة وثب نحو نافذة محطمة في الطابق الأرضي ويتدحرج على أرضها المتربة.. ليعبر من فوقه الكائن ويضرب الحائط المقابل بقوة رجت المكان..

لم يضع قائد الحرس لحظة من وقته.. ولم ينظر ماذا حدث.. وثب من مكانه بقوة وهو يطلق الرصاص واندفع إلى باب الحجرة ووثب عبره إلى الممر الخارجي الذي تطل عليه عدة حجرات.. لم يعرف إلى أين يتجه.. وفى الطرف البعيد.. رأى الدرج الصاعد إلى الطوابق العلوية.. فاندفع نحوه وأخذ يثب الدرجات مثنى وثلاث..

بلغ الطابق الأخير.. واندفع نحو أقرب الحجرات إليه.. تجاوز بابها المُحطم.. وضع ظهره إلى الحائط بجوار الباب.. وهو يحاول كتم لهاثه وأصاخ السمع..

مضت بُرهة وهو لا يسمع شيئًا.. وبحذر مال ليطل برأسه خارج الغرفة.. كان الممر خاليًا.. وخلا المكان من كل صوت.. إلّا صوت المُنطاد يأتي من بعيد.. بجرأة أكبر ترك مكانه وتقدم بحذر في الممر حتى بلغ طرف الدرك.. أطل برأسه فلم ير شيئًا.. بحذر تراجع إلى الطرف البعيد من الممر.. إلى حيث نافذة لم يبق منها سوى إطارها.. وبحذر أطل برأسه منها، لم تكن تطل على الحديقة مباشرة، وبحث بعينيه عن البناية التي يقف ذلك الكائن عليها.. ووجدها.. ليس عليها شيء.. أين ذهب!.. هل.. هل هو معه هنا في نفس البناية.. التفت بسرعة إلى الممر خلفه.. كان خاليًا.. أين ذهب ذلك الكائن!..

بلغ مسمعه صوت المُنطاد وهو يعود.. بحذر سار في الممر.. الغريب في هذه البناية إنّ درجها لا يذهب إلى السطح كأغلب المباني.. بل ينتهي في هذا الطابق.. ولكن لا بد من وسيلة أو طريقة لبلوغ السطح.. السطح يُستخدم عادة لكثير من الأشياء.. ولا بد من طريقة للوصول إليه..

كان المُنطاد يدور حول الحديقة في هذه الأثناء.. يجب أن يلحق بهم قبل أن يدركهم اليأس من نجاته.. ويغادرون بدونه.. أخذ يبحث في الحجرات الواحدة تلو الأخرى، حتى وجد ضالته.. غرفة صغيرة يبدو أنَّها كانت تُستخدم للتخزين.. ودرجات حديديّة في حائطها تقود إلى كوَّة في سقفها.. كوَّة تسدها نافذة حديديّة.. بسرعة تسلق الدرجات ولكن.. الذراع الذي يفتح نافذة الكوَّة لم يتحرك ولم تُفتح النافذة.. السنون الطويلة من عدم

الاستخدام والصدأ والغبار جعل الذراع والنافذة قطعة واحدة لا تتحرك.. كان الحل لهذه العقبة بسيطًا ولكن عواقبه! الله وحده أعلم بها.. لم يتردد.. وثب إلى الأرض.. وصوّب سلاحه نحو الذراع الصّدئ وأطلق الرصاص.. وتحطم الذراع وأصابت الرصاصات النافذة الحديديّة وفتحتها بعنف.. بسرعة تسلق الدرجات وعبر الكوَّة.. كان المُنطاد يدور عند الركن البعيد وضجيجه يملأ المكان.. رفع قائد الحرس رشاشه إلى أعلى.. وأطلق الرصاص..

* * *

- هناك.

صاح بها (كنان) وهو يشير إلى البناية التي يقف قائد الحرس على سطحها، وهو ما لم يحتاجه (يسري)، رغم ضجيج المحركات استطاع تمييز صوت الرصاص..

اقترب المُنطاد من البناية، والحذر يقيدهم وأصابعهم مقبوضة على الأزْندة، حتى (عادل) -الذي أفاق قبل قليل- شعر بتوتر شديد والمُنطاد يقترب من قائد الحرس، وهتف:

- لا تهبط إليه.

وأكمل (كنان) بصوت عال:

- سننزل المرساة إليه.

مرة أخرى شعر (يسري) بأنه أحمق بطيء التفكير، وأنَّ الآخرين أسرع منه بديهة، وحاول أن يهزم هذا الشعور بهتافه:
- هذا خياري الأفضل، لا أريد المخاطرة بالمُنطاد.
ربَّت (كنان) على كتفه واستدار لينزل المرساة..

*** * ***

وضع قائد الحرس قدمه على حديدة المرساة ليقف عليها، وأمسك سلكها بيديه وهي ترتفع به ببطء..
بلغ قائد الحرس الثلث الأخير من ارتفاعه، حين طغت أصوات الرصاص على أصوات محركات المُنطاد، وهي تتطاير حوله كأنَّها تتنافس أيُّها تمزقه..
ورفع بصره إلى مصدرها.. ليرى مشهدًا لم يتخيله.. (كنان) و(عادل) يصوبان أسلحتهما إليه.. ويطلقان الرصاص بكل شراسة وعزم.. عزم على قتله..

دارت هذه التخيلات لوهلة في تفكير قائد الحرس.. قبل أن يدرك أنَّ أبصارهم تتجاوزه إلى أسفله.. نظر إلى مرماهم.. من جديد مئات من الكائنات تنقض على السطح..
ومرة أخرى قدّم الرعب أجوبة لأسئلتهم.. من أين جاء ذلك الأفعوان الهائل؟.. أين اختفى؟ هل هناك المزيد؟..

* * *

كانت الكائنات تنقض على السطح من كل حدب وصوب.. و.. وتلقي بنفسها فوق بعضها البعض.. كما تلقي قطرة الماء على الماء.. تنصهر.. تذوب.. تتلاشى.. في بعضها البعض لتصنع كيانًا واحدًا جديدًا.. كيانًا يكبر بسرعة أعدادها.. ويرتفع عاليًا كأفعوان هائل.. أفعوان يقترب بسرعة من قائد الحرس والمُنطاد..

الرصاص يخترق الكيان الجديد فلا يدميه.. ولا يردعه بل يزداد ضخامة وارتفاعًا واقترابًا منهم..

و.. وكما تنزع قطعة عجين من عجينة.. نزع كائن نفسه من قمة ذلك الأفعوان.. ووثب وثبة كبيرة إلى قائد الحرس..

ربما هذه المرة الأولى التي شعر فيها (يسري) إنّه الأسبق في فعل الصواب، وهو يرى هذا الكائن الأفعوان يتطاوح ويرتفع مقتربًا منهم.. لقد اندفع بالمُنطاد مبتعدًا..

جاءت اندفاعة المُنطاد لتجعل قائد الحرس قريبًا من الكائن الواثب.. فاستقبله بركلة قوية.. مع سيل من رشاشه.. ليسقط الكائن من علٍ.. وتبعه عشرات الكائنات وهي تنفصل عن ذلك الكيان.. وتثب إلى قائد الحرس.. ولكن المُنطاد ابتعد.. ابتعد كثيرًا.. وأخذت الكائنات تسقط أرضًا وتتلاشى.. أمسك قائد الحرس بيد (كنان) وتعاون هذا مع (عادل) على جذبه إلى داخل المُنطاد..

ومرة أخرى غبط (يسري) نفسه على خطوته التالية.. استدار بالمُنطاد.. وبكل حزم وقوة ضغط زر إطلاق الرصاص من رشاشات المُنطاد.. ليعلو صوتها فوق كل شيء..

ولأول مرة رأى الثلاثة ما تفعله رصاصات رشاشات المُنطاد.. وهي تفتك بالكائنات وتمزقها بشراسة.. ورأوا الكائن الأفعوان وهو يتمزق وينكمش و..

وخرصت الرشاشات.. خرصت ولم تعد تطلق الهلاك.. ورغم ضجيج المحركات.. خيّم عليهم صمت غريب.. صمت القوة..

- ماذا حدث؟

صاح بها (كنان) ورد عليه قائد الحرس بهتافه:

- لقد نفد الرصاص.

لبرهة لم يتكلم أحدهم، واكتفوا بمتابعة (يسري) وهو يدور بالمُنطاد في المكان ويشاهدون الكائنات وهي تختفي وتتلاشى.. في المنظور.. وفي المكان..

- والآن، ماذا؟

هتف بها (عادل).. أجابه قائد الحرس:

- الآن العودة للديار، ليس لدينا شيء هنا، ونفدت ذخيرتنا، وعرفنا سبب هروب الهمج.

صاح (كنان):

- هل تظن أنَّ هذه الكائنات سبب هروب الهمج؟

رفع قائد الحرس كتفيه مع قلْب كفيه وهتف:

- هل تملك سواه! هذه الكائنات قادرة على إفزاع وتهجير العالم كله.

هتف (عادل):

- ألا تخشّى أنْ تسعى إلينا؟

أجابه قائد الحرس بهتافه:

- ليس لنا الآن إلاّ العودة إلى بلدتنا وأخبارهم بما رأيناه ونفكر جميعًا في أمر هذه الكائنات وكيف نتصدى لها.

والتفت إلى (يسري) وصاح بكل قوته:

- يسري.. عُد بنا إلى بلدتنا.

هتف (كنان):

- لا، هناك أمر يجب أن نفعله قبل العودة، أمر هام.. هام جدًا..

*   *   *

- ما هذه؟

صاح (كنان) بسؤاله وهو ينظر إلى الفجوة السوداء، والدهشة تعصف به.

رد عليه (عادل) بصياحه:

- من يعلم؟

كان المُنطاد يدور حولها، والجميع ينظر إليها برهبة.. وخوف.. ولعل الخوف له الحصة الأكبر من مشاعرهم..

- هل جربتم هذا؟

صاح (كنان) بسؤاله وهو يرفع سلاحه إلى الفجوة السوداء، لتنقض يد قائد الحرس لتمسك به وهو يصيح:

- ماذا تفعل يا أحمق؟ نحن لا نعلم عاقبة فعلك؟

هتف (كنان) وهو يزيح يده عن السلاح:

- لا بد من مرة أولى، حتى نعرف العواقب.

وأطلق الرصاص وكتم الجميع أنفاسهم، وانتظروا.. وانتظروا.. وانتظروا.. ولم يحدث شيء ما..

انطلقت الرصاصات وغاصت في الفجوة السوداء، دون أن تحدث شيء ما.. أي شيء..

قطع (يسري) صمتهم بصياحه:

- والآن! ماذا؟

صاح قائد الحرس:

- الآن إلى البلدة.

وأعقب (عادل) بصياحه:

- ولا تنظر خلفك.

ادار (يسري) المُنطاد جهة الشرق، واندفع بهم نحوها تاركًا الفجوة السوداء خلفهم، وصاح (كنان):

- مستعدون للحجر الصحي؟

لم يجبه أحدهم.. أنَّه أمر لا مفر منه.. أمر يجب عليهم فعله.. لحماية أهليهم.. أحبابهم.. بلدتهم.. لم يجبه أحد وعيونهم تسابق المُنطاد إلى الأفق.. الأفق الذي يقودهم لبلدتهم.. وإلى الحَجْر..

أما الفجوة السوداء خلفهم.. انتظرت منهم التفاتة.. التفاتة بسيطة.. إلى الوراء.. كانت لتكشف لهم شيئًا من أسرارها.. وتزيح شيئًا من غموضها.. ولكن من طبع الحياة أنَّ كل شيء فيها.. تظهر حقيقته حين يحين وقتها..

وابتلع الأفق مُنطادهم بنهم.. شديد..

*** * ***

17- القاهرة..

أشرقت الشمس وأضاءت الدنيا بنورها، وبدت حدود الموجودات وتمايزت ألوانها، وأزرقت سماؤها الصافية، وبدت خالية من كل شيء إلا منطادًا يعبرها إلى الجنوب الغربي، وضجيجه يفترس الهدوء ويمزقه بوحشية..

ارتشف (محمد) رشفة طويلة من كأس الشاي الذي يحمله، وفي أسى وحزن مصطنعين، قال:

- وماذا نقول للعروس! ذهب العريس لمدينة الموت ولم يعد! وآآسفاه وآسفاه.

صب (عُمر) اهتمامه على قيادة المُنطاد، وتجاهل (محمد) تمامًا، كأنَّه لا يسمعه أو لا يبالي بما يقول، بعد ليلة هادئة ونوم عميق، يأتي الاستيقاظ بصدر شرح مما يجعل (محمد) أشبه بصبي مشاغب، ولكن هذا لم يمنع (محمد) من الإرداف في مزيد من الأسف المصطنع:

- المسكينة.. إنها تنتظر بلا أمل عودة العريس المحبوب..

وربّت على كتف (عُمر) وشخص ببصره لأعلى وتابع:

- أعدك.. أعدك بالصداقة التي تجمعنا، إنني سأذكر لها شجاعتك وإقدامك.. سأقول لها إنَّك ذهبت للموت مقبلًا غير مدبر.. عشت فارسًا ومت شجاعًا.

واصل (عُمر) عدم اكتراضع بحديثه، ونظر للخريطة أمامه، المفترض أن تظهر المدينة أمامه في أي لحظة..

- ها هي.

هتف (عُمر) بارتياح وظَفْر- كمن وجد كنزًا- وهو ينظر إلى بشائر المدينة وهي تبدو من بعيد، وأحاط به الباقون ينظرون إليها بصمت وهي تنساب نحوهم.

- يا إلهي.

هتف (بهاء) وهو يرى معالم بداية المدينة وقد أصبحت واضحة.. لا لبس فيها ولا غموض..

مستحيل.. لا يمكن أن توجد مدينة بهذا الحجم.. بهذه الضخامة.. بهذا الاتساع.. بهذا الارتفاع.. مبانيها عالية.. عالية جدًا.. حتى إنَّك لتكدس ثلاثة منازل من بلدتهم فوق بعضها لتصل إلى ارتفاع أقصرها.. شوارعها طويلة.. طويلة.. وبلدتهم في أقصى اتساع لها لا تصل ربع شارع من شوارعها الممتدة إلى آفاق البصر..

ومبانيها.. كم من البشر سكن فيها.. آلاف آلاف البشر.. حتما.. إنَّ كل سكان بلدتهم.. جميعًا.. يمكن حشرهم في ثلاثة أو خمسة على الأكثر من هذه البنايات العالية.. أين ذهب سكان هذه المدينة!..

ملأت الرهبة وجدانهم ومُنطادهم ينساب فوقها.. وسَهُمَت وجوههم وأفكارهم تشرد منهم إلى أجمة السؤالات وأحراش الخوف..

كانت المدينة تبدو غافية.. مشعثة.. مرهقة.. أدارت رأسها عن الدنيا كلها.. لا تريد أنْ تراها.. وعثاء الدهر دثارها.. وندوبه في كل أنْمُلة منها.. تحتضن نهرها في أسى.. كأم لم يبق لها من الدنيا سواه.. وهو

ينساب في أحضانها.. يلتمس الحنان والطمأنينة في حِجْرها.. من أُم لا يعلم أنَّها ماتت.. وتركته وحيدًا في دنياه..

مدينة بُنيت لتكون تميمة لقهر الغزاة.. فقهرها الزمن بعد أن أثخنته طعنًا بالحوادث والسِيَر..

وبقت ندوبها في بدنه.. كلما مرّ بخلق علموا إنَّها هي الخصم العنيد..

مدينة اسمها..

القاهرة..

* * *

- والآن.. أين نذهب؟

خرجت من (عُمر) خافتة متحشرجة، وقد انشغل الجميع بالنظر إلى المدينة، وتنحنح (عبد الرازق) قبل أنْ يقول:

- على الخريطة ثلاث علامات مميزة تحيط بالمكان الذي يحتوي المولِّد الكهربائي.

تنحنح (عُمر) بدوره وهو ينظر من الخريطة على لوحة قيادة المُنطاد إلى المدينة أمامه، وقال:

- صحيح، ولكن أين نبحث عن هذه العلامات المميزة؟

كان مُحقًا في استفهامه، المدينة تمتد من حولهم على مدى البصر، وهم يغوصون داخلها بلا هدف، وعشرات المعالم تنتصب شامخة، رغم الخراب والدمار الذي أصابها.

- لديَّ اقتراح.

قالها (بهاء) وهو يغالب حشرجة في صوته، فجذبت إليه أعْيُن الآخرين، فأردف:

- سنتخذ علامة مميزة، وندور حولها في مسار حلزوني.

قال (محمد) وهو يستحسن الفكرة وينقل بصره من (بهاء) إلى المدينة:

- فكرة رائعة، فقط علينا أنْ نجد تلك العلامة المميزة لنبدأ منها.

نظر (عُمر) إلى الوقود واستفسر:

- هل سيكفينا الوقود لتنفيذها والعودة إلى بلدتنا؟

أجابه (عبد الرازق) مطمئنًا وهو يمسح المدينة بنظره:

- الوقود يكفينا للعودة في الأحوال العادية، وإن لم يكف فسنستخدم البالون الإضافي، ومراوح التوجيه فقط، هذا سيوفر ثلاثة أرباع الوقود.

ورفع سبابته مشيرًا أمامه وهو يقول:

- هذه.. هذه علامتنا.

كانت العلامة بناية ضخمة وعالية وقد تحطمت طوابقها العلوية، وعلى قمتها أبراج اتّصالات محطمة مما جعلها مميزة عن كل ما حولها.

دار (عُمر) حولها دورة واسعة، ورفاقه كل منهم ينظر إلى المدينة من اتجاه مختلف، دون أنْ تبدو علامة من العلامات الثلاث.

هذا جعل (بهاء) يقترح:

- نحتاج دورة أوسع من ذلك بكثير.

رد عليه (عُمر):

- العقبة في البنايات العالية، كلما كانت الدورة أوسع كلما كانت فرصة العثور على علامة من العلامات أقل.

أشار (بهاء) بسبابته إلى الأفق، ووافقه:

- هذا صحيح، ولكن دائرة أوسع مع ارتفاع أعلى ستزيل هذه العقبة، هل ترى تلك البنايات البعيدة، التي تبدو كأعمدة ضخمة، أجعل الدورة التالية تبلغها.

أطاعه (عُمر) وحذَّر:

- ارتفاع أعلى يعني وقود أكثر، يعني رحلة عودة طويلة.

وضع (عبد الرازق) يده على كتف (عُمر) وهو يقول:

- يعجبني هذا التفاؤل، إذا خرجنا سالمين، فلن اعترض إذا استغرقت رحلة عودتنا شهرًا.

قال (محمد) دون أن يرفع عينيه عمّا أمامه:

- أنا لن اعترض إذا استغرقت عامًا كاملًا، الغريب أنَّ العلامات مميزة ولكن لا نراها.

نظر إليه (بهاء) وفسَّر:

- ضخامة المدينة وكثرة معالمها وارتفاع مبانيها، يجعل العثور على ثلاثة مباني خماسية الجوانب، تصل بعضها البعض بجسور تمتد بين طوابقها الأولى، أمرًا صعبًا.

أكمل (عُمر) الدورة الثانية، وشرع في الدورة الثالثة، و(محمد) يقول:

- قد نستغرق شهرًا في البـ...

- نحن نبحث عن العلامة الخطأ.

بهذه الجُملة قطع (بهاء) حديث (محمد)، لتلتفت إليه الرؤوس، في حين لم يرفع هو عينيه عن الخريطة، وتابع:

- المباني الثلاثة ليست علامات، بل هي توضيح للمكان الذي يحتوي المولِّد الكهربائي.

وضع سبابته على الخريطة وهو يواصل حديثه:

- هذه هي العلامة.

تقاربت رؤوسهم ومالت إلى الخريطة، قال (عُمر):

- هذه علامة مميزة وسهل العثور عليها.

قال (عبد الرازق) وهو يعتدل ناظرًا للمدينة أمامه:

- بالتأكيد، يجب أنْ نبحث عن مبني عالٍ وأسطواني الشكل، فوقه طبق لاقط ضخم للإشارات اللاسكية.

قال (محمد) مستغربًا:

- لماذا لا نستخدم المِنْظار! هذا الشكل المميز يمكننا التعرف عليه من أي مكان.

قال (عبد الرازق) وهو يُخرج منظارا من أحد الأدراج أسفل لوحة القيادة:

- لأنَّ الآن له جدوى.

دار بالمنظار ينظر للمدينة ويفحص كل جزء، وقد قارب (عُمر) على إنهاء الدورة الثالثة، والكل يشارك في البحث بالبصر والفؤاد..

جاءهم صوت (عبد الرازق) يقول بارتياح:

- هذا هو، الشمال الغربي يا (عُمر).

*** * ***

أخذ المُنطاد يهبط بهدوء بين المباني الثلاثة الخماسيّة الجوانب، و(عبد الرازق) يذكرهم:

- تعلمون جيدًا إجراءات السلامة..

أكمل عنه (محمد) كأنَّه يغني أنشودة يحفظها عن ظهر قلب:

- لا تدخلوا مكانًا لا تدخله الرِّياح، لا تلمسوا جثث الموتى، لا تأكلوا أو تشربوا شيئًا مما تجدونه فيها.

ابتسموا جميعًا مع نهاية كلامه، وعقَّب (بهاء):

- تحفظ دروسك جيدًا.

قال (عبد الرازق) وهو يتفحَّص مسدسه:

- حياتنا تعتمد على حفظ هذه الدروس، لم تُسمَّ هذه المدن بمدن الموت عبثًا، لم يخرج منها أحد حيًّا.

ونظر إلى (محمد) وأردف:

- ستبقى مع (عُمر) لحماية المُنطاد وانتظار عودتنا، خذا الحذر فصوت المُنطاد بلغ أجزاءً واسعة من المدينة، ولا نعلم ما سينتج عن ذلك.

والتفت إلى (بهاء) وعيناه ولسانه يسألون:

- سلاحك معك؟

ربَّت (بهاء) على جنبه، قال:

- نعم.

التقط (عبد الرازق) الخريطة من لوحة القيادة أمام (عُمر):

- سنحتاج هذه.

ومرة أخرى نظر إلى (محمد) ثم (عُمر) وهو يؤكد عليهما:

- خذا الحذر، أريدكما حيين حين عودتنا.

ثم أردف:

- وكذلك المُنطاد.

قال محمد وهو يتكىء على لوحة قيادة المُنطاد:

- لا تقلق بشأننا، ارجعا أحياء، وهذا كل ما نريده.

قال (عُمر) دون أن يترك مقعد قيادة المُنطاد:

- أسأل الله التوفيق لكم، وكما قال (محمد)، عودتكما سالمين أهم شيء لنا.

اتجه (بهاء) إلى باب المُنطاد وهو يقول:

- بمشيئة الله سنعود ومعنا المولِّد الكهربائي.

تبعه (عبد الرازق) وهو يقول مع الآخَرين:

- إنْ شاء الله.

*** * ***

تفحَّص (بهاء) أطنان الرمال التي تدفن الباب الحديدي إلى نصفه تقريبًا، وقال:

- لا أظن هذا الباب هو الطريق، يبدو أن أحدًا لم يفتحه منذ زمن بعيد.

استمع له (عبد الرازق) وهو يفحص نافذة مغلقة بإحكام، قال:

- لا تتوقع طرق سهلة ومباشرة، لا بد من العقبات والعثرات.

واصل (بهاء) تفحَّص الأرض قبل أنْ يقول في توتُّر:

- هل لاحظت شيئًا في المكان؟

نظر إليه (عبد الرازق) وهو يحاول جذْب النافذة بقوة، ويقول:

- أتقصد الآثار التي تملأ المكان؟

هز (بهاء) رأسه بالإيجاب، ثم تقدَّم إلى (عبد الرازق) يساعده في جذب النافذة، والثاني يواصل:

- لا تنسَ أنَّنا في مدينة الموت، رؤية الآثار خير من مقابلة أصحابها.

انفتحت النافذة بقوة، وأطل (بهاء) برأسه داخلها، ثم التفت إلى رفيقه يقول:

- نواجه مشكلة كبيرة الآن.

أطل (عبد الرازق) برأسه، وأدرك ما يعنيه (بهاء)، المكان منسَّق بأناقة.. كأنه أُعدَّ الآن.. ونظيف جدًا.. لا غبار أو أتربة.. هذا يعني أنَّ المكان مُستخدم.. مُستخدم من قبل البعض.. أو إنَّ الرِّياح لا تدخله.. احتمالان لا يقل أحدهما خطرًا عن الآخر..

*** * ***

راقب (محمد) و(عُمر) الآخرَيْن من بعيد وهما يحاولان فتح النافذة، قبل أن يشعر (محمد) بالمُنطاد يرتفع بهم ببطء، بذعر التفت حول نفسه وهو يقول بذعر:

- ماذا يحدث؟

قال له (عُمر) بهدوء:

- لا تقلق، لقد قمت بتشغيل البالون الثاني.

نظر (محمد) بدهشة ويقول:

- ولم؟

بادله (عُمر) النظرات، أجابه:

- كي نكون بعيدين عن أي خطر، ودون الحاجة لتشغيل المحركات.

هتف (محمد) وهو يشير بسبابته:

- وهذان!

شغل (عُمر) نفسه بمراقبة لوحة قيادة المُنطاد، ودون أن يلتفت:

- حين يعودان، سنعود لهما.

واصل المُنطاد ارتفاعه حتى تجاوز ثلثي ارتفاع المباني الثلاثة ثم توقف.

- والآن ماذا حدث؟

هتف (محمد) وهو ينظر حوله، وسؤال بسؤال أجاب (عُمر):

- ماذا بك؟ لقد أوقفت المُنطاد.

كان ينظر إلى (محمد) وأخذ يتساءل:

- ما بك؟ ألست أنت من رغب في القدوم إلى هنا معهم؟ ماذا حدث الآن؟

أجابه (محمد) بعد زفير طويل:

- ذهب الخمر وجاء الأمر.

ضحك (عُمر) من قوله، وعقَّب:

- لقد سبق السَّيف العَذْل يا صديقي، نحن هنا ولا مجال للتراجع.

ثم أكمل بلؤم:

- لا بأس، ابحث في الأدراج، ربما تجد واحدة.

نظر له (محمد) بدهشة وسأل:

- وما هي؟

قال (عُمر) وهو يقهقه:

- حِفَاظة.. حِفَاظة الرُّضُع.

العفو خير وأعظم أجرًا..

ولكنَّ الإنتقام لذيذ.. لذيذ جدًّا.. خاصة حين يحين وقته..

وقهقه أكثر..

* * *

راقب (كنان) الحزمة وهي تنزلق قادمة إليهم على الحبل الطويل الذي يصل بين برج الحراسة والكهف، حيث يقضون مدة حجْرهم.

أمسك الحزمة ووضعها على الأرض بعد أنْ نزعها من الكُلَّاب، وقرأ التعليمات بصوت عالٍ من الورقة المُلصقة على الحزمة، التعليمات بسيطة، احرقوا الملابس، واغتسلوا بالسائل الموجود في القنينَّة الزرقاء، ارتدوا الملابس التي في الحزمة، وتناولوا المُضادات الحيوية في العلبة البيضاء بانتظام كل ست ساعات، ابتعدوا عن من تبدو عليه علامات المرض، وتعاملوا معه بحذر وحرص، وجبات الغذاء ستأتي لكم في أوقاتها، سنرسل لكم المزيد من الملابس مع فُرْش وأغطية.
استمع قائد الحرس إلى التعليمات وهو يشاهد على قمة جبل بعيد، عدد من الشبان المنهمكين في تنظيف ورش مُنطادهم الذي عاد بهم، ثم التفت إلى (كنان) قائلًا:
- ألن يرسلوا لنا طبيبًا؟
أجابه (كنان) بأسف:
- نعم، لن يرسلوا، وأظنهم..
قاطعه (يسري) المُنهمك في تنظيف الكهف مع (عادل)، وبلهجة الأمر المفروغ منه قال:

- الطبيب يأتي في اليوم الأخير من الحجْر، ليقرر إلغاء الحجر أو تمديده.

قال (عادل) وهو يدفع صخرة كبيرة إلى خارج الكهف:

- أو ليدفن جثثنا.

قال (كنان) وهو يعين قائد الحرس على حمل صخرة كبيرة إلى خارج الكهف:

- أظنهم يفضلون حرق الجثث.

سقطت الصخرة من يد قائد الحرس لتسقط بدورها من يد (كنان) وتتهشم إلى ثلاثة أجزاء، وتجعل (كنان) يهتف:

- يا إلهي، ماذا حدث؟

رد قائد الحرس بصوت مضطرب:

- لا أعلم، فجأة شعرت بـ...

ولم يكمل كلامه.. وسقط أرضًا على ظهْره.. وخيط من الدَّم يسيل من أنفه..

يبدو أنَّ الموت تبِعهم إلى هنا.. واقْتنص أحدهم.. أو.. بدأ بأوَّلهم..

*** * ***

وثب (عبد الرازق) إلى داخل المكان، وبلا تردد تبعه (بهاء)، وابتسم (عبد الرازق) وهو ينظر إليه:

- لم تتردد لـ..

وقطع كلامه وهو ينظر إلى وراء (كنان) ويهتف بقلق ودهشة:

- المُنطاد! أين ذهب المُنطاد!

التفت (بهاء) خلفه ليجد مكان المُنطاد خاليًا، وبلا تفكير اندفع إلى النافذة ووثب عبرها للخارج، وركَض بكل سرعته إلى مكان المُنطاد، وهو يسمع أقدام (عبد الرازق) خلفه، بلغ المكان وأخذ ينظر حوله وهو يهتف:

- أين المُنطاد؟

رد عليه (عبد الرازق) وهو يُجيل بنظره فيما حوله:

- أين ذهب! لا أثر له! هل طار في السماء!

ورفع بصره إلى السماء، ليرى المُنطاد وهو يحلق، وضرب ذراع (بهاء) بظهر يده وهو يقول:

- انظر هناك.

نظر (بهاء) إلى حيث أشار ومع تنهيدة طويلة التفت إلى (عبد الرازق).. وعشرات من أشباه البشر يقفون وراءه..

* * *

ابتلع (بهاء) ريقه وهو ينظر إلى تلك الكائنات التي تشبه البشر في تكوينها العام، وتختلف عنه في كل ما سواه، بل أنَّ أقرب وصف لها أن تصنع تمثالًا لإنسان مُستخدمًا مئات الكرات الوردية والبنفسجية، وبحذر وصوت أقرب للهمس، قال:

- عبد الرازق.. يجب أن نعود إلى حيث كنا بأقصى سرعة.

وافقه (عبد الرازق) وهو ينظر إلى ما وراء (بهاء)، وبنفس الطريقة رد:

- أوافقك...

وقطع جملته بركضه بكل سرعته نحو النافذة المفتوحة من بعيد، ومن خلفه (بهاء) والمكان كله يضج بصوت أقرب للغرغرة يختلط بصيّاح أقرب لنِياح الثكالى.

وثب (عبد الرازق) عبر النافذة يتبعه (بهاء) وبسرعة اندفع للنافذة كي يغلقها وهو يهتف بـ (بهاء):

- ساعدني.

انقضّ (بهاء) على النافذة وأوشكا على غلقها لولا رأس أبهق أقرب إلى رأس التيس منه إلى رأس الآدمي انحشر ومنع إغلاقها، لثانية ذُهل (بهاء) وهو ينظر إلى الرأس الذي ينوح، ثم تمالك نفسه لينتزع سلاحه ويطلق النار على الرأس ليتهاوى في الخارج، وبسرعة أكملا إغلاق النافذة، في نفس اللحظة التي ارتطم رأس آخر بزجاجها، قبل أن يتراجع وينظر إليهما من البقعة التي ازاحت نطحته غُبارها، ومرة أخرى عاود الكرَّة، يبدو أنَّ الزجاج منيع فلم تؤثر فيه النطْحة، وحاول أنْ يعيد الكرَّة ولكن هجوم من كائن من كائنات الكرات الوردية على الأوَّل، ألقى بالأول أرضًا ليدور بينهما صراع وحشي، و(بهاء) ينظر للمشهد من البقعة الخالية من الغبار ويهتف:

- يا إلهي، ما هذا! ماذا يحدث!

كانت الساحة أمامه أرض معركة شرسة بين نوعين من الكائنات، لا يرأف أحدهما بالآخر، وكل منهما يريد تمزيق الآخر أشلاءً..

جذب (عبد الرازق) (بهاء) من يده وهو يهتف:

- هيا بنا، هذا خير لنا.

خرجا من الحجرة الواسعة إلى ما يبدو إنَّه قاعة مظلمة تمتلِئ بالممرات.

وأغلق (عبد الرازق) الباب خلفهما بإحكام؛ ليسود ظلام دامس، لوهلة لم يتكلم أحدهما قبل أنْ يقول (بهاء):

- والآن.. كيف سنرى طريقنا؟

أخذ يتحسس (عبد الرازق) طريقه وهو يجيبه:

- لا بد من وسيلة، أم لعلك تفكر في العودة لتلك الكائنات؟

كأنَّ (بهاء) نسيها وذكره (عبد الرازق) بها، هتف:

- يا إلهي! هذه الكائنات! من أين جاءت؟ ولم تتقاتل؟ هل رأيتها من قبل؟

جاءه صوت (عبد الرازق) من الظلام الدامس، مجيبًا:

- لست بأعلم منك بها، يبدو أنَّها آثار الحرب الجرثوميّة إبانَّ الحرب الطاحنة، ولعلـ...

فجأة أُضِيء المكان.. وسطع نوره بقوة.. وغشِي أبصارهم.. فأغمضت عيونهم بقوة لثوان قبل أن يفتحوها، ليجدوا أنَّ المكان أفصح لهم عن نفسه، وكان ما أبصرته عيونهم رائعًا.. بل مذهلًا..

* * *

شخصت أبصار (محمد) و(عُمر) إلى المشهد المخيف أسفلهم، حيث تدور المعركة الوحشية، وهتف (محمد) بذعر:

- يا ربِّ، ما هذا؟

أجابه (عُمر) وهو لا يقل عنه ذعرًا:

- من يعلم؟! المهم هو (عبد الرازق) و(بهاء)، ماذا أصابهما؟

واصلا التحديق إلى المعركة، التي زادت شراستها، وعلا صوت خليط الغرغرة والنِياح، وبينما الكائنات البيضاء تقاتل بطريقة قريبة من البشر -وتستخدم أدوات كالعصي والقطع الحادة في القتال- كانت الكائنات الأخرى تعتمد على قوتها الجسْميَّة. العِصي والأدوات الحادة تصيب الكائنات الوردية -بل وتغوص في أجسامها- فلا توهن قوتها ولا تمنعها عن القتال، بل تواصل الانقضاض على أعدائها، تنهش أبدانهم نهشًا، بعد حين بدأت الكفة تميل لصالح الكائنات الوردية على حساب الكائنات البيضاء التي بدأت تفر من المكان، دقائق قليلة مضت قبل أن يفر آخر الكائنات البيضاء، تطارده عصبة من الكائنات الوردية، وخفتت الأصوات وانشغلت الكائنات الوردية المتبقية بحمل جثثها وجثث أعدائها وأخذت تتسرَّب إلى المباني المحيطة..

هتف (محمد) بذعر:

- يجب أنْ نذهب، يجب أنْ نفر.

هتف به (عُمر) في عصبيّة:

- و(عبد الرازق) و(بهاء)؟!

نظر إليه (محمد) وهتف والذعر يأكله:

- ألم تر ما حدث؟ لم يعد هناك (عبد الرازق) ولا (بهاء)، لقد قُتلا.

رفع (عُمر) وجهه عنه لينظر إلى أسفل، ولم يتكلم لهُنيهة ثم التفت إليه قائلاً بتأكيد:

- كلا، لم يقتلا، لقد رأيتهما معي وهم يحاولان فتح النافذة، لا ريب أنهما دخلا منها قبل ظهور تلك الكائنات.

صاح (محمد) في عصبيّة وذعر:

- وما أدراك؟

صاح (عُمر) فيه:

- ما بك؟ هل جبُنت الآن؟ لن نترك أصدقائنا وزملائنا ونهرب!

عاد (محمد) يهتف دون أن يترك حاله:

- ليس جبنًا، لم يعد هناك سبب لبقائنا، (بهاء) و(عبد الرازق) قُتلا، ليس هناك دليل على بقائهم حيين، رأيناهما يحاولان فتح النافذة ولم نرهما يدخلان عبرها، ولا يمكن أن ينجو أحد من هذه المعركة، بقاؤنا هنا يعني مصرعنا عاجلًا أو أجلًا.

تفكَّر (عُمر) في كلامه لثوان، ثم قال بعناد:

- كلا، لن نذهب، رُبَّما وجدا مكانًا للاختباء من هذه الكائنات، سانتظرهم.

نظر إليه (محمد) بهلع يخالطه الغضب والعصبيّة، كان يرغب في الفرار من هذا المكان المخيف.. المكان الذي لم يأته أحد وعاد حيًّا.. ولكن منطق (عُمر) أعاد إليه شيء من رشده، وخاصة حين أردف:

- سننتظر إلى قبل مغيب الشمس بساعة ثم نغادر.. وإلى ذلك الحين سنحرص على أن نكون آمنين.

وارتفع بالمُنطاد أكثر..

*** * ***

18- ألف سؤال

مكتبة ضخمة جدًّا، ارتفعت رفوفها حتى قاربت طابقين من مباني بلدتهم، وامتدت على مساحة شاسعة، وعشرات الممرات تصنع شبكة طرق بين أجزائها، ولوحات مضيئة تُظهر اسم كل قسم، وشاشات هولوجرام[2] من العالم القديم في كل الأقسام، تخبر المُهتم بنص مجسَّم أنْ يسألها عمَّا يبحث عنه، وأرائك في مساحات صغيرة بين الرفوف يبدو إنها تستخدم لجلوس القراء.

- ما هذا!

قالها (بهاء) دهشةً وهو يسير مع (عبد الرازق) في ممرات المكتبة، وأجابه صاحبه بهتاف قوي:

- كنز، كنز عظيم.

رد عليه (بهاء) بهتاف:

- بل أكبر وأعظم، هذا القوة والمجد.

التفت إليه (عبد الرازق) وهو يبتسم في ابتهاج وقال:

- هذا المكان كله له طبيعة خاصة.

أخذ (بهاء) يمرر يديه على الرفوف في انبهار وقد نسي جميع إجراءات السلامة، ثم التفت إلى (عبد الرازق) وسأل:

- ماذا تعني بطبيعة خاصة؟

---

[2] الهولوجرام تقنية تسمح بتسجيل صور الأجسام من جميع الزوايا، ومن ثم عرضها فيما بعد، بحيث تظهر صورة الجسم مجسمة ونسخة من الأصل ويمكن رؤيتة من جميع الزوايا.

أشار (عبد الرازق) بسبابته حوله وهو يدور معها، قال:

- انظر، هذا المكان له غرض خاص، هدف معين يسعى لتحقيقه، الباب الحديدي، زجاج النافذة الذي لا ينكسر، المكتبة الضخمة، المولِّد الكهربائي الذي نرغب في الحصول عليه من هنا، كل ذلك يشي بأنَّ هذا المكان ليس عاديًا.

وانقض على كتاب وأخرجه من الرف، ونقر على غلافه الصلب بظهر أصابعه اليسرى وهو يكمل منفعلًا:

- انظر إلى هذا! هل تعلم ماذا يعني؟

نظر إليه (بهاء) مستفهمًا دون أنْ يسأل، فتابع (عبد الرازق) بحماس:

- هذه الكتب ليست لعامة الناس، انظر إليها.. إلى غلافها، ليست مصممة للفت الانتباه والترويج التجاري، هذه الكتب وُضعت للمختصين، كتب لا يبحث عنها إلا أهل الاختصاص ومن يعرف قيمتها.

أعاد الكتاب مكانه وهو يلتفت حوله، ويدور ويقول:

- هل تعلم فِيمَ أفكر؟

أجابه (بهاء) وهو يتحسس الأرفف في انبهار مستمر:

- كيف ننقل هذه المكتبة إلى بلدتنا!

توقف (عبد الرازق) عن الالتفاف ونظر إليه بسعادة:

- هذه هي المرة الثانية التي يعجبني فيها أمرك.

نظر إليه (بهاء) مستغربًا:

- الثانية!

أومأ (عبد الرازق) برأسه وقال:

- نعم، المرة الأولى حين وثبت من النافذة بلا تردد، ولم تهتم بالمخاطر أو تسأل عنها، وهذه هي المرة الثانية.

ابتسم (بهاء):

- لم أعجبك من قبل؟

استدار (عبد الرازق) وسار مسرعًا في الممر مفرودًا الذراعين، كأنَّه يهرع ليعانق شخصًا ما، وهو يقول:

- في الحقيقة.. لا.. أعلم أنَّك ابن السَّيِّد (سامح) وسمعت عنك بعض الأشياء الحسنة، ولكن في رحلتنا هذه لم أر منك شيئًا مميزًا، ولكنني أدركت إنَّك نادرًا ما تغادر البلدة.

واستدار إلى (بهاء) الذي يتبعه، وأكمل:

- ربما هذه هي رحلتك الأولى خارج البلدة!

قال (بهاء) وهو ينظر للرفوف العالية من حوله:

- صحيح، هذه هي رحلتي الأولى خارج البلدة.

استدار (عبد الرازق) ليعود حالته السابقة، قال:

- وما رأيك؟

(بهاء):

- فيم؟

عبد الرازق:

- ما رأيك فيما تراه خارج البلدة؟

أراد (بهاء) أنْ يقول إنَّه الرَّوعة مجسدة، إنَّه عالم غريب ومختلف، عالم يرغب أنْ يطوف به طوال الوقت، ولكنه وجد نفسه يقول:

- إنَّه عالم مختلف.

وصلا حافة المكتبة وعلَّق(عبد الرازق) على قوله:

- عالم مختلف! هذا كل ما لديك! إنَّه عالم رائع يا فتى.

وأردف:

- لنبحث عن غايتنا، ثم نفكر في أمر هذه المكتبة وكيف ننقلها.

أخرج الخريطة من جيبه و(بهاء) يسأل:

- ألا تخشى أن تكون الكتب ملوثة؟

رفع (عبد الرازق) بصره عن الخريطة وأشار بسبابته نحو الطرف البعيد من المكتبة وقال:

- يجب أنْ نجد مخرجًا في هذا الاتّجاه.

والتفت إليه يقول:

- نحن سنكون البرهان على تلوثها من عدمه.

سارا معًا إلى حيث أشار، و(بهاء) يسأله:

- ألا تشعر بالقلق من طبيعة المكان؟

- الآن أشعر بالأمان، المكان يبدو محصنًا بشكل جيد.

- ألا تسأل نفسك عما إذا كان أحد سوانا في هذا المكان؟

توقف (عبد الرازق) عن السير ونظر إليه سائلًا:

- هل تظن أنَّ هناك أحد ما في هذا المكان؟

توقف (بهاء) بدوره وأشار إلى المصابيح والمكان من حوله، أجاب:

- الكهرباء، النظافة، المكان محصن بشكل جيد، ما الذي يمنع وجود آخرين، رُبَّما هم من يحرصون على تأمينه.

نظر إليه (عبد الرازق) هُنيهة، ثم هزَّ رأسه وهو يواصل السير:

- لا يوجد أحد، هذه مدينة الموت، لا يسكنها أحياء ولا يغادرونها.

استنكر (بهاء) قوله فسأله:

- والكائنات التي رأيناها؟

عبد الرازق:

- أنا أعني كائنات عاقلة، بشر مثلي ومثلك وفي وعيهم الكامل.

وصلا طرف المكتبة وانحرفا مع الممر الممتد على طوله، وهما يبحثان بأعينهما بين الرفوف عن مخرج.

- هذا.

هتف (بهاء) وهو يشير إلى باب بين الرفوف، يبدو لوهلة أنَّه مكان خالي من الرفوف، قبل أن تدرك العيون معالم الباب.

دفع الباب لتبدو من ورائه ظلمة حالكة، تردد لحظة ولكن مزاحمة جسم (عبد الرازق) له، دفعته للدخول إلى ذلك المكان، سارا بضعة خطوات في الظلمة الحالكة، حتى أنَّ (بهاء) أراد أنْ يخبر (عبد الرازق) بضرورة العودة لإيجاد مصدر للضوء، ولكن المكان أُضيء بنور ساطع وفي نفس الوقت أُطفأت أنوار المكتبة.

علَّق (عبد الرازق):

- إنَّه نظام آلي، يعتمد على مجسَّات الحركة.

قال (بهاء):

- لقد صدقت، هذا المكان له طبيعة خاصة.

كل شيء من حولهم يخبر أنَّ هذا المكان كان مؤسسة علمية تُستخدم في غرض ما، إشارات في جميع الاتجاهات تظهر أسماء الأقسام المختلفة، وغرف زجاجيّة يبدو من خلفها أجهزة معقدة..

- مركز أبحاث وتطوير.

قالها (بهاء) مما دفع (عبد الرازق) لينظر إليه ويسأله عمّا يعنيه، فتابع (بهاء):

- هنا يتم تصميم وبناء النماذج الأولية للأجهزة المختلفة، وأظن أنَّ أغلبها له طبيعة عسكرية أو قريبة منها.

نظر (عبد الرازق) فيما حوله وتعجب:

- كل هذا ونماذج أولية!

سار (بهاء) في أرجاء المكان وهو يوضح:

- بالتأكيد، هنا يتم التحقق من الفكرة وتحويلها إلى واقع ملموس، قبل إرسال تصميمها لخطوط إنتاج خارجية.

- كيف عرفت؟

سأله (عبد الرازق) وهو يصاحبه في سيره، فقال:

- كل شيء هنا بدءاً من أسماء الأقسام، يدل على طبيعة عمل المكان وغايته.

نظر (عبد الرازق) حوله وقال:

- حسنًا، دعنا لا نضيع مزيدًا من الوقت ولنذهب إلى غايتنا.

ونظر إلى الخريطة، ثم أشار إلى ممر يقود إلى مكان ما، قال:

- من هنا.

كل شيء في طريقهم نحو هدفهم، يخبرهم أنَّ هذا المكان له مكانة وأهمية عظيمة، ولا يمكن أن يكون ملكًا لشخص أو شركة، هو حتمًا ملك لحكومة أو مؤسسة تابعة لها، الطوابق السفلية تحت الأرض وكل ما فيها جعل (بهاء) يقول:

- هل تعلم! يدور في ذهني ألف سؤال.

قال (عبد الرازق) دون أنْ يلتفت إليه، وقد خلب لبه ما يراه من عتاد ومعدات:

- ألف سؤال عن ماذا؟

- المكان يبدو كأنَّه هُجر بالأمس و...

قاطعه (عبد الرازق):

- المكان مغلق تمامًا، ومحصن بشكل جيد، فلم يدخله أحد أو حتى الغبار.

التفت إليه (بهاء) قائلًا:

- والكهرباء! الكهرباء تغذي المكان بشكل جيد وكامل، من أين تأتي، هل يُعقل أنَّها منذ الحرب الطاحنة! منذ أربعين عامًا!

قال (عبد الرازق) دون أن تترك عيناه السياحة في ما حولها:

- لا تنس أنَّنا ذاهبون للحصول على مولِّد كهربائيّ يزيد عمره عن أربعين عامًا، وحسب ما علمناه أنَّه يعمل بشكل جيد، لا أظنّ أنَّ (موسى) خدعنا مرة أخرى.

رفع (بهاء) سبابته وطاف بها فيما حوله وهو يقول:

- السؤال الآن: هل هو المولِّد الذي يغذي المكان! ما سيحدث حين نأخذه؟ لماذا لم يأخذه الذي جاء قبلنا إلى المكان! لماذا اكتفى برسم الخريطة! كيف عرف المكان! لا شك إنَّه أحد العاملين في هذا المكان، أو له علاقة بأحدهم وهو من أخبره عن هذا المكان والمولِّد، يجب أنْ نعلم من هو ونسعى للقائه، هل شاهدت فيلم (مدينة الشر)؟

نظر إليه (عبد الرازق) بدهشة واستغراب:

- ماذا؟ لا، لا أعلم يقينًا، لديك الكثير من الأسئلة!

تابع (بهاء) سيره وهو يقول:

- وهذا غيْض من فيْض، في فيلم (مدينة الشر) يوجد مكان له شبيه بهذا، وتم تحصينه بالحراس والشراك والوسائل الدفاعية المختلفة، وحين تحدثت مع أبي عنه، أخبرني أن كل ما ورد في الفيلم من وسائل دفاعية وتقنيات، كان معروفًا قبل الحرب الطاحنة، السؤال هو: أين هي! لماذا لا تعمل! أين أجهزة المراقبة والتحقق الأمني! أين الشراك! أين قواطع الليزر! أين البنادق الآلية التي تقتل كل من يتجاوز التحقق الأمني عنوة، مكان كهذا يُترك بلا وسائل دفاعية! مستحيل، مستحيل، مستحيل.

عاد (عبد الرازق) يلتفت إليه بدهشة ويقول:

- يا إلهي، إنَّك الآن تفتح أبواب الخوف والقلق على مصراعيها بهذه الأسئلة.

قال (بهاء):

- لا يزال هناك المزيد، ماذا عن الـ...

رفع (عبد الرازق) كفه اليسرى قائلًا:

- بالله عليك كفى، لا مزيد من الأسئلة، إنَّها تثير القلق ولن نجد لها إجابة.

صمت هُنيهة وهو يتابع مسيره ثم قال:

- هل رأيت الخريطة؟

نظر له (بهاء) وهو يتعجب من سؤاله، أجاب:

- نعم، رأيتها، ماذا بها؟

مدَّ (عبد الرازق) يده بها إليه وقال:

- انظر لها مرة أخرى.

أمسك (بهاء) بالخريطة ودقق النظر فيها، ثم قلبها ودقق مرة أخرى، قبل أن يقول:

- ماذا عنها؟ إنَّها.. يا إلهي.

هزَّ (عبد الرازق) رأسه:

- أسئلتك هي التي أيقظت تفكيري بشأنها، الخريطة تم رسمها وطباعتها بوسائل من الصعب الحصول عليها في زمننا هذا.

بانفعال قال (بهاء):

- هذه الخريطة منذ الحرب الطاحنة أو قبلها، هل تعلم ماذا يعني هذا؟

أجابه (عبد الرازق) بهدوء:

- إنَّ من كان يملكها أو الذي أعطاها للرجل الذي سبقنا، له علاقة وثيقة بهذا المكان.

هتف (بهاء) دون أن يتركه انفعاله:

- ليس هذا فحسب، بل يعني إننا نستطيع أن نستفيد من هذا المكان بالحصول على خرائطه والوثائق المتعلقة به، علينا الوصول لأي شخص كان يعمل في هذا المكان.

توقف (عبد الرازق) عن السير ونظر إليه مدهوشًا، قبل أن تغيب الدهشة وراء الأسف، وقال وهو يتابع سيره:

- للأسف لن نستطيع.

أراد (بهاء) أنْ يعترض، ولكنَّه أدرك الحقيقة الغائبة، هذه الأماكن لا يعمل فيها سوى أهل العلم والاختصاص والخبرة هذا يعني أنَّ أصغر العاملين هنا كان عمره لا يقل عن ثلاثين عامًا حين أشتعلت الحرب الطاحنة، وهذا يعني أنَّ أعمارهم الآن قد بلغت السبعين عامًا أو أكثر، وبالتالي من لم تقتله الحرب الطاحنة أو ما تبعها من كوارث طبيعية، فإنَّ الزمن قد تكفل بالباقي، والأحياء منهم الآن رُبَّما لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة، فأين نجدهم وقد شتتت الحرب والكوارث من نجا في بقاع الأرض و...

- هنا.

هتف بها (عبد الرازق) وهو يشير إلى باب حجرة في نهاية الممر، كانا قد بلغا الطابق الرابع تحت الأرض. هذا الطابق له طبيعة مختلفة، فهو ممرات على جانبيها حجرات مغلقة، بلا نوافذ أو حوائط زجاجية، مما جعل (بهاء) يقول:

- يبدو كطابق للتخزين، غريب أن يُوضع مولِّد كهربائيّ في هذا المكان!

سأله (عبد الرازق) وهو يحث الخُطى إلى الباب:

- ولم؟

- لأن المولِّدات الكهربائية تُوضع عادة خارج المكان، للتخلص من ضجيجها وسهولة صيانتها.

التفت إليه (عبد الرازق) قائلًا:

- لعل هناك مدخل آخر يسهِّل الوصول إليه.

رفع (بهاء) كتفيه بمعنى أنَّ ما يقوله قد يكون صحيحًا، وفي هذه الأثناء كانا قد بلغا باب، وأمسك (عبد الرازق) بالمقبض ودفع الباب.

كانت الحجرة مظلمة رغم الضوء الذي يصلها من مصابيح الممر الطويل، و.. أُضيئت الحجرة بنور قوي صاحبه قول (بهاء):

- كالعادة.

- كالعادة!

كررها (عبد الرازق) وهو ينظر إلى (بهاء)، ويهز رأسه ليوافقه.

كانت حجرة صغيرة تعاني انهاك يوم عمل، كأن من كان بها غادرها الآن، فيها خزائن وعدة شاشات مُطفأة موضوعة على طاولة تمتد مع جوانب الحجرة، عليها أوراق مبعثرة،و.. وعلت ضحكة (بهاء) ليتردد صداها في المكان، ضحكة جعلت (عبد الرازق) ينظر إليه مستغربًا، و(بهاء) يكمل ضحكته ثم يقول:

- هل أخبرك أمرًا طريفًا؟

في استهجان قال (عبد الرازق):

- حقًا؟ وهل هذا وقته؟

رفع (بهاء) سبابته وهو يُغالب ضحكة أخرى، وقال:

- بل هذا هو وقتها، هل تعلم أننا قطعنا كل هذا المسافة، وخاطرنا بأرواحنا، ونحن لا نعلم عمَّا نبحث!

باستغراب قال (عبد الرازق):

- ماذا؟ ما..

وأدرك ما يعنيه (بهاء)، إنَّهم حقًا لا يعلمون عمَّا يبحثون..

*** * ***

نظر السَّيِّد (جمال) إلى الدكتور (أمجد) الذي يبدو في زيِّه كرائد فضاء، كما يشاهدونهم في الأفلام الوثائقية في نادي البلدة، ولم يستطع منع نفسه من السؤال القلق:

- دكتور (أمجد)، هل هذا الأمر حتمي؟

انهمك الدكتور (أمجد) في تفحّص زيّه، والتأكد من خلوه من الثقوب والعيوب، ثقب واحد قد يؤدي لهلاكه أو هلاك البلدة كاملة، الزي نفسه مخصص للغرض الذي سيذهب له، ولكنه لا يضمن سلامته بعد أن تداولته الأيادي حتى وصل إليه، ربما حدث ثقب هنا أو هناك، ولكن انهماكه لم يمنعه من سماع سؤال السَّيِّد (جمال)، ودون أن يترك عمله أجاب:

- سَّيِّد (جمال)، لن نترك رجالنا يلقون حتفهم دون أن نحاول إنقاذهم.

قال السَّيِّد (جمال) والقلق يفترسه:

- أنا أخشى من خسارتك، هذه البلدة في حاجتك، وأخشى أنَّ ذهابك قد يزيد الطين بلة، وماذا تستطيع أن تفعل لأجلهم! لقد أرسلنا بعض الأدوية التي أوصيت بها مع التعليمات إلى (عادل)، وهو سيقوم بما هو ضروري.

هذا الرجل لا يدرك طبيعته، وإن أدركها فلن يفهمها، يجب أن يرى الحالة ويعرف الأعراض ويشخص المرض ويبحث عن الدواء، لذلك رفع رأسه عما يفعله، ونظر إلى السَّيِّد (جمال) وقال:

- هذا لا يكفي، وصف (عادل) لحالة رفاقه غير كاف، يجب أن أراهم بنفسي، وأحاول معرفة سبب فقدانهم الوعي.

ترك (تامر) صمته الطويل وتحدث بقلق:

- دكتور (أمجد)، قائد الحرس أخبرني في آخر اتصال معهم، إنَّهم ذهبوا للمدينة القديمة، وحدث اشتباك مباشر مع كائنات غريبة هناك، بل حدث اتصال جسدي معها، وهذا لا يبشر بخير، ربما أصابهم وباء ما، وأخشى أن تنقله بغير قصد للبلدة.

عاد الدكتور (أمجد) يتفحص زيه وعقَّب:

- ولماذا هذا الزيّ إذًا! سأذهب إليهم وبعد إتمام المهمة، سيقوم مساعدي -الذي سيبقى بعيدًا- برشنا بمادة معقمة قوية.

ورفع رأسه ناظرًا إلى السَّيِّد (جمال) وتابع:

- سَيِّد (جمال)، نحن نتحدث عن ثلاثة رجال من الحراسة، وهم فاقدون الوعي لسبب لا يعلمه إلا الله، وقد يلحق بهم رابعهم قريبًا، لا يمكن للبلدة تحمل هذه الخسارة.

قال السَّيِّد (جمال) في عصبية لا تليق به:

- أخشى أنَّ الخسارة لن تتوقف عندهم، بل ستمتد إليك وإلى البلدة.

في هذه اللحظة دخل مساعد الدكتور (أمجد) إلى مكتب الأخير، وهو يقول:

- السَّيَّارَة مُعَدَّةٌ.

نقل الدكتور (أمجد) بصره إلى (تامر) متسائلًا:

- والمُنطاد؟

قال (تامر) بلا مشاعر:

- جاهز، سيقوم بإنزالك بالقرب من كهف الحجْر، ولكن في العودة عليك أن تقطع مسافة أكبر..

أوقفه الدكتور (أمجد) بإشارة من كفه، وابتسم:

- حين أنجز عملي سأخبركم متى وأين تأتون لأخذي.

وحمل الخوذة العملاقة من على سطح مكتبه، ومد له (تامر) بجهاز اتِّصال وهو يقول:

- احتفظ بهذا معك.

تناوله الدكتور (أمجد) منه ونظر إلى السَّيِّد (جمال) وفي أسى تمثيلي قال:

- لقد حان الفراق.

لم يستطع السَّيِّد (جمال) مجاراته في التمثيل، ولكنه قال:

- لا تقلق على أشيائك، سنبيعها بأسعار جيدة، بعد إعلان أنني وريثك الوحيد.

ضحك الدكتور (أمجد):

- هذه هي الروح المطلوبة.

وتقدمهم نحو باب مكتبه، وتبعه الآخرون وكل منهم يسأل نفسه، هل ما يفعلونه صوابًا؟ أم أنهم يجلبون الخطر إلى باب دارهم.. بل إلى عُقْرِها..

*   *   *

19- السجناء

انتبه (عبد الرازق) لحقيقة أمرهم، لقد جاءوا إلى هنا وهم يحملون فكرة تقليدية عن مولّد الكهرباء، صندوق كبير يخرج منه أسلاك، كما يرونه في بلدتهم والبلدات الأخرى، فهل هذا المولِّد له نفس الشكل والحجم؟.. مستحيل.. إنَّه من مولِّدات ما قبل الحرب الطاحنة، وحتمًا سيختلف عن المولِّدات الحالية الكبيرة الحجم.. في الحجم على الأقل.. ولكن ها هي الحجرة أمامهم، تفصح لهم عن نفسها فليس فيها مكان لإخفاء شيء كمولِّد كهربائيّ ولا متسع لذلك..

- لقد خدعنا (موسى) مرة أخرى.

قالها (بهاء) هو ينظر حوله وينفض المكان بعينيه، وتابع:

- ونحن لم نسأل.

- مستحيل.

قالها (عبد الرازق) بقوة أردف:

- أنت لا تعرف (موسى)، إنه يراوغ.. يجتز الحقائق.. ولكنه لا يكذب، الصدق هو رأس مال بلدة (السَّلامة).

وأمتدت يده لتمسك بعض الأوراق المتناثرة ليـ.. لتعمل الشاشات المطفأة.. شهقا معًا.. وهتف (بهاء) مدهوشًا:

- إنـها تعمل..

لم يجبه (عبد الرازق) وهو ينظر للشاشات مذهولًا.. كأنها لم تتوقف لحظةً.. تواصل عملها.. تعرض بيانات ومعلومات.. وتنتقل من موضوع

لآخر.. وتعطي تفاصيل أكثر.. كأن عالمها لم يتغير.. لم يختف عن الوجود.. لم يخبرها أحد أنَّ أصحابها تركوها.. منذ زمن بعيد.. منذ أكثر من أربعين عامًا.. حتى الزمن كأنَّه نسي المرور بها.. فلم يصب شيئًا منها بسوء.. وهي تواصل عملها برتابة..

- يا الله.. لا زالت تعمل..

قالها (عبد الرازق) بذهول لا يفارقه، وعقَّب (بهاء) عليه بصمت، وكأن ما يراه عقد لسانه، أو أنَّ الكلمات خانته.

لبُرهة لم يتحرك أحدهما وهما ينظران للشاشات، ثم تنحنح (بهاء) ونطق لسانه بهذا:

- ولكن أين ما نبحث عنه؟

وتمالك نفسه وواصل:

- ربما في مكان آخر.

بحذر لمس (عبد الرازق) بسبابته إحدى الشاشات، ليختفي ما عليها ويحل محله شيء آخر، وكأن كهرباء أصابته فسحب يده بسرعة وجعل (بهاء) يهتف:

- ماذا حدث؟

التفت إليه (عبد الرازق) مجيبًا:

- لا شيء، إنها المفاجأة فقط.

ثم تابع:

- هيا بنا نبحث في مكان آخر..

وصمت هُنيهة وأكمل:

- رغم ظنّي أننا لم نُخطئ المكان.

*** * ***

استغرقت عملية البحث وقتًا قصيرًا جدًّا، فجميع الحجرات في الطابق مغلقة بإحكام شديد، حتى إنَّهما تساءلا كيف فُتحت الحجرة التي كانا فيها.

أخرج (عبد الرازق) الخريطة من جيبه وأخذ يدقق فيها، ثم قال:

- لم نخطئ، نحن في الطابق الرابع تحت الأرض، وها هي العلامة على الحجرة الأخيرة في نهاية الممر.

قال (بهاء):

- هل تعلم أمرًا؟

رفع (عبد الرازق) رأسه إليه بعينين تسألان نيابة عن لسانه، وأجاب (بهاء) نفسه:

- من سبقنا يعلم طبيعة المكان، ومعه صلاحية ووسيلة لدخوله، الحجرات محكمة الغلق، حتى أنني أشك أن تؤثر فيها القنابل، لقد جاء من سبقنا وهو يملك وسيلة لفتح باب الحجرة، الغريب أنَّه لم يغلقها حين مغادرته.

قال (عبد الرازق) وهو يسير إلى الحجرة المفتوحة في آخر الممر:

- لعل هذا هو التفسير لكل تساؤلاتك، لقد ترك الباب مفتوحًا خلفه، وأوقف كل وسائل الأمن في المكان حتى يستطيع التحرك بحرية.

سأله (بهاء) وهو يدلف معه إلى الحجرة:

- ولكن لماذا لم يعيد تشغيلها بعد مغادرته، لماذا لم يغلق الحجرة!

نظر له (عبد الرازق) والاستفهام على وجهه، سأل:

- مم يخشى؟ مكان لا يعلم به أحد ولن يستطيع الوصول إليه أحد، مكان تحميه مدينة الموت، فلا داعي لوسائل الأمن أو أغلاق الحجرة.

عبَّر وجه (بهاء) عن أنَّ ما يقوله ممكن وليس أكيدًا، وأخذ يجول ببصره مع رفيقه في أرجاء الغرفة الصغيرة.

- هل تعلم؟.. هذا المكان مليء بالمفاجآت.

دون أن يلتفت إليه (بهاء)، سأله:

- ولم؟

- «لا تقم بإخراج المولِّد الكهربائي من موضعه، قبل أنْ ينطفئ الضوء الأحمر وظهور إشارة الأمان».

التفت إليه (بهاء) وهو يستغرب حديثه، ليجده واقفًا يقرأ أوراقًا ملصقة على باب الخزانة الحديدية الطويلة، اقترب منها.. كانت تعليمات لمن يعمل في الحجرة في حالة الحاجة لاستبدال أو صيانة المولِّد الكهربائي، ضحك (بهاء)، قال:

- صدقت إنَّه مليء بالمفاجآت.

ومد يده وفتح الخزانة، كانت شبكة من الأسلاك والأنابيب المعقدة، وصندوقان كبيران، لا يزيد حجم أحدهما عن حقيبة سفر صغيرة، تمسك بأحدهما مقابض معدنية تمنعه من الحركة، والآخر وُضع في مكانه بإهمال دون وضع المقابض عليه.

قال (عبد الرازق) والشك في كلماته:

- هل هذا هو المولِّد الكهربائي؟

لم يجبه (بهاء) وهو يقرأ ورقة طويلة ملصقة على باب الخزانة من الداخل، أتم قراءتها وقال:

- هذان هما ما نبحث عنهما.

لم يترك الشك كلمات (عبد الرازق):

- هذان الصندوقان؟ هذا قادران على تشغيل بلدة كاملة؟

بلهجة تقريرية قال (بهاء):

- هما هذان، السؤال هل سنأخذهما معًا أم نكتفي بأحدهما؟

في جشع هتف (عبد الرازق):

- بالطبع سنأخذهما معًا.

قرأ بسرعة الورقة على باطن باب الخزانة ويداه تعملان قال:

- أنزل الذراع الأسود لإيقاف تشغيل المولِّد، انتظر حتى ينطفئ الضوء الأحمر، أنزل الذراع الأزرق لإزالة المقابض، اجذب صندوق المولِّد الكهربائي إلى الخارج بشكل مستقيم.

فعل كل ما قاله وجذب الصندوق للخارج، وهو يهتف في بهجة:

- هذا هو، ليس ثقيلًا جدًّا، يستطيع كل منا أن يحمل مولِّدًا.

أمسك (بهاء) بالآخر وهو يقول:

- أخشى أن..

قاطعه (عبد الرازق) وهو يجذب الذراع السوداء في الصندوق الآخر:

- لا تخش شيئًا..

ولكن بدلًا من أن يتوقف المولِّد عن العمل، دوى في المكان صوت رنين أشبه بجرس الخطر، وارتفع صوت يأتي من مكان ما في الحجرة:

- لا يمكن إغلاق المولِّد الكهربائي إلاّ عند تشغيل المولِّد الاحتياطي، تأكد من وضع المولِّد الاحتياطي في مكانه الصحيح وقم بجذب الذراع السوداء.

تلفت (عبد الرازق) حوله وهو يقول:

- ما هذا؟ من أين يأتي الصوت؟

أجابه بهاء وهو ينظر حوله:

- لا شك أنه صوت مسجل لأغراض عمليات الصيانة.

عاد (عبد الرازق) ببصره إلى الصندوق وهو يقول:

- من يهتم! سنأخذ هذا المولِّد معنا.

وبكل قوة جذب الصندوق إلى الخارج وساد المكان ظلام.. دامس..

*** * ***

- لقد انقضت ثلاث ساعات.

قالها (محمد) والتوتر يعصف به عصفًا، جملة لم يجد لها (عُمر) ما يّعلَّق به عليها واكتفى بالصمت وهو ينظر من نافذة المُنطاد إلى أسفل، بعد نصف ساعة سيحين موعد آذان العصر، وما رآه مع (محمد) في الخمس ساعات الماضية من أنماط الحياة السائدة في مدينة الموت، يجعله يوقن أنَّ بقاء (عبد الرازق) و(بهاء) على قيد الحياة ضربًا من المُحال، لا شك

أنَّ كائنًا ما أو عدة كائنات افترستهم، كل هذا أفرز قلقًا خرج من أعماق صدره في كلمات حادة:

- سنغادر قبل غروب الشمس بساعة، ليس قبل هذا بثانية، هل تفهم ذلك أم لا؟

كان (محمد) كالبرغوث يقفز من نافذة لأخرى، ينظر منها كأنه يتأكد من كونها نافذة ليقفز لأخرى، ويواصل الهتاف:

- كيف نعلم أنَّهم أحياء؟ لا يوجد جهاز اتِّصال معهم.

ردَّ عليه (عُمر) بحدة أقرب للصياح:

- قلت لك سننتظر ولن يجبرني شيء على المغادرة الآن.

قال له (محمد) بخوف:

- حتى هذا لن يُجبرك!

رفع (عُمر) بصره عن الأسفل والتفت إليه كي يسأله عن مقصده، لتقع عيناه على مشهد مخيف..

كانت حافة الطابق الأخير من البنايات الثلاثة تمتلئ بطيور سوداء.. أشبه بالغربان ولكنها أكبر حجمًا بخمس مرات على الأقل، وجميعها تنظر إلى المُنطاد.. تنظر إليهم.. من أين جاءت؟.. متى جاءت؟..

قاطع أفكاره صوت (محمد) المذعور:

- إنَّها تحدق إلينا، أليس كذلك؟

لم يجبه (عُمر)، لأن الإجابة ستخيفه هو أكثر من رفيقه، الطيور جاثمة على الحافة وعيونها شاخصة إليهم، رغم المسافة البعيدة والتي تفصلها

عن المُنطاد من كل جانب، كانت عيونها مصوبة إليهم كسهام لا تخطئ طريقها، لا يعلم..

- ماذا تريد؟

خرجت الكلمات متحشرجة من (عُمر)، وهو لا ينتظر جوابًا من (محمد)، ولكن الآخر أعطاه شيئًا يرغبه:

- دعنا نخرج من هنا.

هذا ما رغبه (عُمر) ولكنه وجد نفسه يقول:

- وماذا عن (عبد الرازق) و(بهاء)؟

بصوت يستعجله الخوف قال (محمد):

- سنعود إليهم بعد ذهاب تلك الطيور.

بتردد قال (عُمر) وهو يعلم أنَّه يُخادع نفسه:

- لعلها لا تؤذي.

يبدو أنَّ الطيور سمعته.. فصدح الفضاء بصوت نعِيبها، وفي آن واحد ومن كل اتجاه انقضَّت.. انقضَّت بكل قوة على هدف واحد.. المُنطاد.. مُنطادهم..

* * *

- ابتعد بنا، ابتعد بنا.

لم يكن (عُمر) في حاجة لصيحة رفيقه كي يندفع نحو لوحة تحكم المُنطاد، ويدير مفتاح تدفق غاز الرفع إلى أقصى درجة، ولكن الطيور لم تمهلهم

حتى يرتفع مُنطادهم، فقد بلغتهم في ثوانٍ قليلة وانقضَّت عليهم.. وبكل قوة..

مهلًا.. إنها لا تنقضَّ عليهم.. لا.. بل هي تنقضَّ على سقف قارب المُنطاد، لتختفى فوقه عن انظارهم، وعيونهم المذعورة تنظر للسقف تبغي اختراقه وتحاول أن تعرف أين ذهبت تلك الطيور، ومُنطادهم يواصل ارتفاعه.. أكثر.. فأكثر.. فأكـ.. قبل أن يتوقف بارتجاجة قوية ويتوقف عن الارتفاع، و(محمد) يهتف:

- ماذا حدث؟ لم توقف؟

أجابه (عُمر) بهتاف عصبي:

- لا أعلم، هناك شيء ما.

اندفع (محمد) نحو لوحة تحكم المُنطاد وهو يصيح:

- سأدير المحركات.

وبكل ذعر وانفعال ضغط زر تشغيل محركات المُنطاد، ليبلغ مسامعهما الصوت الخافت للمحركات وهي تعمل، و.. وامتلأ الفضاء من حول مُنطادهم بالريش و.. الدماء.. ليصيح (محمد) بكل قوته دون أن يتركه الذعر:

- ما هذا؟

أجابه (عُمر) بحدة:

- الطيور، إنها على السطح، والمراوح تفتك بها.

أخذت الطيور تدور حول المُنطاد، والمُنطاد لا يرتفع، بل صار يرتج بقوة وعنف أكبر، كفريسة تحاول التخلص من حبال شبكة ثقيلة.

اندفع (عُمر) نحو خِزانة وفتحها لينتزع من داخلها بندقية، ويندفع نحو الكوة في سقف قارب المُنطاد، ويصعد إليها بهمة، وصوت (محمد) يأتيه يسأل بانفعال:

- ماذا تفعل؟

ودون أنْ يلتفت إليه (عُمر)، أجابه:

- أريد أن أعرف ما الذي يمنعنا من الارتفاع.

وفتح الكوة وصعد للسطح، وهو يحاول الحفاظ على توازنه، الذي تطيح به ارتجاجات المُنطاد القوية، ولم يستطع الحركة، فعاد للكوة وركع بجوارها ووضع رأسه فيها، وهو يصيح بقوة عسى أنْ يعلو صوته على ضجيج المحركات:

- محمد، أوقف المحركات، هل تسمعنى؟ محمد.. أوقف المحركات..

ورفع رأسه وهو لا يعلم هل يبلغ صوته (محمد) أم لا، مال نحو الكوة ليهتف مرة أخرى، ولكن المحركات توقفت فجأة، وتطاوح المُنطاد كمركب في البحر قبل أن تسكن حركته.

وقف (عُمر) وشرع يسير على سطح قارب المُنطاد، كانت المراوح قد ارتكبت مجزرة بشعة بحق الطيور، فالدماء والأشلاء تملأ سطح القارب، بل أنَّها بلغت السطح السفلي لبالون المُنطاد.

أخذ ينظر يمنة ويسرة وحوله، والطيور ترسم دائرة بطيرانها حول المُنطاد، لم يكن يعلم عمَّا يبحث، ولكنه كان يتمنى أن يجد السبب الذي يمنع المُنطاد من الارتفاع، و.. وجده.. السبب خطاطيف معدنية تمسك بالسور الحديدي القصير الذي يحيط بسقف قارب المُنطاد، خطاطيف

تتصل بحبال تمتد حتى أسطح البنايات البعيدة من الجهتين، اليمنى واليسرى للمُنطاد.

من فعلها؟.. ومتى؟.. وكيف لم يسمع أحدهما صوتها وهي تمسك بالسور؟ و.. قطع تساؤلاته مشهد عدد من الكائنات البيضاء وهي تقفز من سطح البناية المقابلة إلى الحبل وتشرع في التسلق بهمة.. متجهة إليه..

لم يطل تفكيره، واندفع نحو الكوة مرة أخرى لينادي:

- محمد، محمد، ناولني خنجر..

سمع صوت (محمد) يخبره عن الكائنات التي تتسلق الحبال، تجاهل الرد عليه وهو يحثَّه على الإسراع.

تناول الخنجر واندفع نحو الخطاطيف يحاول قطع حبالها، ولكنها كانت قويّة جدًّا، وكيف لا وهي استطاعت أنْ تمنع المُنطاد من الارتفاع.

كانت الكائنات البيضاء تقترب بسرعة حتى لم يعد يفصلها عنه سوى بضعة أمتار، ألقى الخنجر وشهر البندقية وأطلق الرصاص على أقربهم إليه ليسقط من علٍ بلا صوت، واستدار للآخر والكائنات تزداد همة وسرعة تبغي الوصول إليه، وأخذ يطلق الرصاص بكثافة.. وهوت ضربة شديدة على ظهره وأخرى على جانب رأسه ليسقط على جانبه فوق سطح القارب، كانت الكائنات تتدفق من الجهة الأخرى، الجهة التي غفل عنها، وحاول أنْ ينهض ولكن ضربة على ذراعه أعادته لموضعه، وضربة أخرى على رأسه لتحيط غمامة سوداء بوعيه، حاول أنْ يقاوم، حاول أنْ ينهض ولكن الضربات توالت وأخذت الموجودات تبتعد عنه وتختفى خلف

أكمة سوداء و.. وفقد الوعي.. بين الأعداء.. أو الوحوش.. أيَّهما أدق تعبيرًا..

*** * ***

ساد ظلام دامس وصمت مخيف وسكون تام، كأنَّ الدنيا عادت بِكْرا وفقدت الأشياء أسمائها، ومضت هُنيهة لم ينبس أحدهما ببنت شفة قبل أن ينبعث ضوء صغير وقوي مع صوت (عبد الرازق) يقول:

- يبدو أنَّنا قطعنا الـ..

وقطع كلامه هدير قوي وضجيج عالٍ جعل (بهاء) يهتف:

- ما هذا؟

أخذ (عبد الرازق) يدير الضوء الذي يحمله حوله وهو يقول:

- لا أعلم، يبدو كأصوات أبواب تغلق و..

قطع كلامه وهو يسلِّط الضوء على وجه (بهاء) وتابع:

- هل تكون أبواب المكان قد أُغلقت؟

ولم ينتظر جوابًا واندفع نحو باب الحجرة ومصباحه يهديه، و(بهاء) من خلفه، تركا الحجرة و(عبد الرازق) يُلقي بالضوء هنا وهناك، وسقط الضوء على أول الممر من حيث جاءا.. لم يعد هناك مدخل.. السلالم التي تتفرع إلى ممرات اختفت وظهر بدلًا منها جدار معدني مصمت بلا ملامح، يعزل هذا الجزء عن باقي الأجزاء، لوهلة توارت الحقيقة عنهما ثم عادت

تسطع كألف شمس تشرق من المغارب، لقد أصبحا سجينين.. في أعماق مكان لا يعلم به أحد.. منقطعين عن كل الدنيا..

*** * ***

ركضا نحو الجدار المعدني، و(عبد الرازق) يدير الضوء على الجدار كله، كان مصمتًا لا ملامح له، لا مقابض.. لا علامات تخبر عن أوله أو آخره، وفي الضوء الضعيف المنبعث يعكس صورتهما باهتةً.

قال (بهاء):

- لقد علمنا الآن لماذا لم يستطع من سبقنا أخذ المولِّد الكهربائي.

التفت إليه (عبد الرازق) رغم الظلام الذي يُخفي رفيقه، وقال:

- أتظن أنَّ..

ولم يكمل حديثه بل اندفع يجري عائدًا إلى الحجرة وخلفه (بهاء).. اقتحم الغرفة وعلى ضوء ما يحمله أعاد الصندوق الثاني إلى مكانه و.. ولم يحدث شيء.. انتظرا وقتًا أطول.. ولم يتغير الحال..

بهاء:

- هل أحكمت تركيبه؟

أجابه (عبد الرازق) وهو يدفع الصندوق إلى مكانه بقوة أكبر:

- وهل يحتاج إلى إحكام! مكانه محدد و..

وتنفس المكان.. لا توجد كلمة أفضل من هذه لوصف عودة الكهرباء.. تلألأت الأضواء.. ارتفع صوت خافت من المعدات الموجودة.. أُضيئت الشاشات وبدأت تحميل أنظمة التشغيل.. ولكنَّ الصوت الذي يرغبونه لم يسمعوه..

أطفأ (عبد الرازق) ضوء ما يحمله، و(بهاء) يسأله عن كنهه، أجاب (عبد الرازق):

- هاتف محمول من قبل الحرب الطاحنة، مثله مثل أجهزة الاتِّصال اللاسلكي معنا ولكنه أفضل بكثير.

وتوقف هُنيهة وهو ينظر للهاتف بأسف ويردف:

- لكن ليس له فائدة الآن سوى المزايا الأخرى مثل المصباح والقرآن والألعاب وبعض أشياء من زمن قبل الحرب.. يقولون أنَّها لا تزال تقوم بمهمتها في الشام، ولكن من يعطب منها لا إصلاح له.

رفع رأسه إلى (بهاء) وقال:

- دعنا نرى ذلك الجدار.

* * *

لم يتغير من أمره شيء، رغم أضواء الممر التي أزاحت الظلمة ورفعت الكآبة، إلا أنَّ الجدار المعدني بقي على حاله، يسجنهما ويعزلهما عن باقي العالم.

بهاء:

- أظن أنَّ علينا إعادة الصندوق الآخر إلى مكانه.

نظر إليه (عبد الرازق) وسأل:

- أتظنُّ ذلك؟

بادله (بهاء) النظر والسؤال بسؤال:

- هل لديك اقتراح آخر؟

بأسف هز (عبد الرازق) رأسه وبخطى ثقيلة عاد إلى الحجرة، أمسك بالصندوق الأول ليعيده مكانه، و(بهاء) يرفع المقابض ليسهل عليه إعادة الصندوق إلى مكانه و..

- «تمَّ العثور على الخلل.. انقطاع التيار الكهربائي.. المصدر حجرة التغذية والتحكم.. لم يسجل أي اختراق أمني.. سيتم الآن إزالة جميع الإجراءات الأمنية التي تم اتخاذها».

دوى الصوت الشاب في المكان وجعل (عبد الرازق) ينظر إلى (بهاء) في دهشة ويقول:

- ما هذا؟

أخذ (بهاء) ينظر حوله كأنَّه يبحث عن مصدر الصوت ثم نظر إلى (عبد الرازق)، أجاب:

- أظنه نوع من التقارير الآلية من أنظمة الأمن التي تدير المكان.

نظر (عبد الرازق) حوله كأنَّه يبحث عن مصدر الصوت بدوره، تعجب:

- ألم نتفق على أنَّ شخص ما سبقنا وأوقفها؟

ابتسم (بهاء):

- بلى، ولكن يبدو أنَّ بعضها لا يزال يعمل، أتعلم ما الأمر الرائع الذي يهمنا؟

ارتفع ضجيج عال في المكان جعل (عبد الرازق) ينزعج فيسأل في قلق:

- وما هذا أيضًا؟

وابتسامته لا تفارقه أجاب (بهاء):

- إن صدق ظني فهو الجدار المعدني يُرفع.

هتف (عبد الرازق) بلهفة وسرور:

- حقًا؟

واندفع إلى خارج الغرفة، ليجد الجدار المعدني قد أُزيل وظهر بدلًا منه بضعة كائنات بيضاء وجوهها أشبه بوجه التيس.. وتحمل عصيًّا وهراوات..

*** * ***

تسمَّر (عبد الرازق) في مكانه وهو يبادل الكائنات النظرات، وقد خانته بديهته.. ولثوان وقف الجميع بلا حراك.. جمود أزاله ثُغاء عال وانقضَّت الكائنات عليه..

جاء ثغاؤها لينزع (عبد الرازق) من تسمُّره، ويجعله ينتزع مسدسه ليطلق الرصاص بكل عزم على تلك الكائنات..

مع الرصاصات الأولى وسرعة اندفاع الكائنات نحوه، أدرك (عبد الرازق) أنَّ معركته خاسرة، فاندفع عائدًا إلى الحجرة وهو يدفع أمامه (بهاء) الذي أخرجه صوت الرصاص من الحجرة شاهرًا مسدسه.

أغلق (عبد الرازق) الباب بقوة و(بهاء) يعاونه ويسأل:

- من أين جاءوا؟

تلفت (عبد الرازق) حوله وهو لا يزال يُحكم إغلاق الباب بيديه، وأشار إلى خزانة صغيرة منفرة في جانب الحجرة، وهتف:

- لا أعلم، إليَّ بهذه.

كانت الكائنات قد بلغت المكان وانهالت على الباب بالعصيِّ والهراوات، في حين جذب (بهاء) الخزانة ووضع حافتها تحت المقبض، لتصبح متكأً للباب فيصعب فتحه.

الباب أثبت قوته ومتانته، فلم تنل منه الضربات، فلم يتزحزح أو تظهر فيه ثنايا أو آثار الضربات..

بعد برهة سأل (بهاء):

- ثم ماذا؟

دون أن يرفع عيناه عن الباب، أجاب (عبد الرازق):

- هل هناك سبيل آخر؟

- كُثْر؟

- عشرة أو أقل.

- هل نستطيع هزيمتهم؟

- رُبَّما، ولكن هذا هو الخيار الأخير.

- والخيار الحالي؟

رفع (عبد الرازق) نظره عن الباب إليه، أجاب:

- ننتظر.

وعاد ينظر إلى الباب، والصمت بينهما والطرقات من الطرف الآخر.. لا تكلُّ.. ولا تملُّ..

*** * ***

رُبَّما يكون الخوف أو الجبن هو أسهل الطرق وأقصرها للتخلص من مأزق ما أمامنا، وليس عدم قدرتنا على خوض غمار الطرق الأُخْرى..

هذا قد يكون حال (محمد)، الخوف الذي يسري في بدنه ويجعل الفرار من المكان فعلًا حكيمًا، لم يمنعه من رؤية الكائنات التي تتقدم نحوهم وهي تزحف على الحبال من الجهة الأخرى، وأن يرى مُنطادهم ينخفض رويدًا رويدًا بسبب الثقل الإضافي، وأنَّه لا يمكن أن يترك (عُمر) يقاتل وحده، لذلك اندفع نحو مفتاح تدفق غاز الرفع، وأداره ليدفع بأكبر قدر ممكن من الغاز ليمنع انخفاض المُنطاد، وجرى إلى الخزانة لينتزع بندقية أخرى ويهرع نحو الكوة ليخرج منها بنصفه العلوي، ويجد رفيقه فاقد الوعي والكائنات البيضاء تتقدم نحو الكوة..

ولم يتردد (محمد) لحظة، الذعر والخوف لم يمنعاه من ضغط الزناد وترك الرصاص يقتنص أهدافه.. وتساقطت الكائنات صرعى.. وحاول بعضها

الاندفاع نحوه وهي تلوح بالعصيّ والهراوات.. لكن موقع الكوة في طرف قارب المُنطاد ومراوح الرفع على جانبي القارب، كانت تجبر الكائنات أن تبقى أمامه وفي طريق رفيع إلى حد ما، مما سهَّل عليه اقتناصها فرادى ومثنى وثلاث..

خمس دقائق مرّت كالدهر ولكنها كافية ليمتلئ سقف القارب بجثث الكائنات وقلب محمد بالشجاعة، اطمأن أنَّه قضى عليها جميعًا باستثناء ثلاثة لا تزال تتسلق على الحبال، خرج من الكوة وهو يحاول التصويب بدقة، حتى أسقطها جميعًا، وأخذ يلقي بالجثث من على السطح، حتى بلغ صديقه ورفيقه، كان غائبًا عن الوعي وجرح دامي في جانب رأسه، و.. حيًّا، الأهم الآن التخلص من الخطاطيف حتى يمكنهم الابتعاد ومن ثم العناية بصاحبه، المُنطاد قد انخفض كثيرًا بسبب ثقل الكائنات وعاد للارتفاع بسرعة بعد التخلص منها، ومع انخفاضه وعدم وجود كائنات تتسلق على الحبال؛ تهدَّلت الحبال وصار التخلص من الخطاطيف سهلًا، حتى بلغ الخطاف الأخير..

عند الأخير بلغ المُنطاد ارتفاعًا جعل حبل الخطّاف مشدودًا بقوة تمنع ارتفاع المُنطاد أكثر، وحاول (محمد) بكل قوته أنْ يجذب الخطاف ولكن محاولاته باءت بالفشل، أخذ يبحث حوله عن شيء ما قد يساعده على قطع الحبل و.. وهذا هو الخنجر الذي أعطاه (عُمر).. أسرع إليه وعاد به ليقطع الحبل.. ما هذا الحبل؟ كأنه صُنع من الفولاذ.. ومع هذا.. الخنجر يغوص فيه.. ببطء وبثبات.. و.. ضربة مفاجئة جعلته يلتفت إلى مصدرها.. كان خطافًا آخر يُمسك بسور سقف القارب، ونظر للطرف

الآخر ليجد عدة كائنات تعد نفسها لتسلق الحبل.. عاد الذعر ليطرد الشجاعة من قلبه.. ويجعل يده كالآلة تقطع ذهابًا وأيابًا حتى قطع الحبل.. وبسرعة قفز للخطاف الجديد.. ورفع بندقيته وأطلق الرصاص.. ليس على الكائنات.. بل على الحبل.. لا يعلم من أين أتته الفكرة.. ربما هو الخوف.. المهم أنَّه نفذها.. ولكنها صعبة.. رغم نتائجها الظاهرة.. التصويب على نفس البقعة أشبه بالمستحيل.. فاختار أكثر بقعة تمزقًا وأنقضّ عليها ليكمل قطعها بالسكين والكائنات تقترب منه أكثر فأكثر..

و.. وانقطع الحبل لتسقط الكائنات معه.. ومع انقطاعة الحبل ارتفع المُنطاد فجأة وبقوة.. ليميل جسد (محمد) بعنف إلى خارج المُنطاد.. ليسقط.. يسقط من علٍ..

*** * ***

مال جسده ليسقط خارج حدود سقف قارب المُنطاد، وبكل غريزة البقاء لديه، امتدَّت يده تبحث عن شيء تُمسك به.. أي شيء.. و.. وأمسكت يده السور الحديدي القصير.. بكل قوة.. وسارعت الأخرى تُعين الأولى.. والمُنطاد يرتفع أكثر فأكثر.. أخذ يجاهد لرفع جسده إلى السقف.. حتى نجح في المحاولة الخامسة.. وجلس يلهث وهو لا يصدق أنَّه نجا..

مع ارتفاع المُنطاد شعر بالطمأنينة.. وشاهد الكائنات البيضاء وهي تحاول أن تُلقي بخطاف جديد ويفشل في الوصول ويسقط.. مشكلته الآن إدخال (عُمر).. أسرع إليه.. وأخذ يصفعه على وجهه.. لقد رأى شيء كهذا

يفعله طبيب في البلدة لإفاقة أحد الأشخاص.. طبعًا الأمر ليس كذلك.. ولكن هذا ما بدا له.. الحل الآن أن يوقف ارتفاع المُنطاد أكثر من ذلك، ثم يحضر حبلًا ويحاول إنزال رفيقه من الكوة.. وإن كان إلقاءه منها أسهل.. كلا أنَّه عريس ويجب الحفاظ عليه.. ويخشى أن يؤذيه أو يدق عنقه إن فعل ذلك.. لا بأس.. لقد ابتعد عن الخطر.. وهو في مأمن الآن.. ويستطيع إنجاز أموره بهدوء.. وترو..

*** * ***

20- المَخْرَج

احتاج الانتظار منهما إلى نصف ساعة، حتى انتهى الطرق والضرب على الباب، وخفتت الأصوات..

قال (بهاء):

- أتظنهم ذهبوا؟

- لننتظر بعض الوقت، ربع ساعة حتى نتأكد من ذهابهم.

والتفت إلى (بهاء) يستفهم:

- كنت تقول إنَّ هناك أمرًا رائعًا، ما هو؟

لوهلة لم يدر (بهاء) عمَّا يتكلم.. ثمَّ فطن له، ابتسم واستدار وهو يشير إلى الصندوق الأول وقال:

- لسنا في حاجة إلى إعادة هذا إلى مكانه، يمكننا أن نأخذه معنا.

ابتسم (عبد الرازق) وقال بغبطة:

- هذا صحيح، يبدو أنَّ مهمتنا قد أُنجزت.

نفى (بهاء) بهز رأسه والقول:

- ليس بعد، لا يزال أمامنا الخروج به من هذا المكان أحياء، والعودة لبلدتنا.

والتفت إلى رفيقه، سأل:

- لماذا يبدو لي أنَّك معتاد هذا الأمر؟

التفت إليه (عبد الرازق) وبكلمات دهشة سأل:

- أي أمر؟

- هذه الكائنات.. القتال.. لا يبدو أنَّك تشعر بالخوف.. بل لا تشعر بالقلق..
لهُنيهة لم يصدر عن (عبد الرازق) إشارة ما، ثم ابتسم قائلًا:
- حين تكون أمين البلدة ومسؤول النقل فيها، فأنَّ هذه الأمور تكون مُعتادة، ونواجهها كثيرًا.
قابل (بهاء) حديثه بدهشة وسؤال:
- هل قابلت هذه الكائنات من قبل؟
- لا، ولكنني قابلت كائنات غريبة، ولا تنس قرية (السلامة) وطبيعة أهلها، وقاتلت قطاع الطرق أكثر من مرة، وواجهت في عملي مخاطر كثيرة، وهذه من جملة المخاطر، ولكن أنت الذي لا تغادر البلدة كثيرًا، تبدو معتادًا عليها بطريقة تبعث على التساؤل.

جذب (بهاء) مقعدًا وجلس عليه دون أن يجيب، أنه لا يعلم تفسيرًا لهذا الأمر، هناك مشاعر متناقضة داخله، الخوف مع السعادة.. الذهول مع الجرأة.. حقًا أنَّه لا يعلم.. لذلك رفع رأسه إلى (عبد الرازق) وقال:
- هل تصدقني لو قلت لك لا أعلم؟
نظر إليه (عبد الرازق) ولم يعقِّب، في حين تابع (بهاء):
- رُبَّما لأنني أعمل في الحراسة، وأعتبر الخطر جزءًا من عملي، رُبَّما لأنني سمعت الكثير عن المخاطر والكائنات التي يمتلئ بها عالمنا، وصرت مستعدًا لملاقتها في أي قت، رُبَّما.. رُبَّما.. رُبَّما..
أخبر وجه (عبد الرازق) أنَّ كلام رفيقه مدْعاة للتفكر وبعد صمت وجيز قال:

- هيا بنا، لقد مضت ربع ساعة أو أكثر.

استوقفه (بهاء) بإشارة من يده وقال:

- هل فكرت في أمر الخروج؟ ماذا سنفعل؟

سار (عبد الرازق) إلى حيث الصندوق الأول، وأمسكت يسراه بمقبض أعلاه وحمله، وأخرجت يمناه مسدسه واستدار إلى (بهاء):

- حسنًا، الأمر الغريب الآخر إضافة إلى حجمه هو وزنه الخفيف إلى حد ما، سنخرج من هنا.. سنقاتل ونقتل كل من يقف في طريقنا.. لن نعود من حيث جئنا.. سنتوجه إلى سطح البناية.. ومن ثمَّ يلتقطنا (محمد) و(عُمر) من هناك.. ما رأيك في خطتي؟

أخرج (بهاء) مسدسه هو ينهض عن مقعده، قال:

- هناك تعقيب صغير، هل قمت بتلقيم مسدسك؟

أومأ له (عبد الرازق) أن يتقدمه ويفتح الباب وهو يجيب سؤاله:

- في عملنا يجب أن يكون سلاحك معدّا وجاهزًا في كل وقت، وتلقيمه فورًا بعد كل استخدام..

بحذر فتح (بهاء) الباب وأطلَّ برأسه، كان الممر خاليًّا باستثناء ثلاثة كائنات قرب بدايته، وقد اتكأت بظهورها على الحائط.. يبدو أنَّها تنتظر شيئًا ما.. أو أحد ما..

بسرعة اندفع (بهاء) خارج الحجرة وأطلق رصاصات مسدسه قبل أن تفطن إليه الكائنات، وهُرع بسرعة إلى بداية الممر حيث الدرج المؤدي للطوابق العلوية و(عبد الرازق) يحاذيه..

صوت الرصاص جذب المزيد من الكائنات التي اندفعت نحوهم بالعصيّ والهراوات، ورصاصاتهم تُجهز عليها قبل وصولها إليهما.. واصلا صعودهما حتى بلغا الطابق الأول تحت الأرض، أشار (بهاء) إلى مصعد وقد فُتح بابه، فسأل (عبد الرازق) في شك:

- هل تعرف كيف تستخدم هذه الأشياء؟

أجابه (بهاء) وهو يهرع إلى المصعد:

- شاهدتها في بعض الأفلام، أظنُّ أنَّ أمرها بسيط.

دخلا إلى المصعد وأشار (بهاء) إلى صف أزرار عليها أرقام، ضغط على أعلاها رقمًا:

- أظن هذا سيأخذنا إلى الطابق الأخير، حسبتك تعرف هذه الأشياء!

هز (عبد الرازق) رأسه، أجابه:

- رأيتها مرة في بلدة (وادي السعادة) ولكن لم استخدمها.

صمتا وهما ينتظران حدوث أمر ما، ولكن الثواني القصيرة كانت أشبه بدهر وجعلت (عبد الرازق) يقول:

- أتظن أنه سيعمـ..

واستيقظ المصعد.. كعجوز أفاق من نوم عميق طويل، يتلفت حوله لا يعرف مكانه ولا يعلم ماذا يفعل هنا، ثم يفطن إلى نفسه، ويعلم مهمته فيُضيء الزر ويبدأ بابه ينغلق في هدوء..

أوشك الباب على الانغلاق لولا هراوة وخطم عريض كخطم التيس، جعلا الباب يُفتح من جديد، ولم يتردد (بهاء) فأطلق رصاصة ألقت بصاحب

الخطم بعيدًا على ظهره، وفُتح الباب على مصراعيه ليكشف عن أربعة كائنات، انقضت عليهما بكل وحشية..

وألقى (عبد الرازق) الصندوق وأطلق الرصاص على أقربهم لتُلقي به صريعًا ويصيب آخر.. وضربة قوية على ساعده تلقي بمسدسه أرضًا، وضربة أخرى على كتفه و.. وأمسك (عبد الرازق) بالهراوة وجذبها إليه مع صاحبها ولكمه بقوة في عينه اليسرى، وانتزع الهراوة ليجعل منها في الوقت المناسب درعًا لرأسه عن ضربة أخرى ورفع هراوته ليهاجم بها ولكن عدة رصاصات من مسدس (بهاء) أنهت المعركة.. وبسرعة تعاونا على ازاحة الجثث عن باب المصعد، ليعاود بابه الانغلاق، ويبدأ في الصعود..

تلفت (عبد الرازق) حوله وهو يقول:

- مسدسي.. هل..

قاطعه (بهاء) وهو ينحني ليرفع يده حاملة أياه ويقول:

- هذا هو..

وانفتح المصعد ليهتف (عبد الرازق):

- هل وصلنا؟ بهذه السرعة!

- مرحبًا بكم في الطابق الخامس والثلاثين.

انبعث هذا الصوت ليقطع الشك باليقين، ويجعلهما ينظران حولهما بحثًا عن مصدر الصوت، قبل أن يفطنا إلى أنها حتمًا رسالة مسجلة.. حمل

(عبد الرازق) الصندوق واندفع خارج المصعد يتبعه (بهاء).. بفضل الله كان الدرج المؤدي للسطح قريبًا من المصعد، صعدا ليجدا نهايته مغلقة بباب حديدي صلب.

زفر (عبد الرازق) وغاضبًا قال:

- هذا ما ينقصنا.

ربت (بهاء) على كتفه، قال:

- لن يمنعنا، هيا بنا..

نظر إليه (عبد الرازق) والضيق حاله، سأل:

- إلى أين؟

كان (بهاء) يهبط الدرج وهو يجيبه:

- إلى طريق آخر.

بلغا أسفل الدرج وعادا إلى حيث المصعد، أشار (بهاء) إلى أحد الممرات قائلًا:

- أعتقد أنَّ حجرات هذا الممر اليُمنى تطل على الساحة حيث يطير مُنطادنا.

نظر (عبد الرازق) إلى حيث يشير، وبعد ثوان قال:

- رُبَّما.

أسرع (بهاء) نحو أقرب الحجرات إليهما، وأخذ يدفع الباب بكتفه، وضع (عبد الرازق) الصندوق أرضًا وسارع إليه يساعده، وبدفعة قوية من كتفيهما انفتح الباب، وأسرع (بهاء) إلى النافذة وفتحها وهو يقول:

- أرجو أن يكون مُنطادنا قريبًا.

نظر إلى أعلى.. يُمنة.. يسرة.. لا أثر للمُنطاد.. لقد غادرهم المُنطاد.. وذهب بعيدًا.. بعيدًا جدًّا..

*   *   *

تألَّم (عُمر) وأمسك برأسه الذي أحاطت به خرقة وهو ينظر إلى سقف قارب المُنطاد، ماذا جاء به إلى هنا، آخر ما يذكره هجوم الكائنات وضربة قوية على رأسه، وغا.. وجاءه صوت (محمد) ينفث ارتياحًا:

- أفقت؟ حسبت أنَّ فقدان الوعي قد أعجبك ولن تتركه.

لم يرد عليه (عُمر) أو يبدل موضعه، وبعد حين سأل:

- ماذا حدث؟ أين نحن؟

- نحن بعيدًا عن كل خطر، أما ما حدث هو أنني أنقذتك وأنقذتنا من الخطر.

ببطء اعتدل (عُمر)، ونظر حوله وعجز عن معرفة مكانهم، ونهض وهو يُغالب المطرقة القوية في رأسه، سأل:

- أين (بهاء) والسَّيِّد (عبد الرازق)؟

من موضعه عند لوحة قيادة المُنطاد، ودون أنْ يلتفت، أجابه:

- لا أعلم، لقد تركت المنطقة وابتعدت كثيرًا.

نظر (عُمر) من النافذة، المدينة تبدو بعيدة جدًّا أسفله، والشمس تنحدر نحو الغرب، وأنساه جواب (محمد) ألم رأسه، فالتفت إليه بقوة جعلت

الدنيا كسحابة بيضاء أمام عينيه، وترنح جسده كي يسقط لولا أنه أمسك بحافة النافذة، وتكلم لسانه مُتجاهلًا حاله:

- ماذا؟ تركت المنطقة؟ هل جننت؟

- أكون مجنونًا إذا بقيت هناك، أنت لا تعلم ماذا حدث، لقد نجونا بأعجوبة.

رغم ألم رأسه، هتف (عُمر) غاضبًا:

- هل تركت (بهاء) والسَّيِّد (عبد الرازق) هناك؟ وحدهما؟

التفت إليه (محمد) وبحدة أجابه:

- نحن في المُنطاد في السماء بالكاد نجونا، هما على الأرض وبين الكائنات، أتحسبهم ينجون؟

ولم يعط (عُمر) مهلة للرد، وتابع وهو يشير إلى الساعة أعلى لوحة القيادة:

- ثم انظر إلى الساعة، لقد بقيت ساعة حتى تنقضي المهلة التي حددتها أنت، في مثل هذه الأحوال لا قيمة لهذه الساعة.

تماسك (عُمر) بقوة وهو يسير نحو (محمد)، وفي نفس الوقت يرد:

- أنت قلتها، بقيت ساعة، لن نغادر حتى نعود للمكان ونتأكد أنهما غير حاضرين.

صرخ (محمد) - كأن (عُمر) ضربه على رأسه- وهو يقول:

- نعود! هل جننت؟ وتلك الكائنات؟

أجابه (عُمر) وهو يقاوم مطارق رأسه:

- سنأخذ حذرنا، وسنقاتلهم حين نراهم.

لم يترك (محمد) الصراخ وهو يقول:

- تقاتلهم! بماذا؟ بفقدان وعيك، المرة السابقة سقطت على يمينك وهذه المرة ستسقط على يسارك، أم تطلب منهم الرحمة وتقول قد أصابك منهم ما يكفيك دهرًا.

لم يجبه (عُمر) وأكتفى بالقول في صرامة:

- عُد بنا إليهم.

كان العناد في ملامح (محمد) ردًا كافيًا، وأدرك أنَّه سيخوض معركة مع رفيقه، معركة لا يرغبها، لذلك نهض عن مقعد القيادة وبخشونة يقول:

- لا، لن أعود.

قعد (عُمر) مكانه وأخذ يهبط بالمُنطاد، ويحاول تذكر المعالم التي تميز المنطقة التي تركا فيها رفيقيهما، وكي يطمئن (محمد)، قال:

- لن نعود إلى حيث كنا، سنطوف حول المكان من بعيد وعلى ارتفاع عال، بحيث ننأى بأنفسنا عن أي خطر..

لم يجبه (محمد) ولكنَّ قلبه اطمأنّ قليلًا.. وتمنى أن يكون هذا كافيًا لأن يكونا في مأمن..

*   *   *

- لا أثر لهما..

قالها (عبد الرازق) وهو يمسح السماء بنظره من النافذة، و(بهاء) إلى جواره يحاول أن يعثر على ما عجز عنه رفيقه، وعقَّب:

- لعلهما واجها طارئًا وسيعودان.

- رُبَّما، ولكنني أخشى أنْ يحسبا أننا قُتلنا وتركا المكان، وبما عادا إلى البلدة..

التفت إليه (بهاء) وبدهشة سأله:

- وما الذي يحملهما على ذلك؟

- ربما حسبا أنَّنا لم ننج من الكائنات، حين تقاتلت مع بعضها.

- حقًا! أين ذهبت الكائنات الأخرى؟ الأمر يبدو وكأن هذه الكائنات البيضاء هي من تسيطر على.. انظر.. انظر.. المُنطاد.. مُنطادنا.. أنَّه قادم..

صاح (بهاء) بالكلمات الأخيرة وهو يشير إلى المُنطاد، الذي كان كنقطة صغيرة في صفحة السماء، والمُنطاد يتقدم نحوهم ببطء وهو يهبط رويدًا رويدًا..

*** * ***

- لقد كانت فكرة (عُمر) أنْ نفحص المكان بالمنظار دون الحاجة للمخاطرة بالاقتراب، وحين رأيتكما لم أعرف كيفية الوصول إليكما، كنّا نخشى وجود هذه الكائنات البيضاء.

نطق (محمد) بقوله وهو يمسك الصندوق بين يديه وينظر إليه بشك عظيم، وتابع عنه (عُمر):

- لذلك اقترحت أن نأتيكم من خلف البناية، على أن أصعد إلى سقف القارب ومعي البندقية، لمنع تلك المخلوقات من تكرار ما فعلته معنا سابقًا.

ابتسم (بهاء) وهو يقول:

- لم أصدق نفسي حين رأيتكم تلقون لنا بالمرساة لنصعد عليها، كانت هذه فكرتي للصعود للمُنطاد ولكنني خشيت أنكم ستهبطون أرضًا بدلًا من فعل ذلك.

(عُمر):

- لم يكن هناك سبيل سوى هذا لتجنب الهبوط أو الاقتراب من المبنى.

نظر (محمد) إلى (عبد الرازق) والشك في كلماته:

- هذا هو؟ هذا مولِّد الكهرباء الذي فعلنا لأجله كل هذا.

بابتسامة كبيره أجابه (عبد الرازق):

- نعم، هذا هو.

أخذ (محمد) يدير الصندوق بين يديه ويزيد من شكه:

- هذا! هذا سيزود بلدتنا بالكهرباء! هذا الصغير الخفيف سيفعل هذا!.. وأين مخارجه؟ أين سيتم وصل أسلاك الكهرباء؟

قال له (عبد الرازق) وهو يأخذ الصندوق منه:

- هذه مهمة مسؤول الكهرباء في بلدتنا.

ثم نقر على الصندوق بمفاصل أصابعه وتابع:

- ثم أنَّ الكثير من التعليمات والإرشادات مطبوعة على الصندوق، وهذا سيساعد مسؤول الكهرباء في مهمته.

وحكَّ رأسه بيده الأخرى، فالأمر الذي يشغله هو ما سيقوله الآن:

- ما يشغلني الآن هو أن موعد صلاة المغرب قد اقترب ولم أصل الظهر ولا العصر بعد..

انطلقت منهم التأوهات، واتجه (محمد) إلى لوحة قيادة المُنطاد وهو يقول:

- سأحاول العثور على منطقة بعيدة وآمنة للصلاة والطعام والمبيت، وغدًا صباحًا نعود لبلدتنا.

قال (عبد الرازق):

- بل سنواصل رحلتنا بعد الصلاة، ستشرق شمس الغد ونحن في بلدتنا.

تنحنح (عُمر)، إنَّه أمر نسيه الجميع، وسيذكرهم به الآن:

- أخشى يا أصدقائي أنَّ هذا الأمر غير ممكن.

العيون المتسائلة جعلته هدفها، حتى (محمد) استدار إليه، فتابع:

- لقد ذهبنا إلى مدينة الموت، واشتبكنا مباشرة مع كائنات مجهولة وحدث اتصال بل تلامس مباشر معها..

لم يحتاجوا منه أن يُكمل حديثه حتى يدركوا مغزاه، إنّه الحَجْر..

وجموا جميعًا ولم ينطق أحدهم بكلمة، وحاول (بهاء) أنْ يعيد إليهم الطمأنينة، بذكر أمر غفلوا عنه:

- هل أخبركم أمرًا؟

رفعوا إليه أنظارهم، فأجاب سؤاله:

- نحن أوَّل من يذهب لمدينة الموت ويعود حيًّا.

حتى هذا يا (بهاء) لن يتضح إلا بعد انتهاء الحَجْر، بعد الحَجْر سيكون أربعة أحياء أو أربعة... أموات.. حتى هذا.. حتى هذا..

*** * ***



21

الخاتمة

بعد خمسة وأربعين يومًا

□بهاء وكنان

ألقت شمس الأصيل بضيائها على البلدة، واستطالت الظلال واضطجعت مستترة عن الشمس بأجساد أصحابها، وصدح نادي البلدة بأصوات البهجة وهي تعلو بالتهاني والمُباركات للخارجين من الحَجْر، وغصَّ بالحضور من الأهالي، والأقداح - في أيدي الخدم- تغدو بطانًا وتروح خماصًا، ووسط هذا كله وقف (كنان) يحدث (بهاء):

- لقد كانت أربعين يومًا طويلة، لكننا خرجنا منها بأفضل حال.

قال (بهاء) مبتسمًا:

- هنيئًا لنا، سمعت أنكم أثرتم ذعر البلدة كلها.

ضحك (كنان):

- لقد فقدنا الوعي ليوم كامل، لا نعلم السبب، ولكن الدكتور (أمجد) يقول أنَّ كل من اتصل بتلك الكائنات عانى من نقص شديد في مكونات الدم، ولا شيء غير هذا، أما قائد الحرس فكان يعاني من آثار وعكة صحية سابقة، ولم نحصل من عملنا على شيء سوى التَقْريع، أما أنتم بعودتكم مع المولِّد الكهربائي أصبحتم أبطال هذه البلدة.

طبعًا الفضل كله لله ثم (عبد الرازق) الذى أصرَّ على الحصول على المولِّد الكهربائي، ومع ذلك لم تمنع هذه الحقيقة (بهاء) من قبول الثناء:

- ليس إلى هذا الحد.

هزَّ (كنان) رأسه وأكد:

- بل أكثر.

ونظر إلى رفيقه ليعطي كلامه ثقلًا:

- هل تعلم ما قاله مسؤول الكهرباء؟

ردت عينا (بهاء) سؤاله بسؤال، فتابع (كنان):

- هذا المولِّد قادر على تشغيل ألف بلدة كبلدتنا ممتلئة بالمصانع والمعدات لمدة لا تقل عن خمسين عامًا، لقد قام بحساباته بواسطة المعلومات المطبوعة على الصندوق، وهذا يعني أنَّنا قادرون على إحاطة البلدة بسور كهربائيّ يحميها من جميع الأخطار.

كان (بهاء) يعلم بقدرة المولِّد الكهربائي، ولكن ليس إلى هذا القدر، لذلك لم يخف دهشته وسروره وهو يقول:

- يا إلهي، الحمد لله، هذا ما نريده لأهلنا وبلدتنا.

كنان:

- ستصبح نوبات حراستنا أقل بكثير عمّا قبل، الثغرات جميعها ستُغلق بسياجات كهربائيّة، وسيتم تقليص عدد نقاط الحراسة رغم اعتراض قائد الحرس الذي يصر على إضافة أجزاء إضافية للبلدة بدلًا من تقليص نقاط الحراسة.

فكَّر (بهاء) في قوله، بعد لحظة صمت قال:

- أنا مع رأي قائد الحرس، الوادي الشرقي والجنوبي يجب إضافتهما للبلدة، نحن الآن نملك القدرة على حمايتهما وتأمينهما.

ضحك (كنان):

- تريد لنا مزيدًا من العمل، حسنًا سأعطيك نصيبي.

نظر له (بهاء) وببطء تكلم:

- بخصوص هذا الأمر، أنا سأترك العمل في الحراسة.

نظر إليه (كنان) مدهوشًا قبل أن يهتف:

- ماذا! وماذا ستعمل؟

بحسم أجابه (بهاء):

- في قسم النقل، مع أمين البلدة السَّيِّد (عبد الرازق).

أطال (كنان) النظر إليه والدهشة لا تفارقه، ثم سأل:

- لكن.. لماذا؟

أدار (بهاء) نظره في الحضور كمن يبحث عن شيء ما، قبل أن يعيده إلى (كنان) ويقول:

- أريد أنْ أرى الدنيا.

* * *

☐ يسري

- كلا يا بني، لست جبانًا، لقد واجهت أمرًا لم تألفه، صحيح أنك تعمل في الحراسة، ولكنك لم تترك هذه البلدة يومًا، والمخاطر التي تواجهها في عملك مألوفة ومحدودة، وما واجهته في تلك المدينة لا أتخيل وجوده حتى في الكوابيس، لقد أخطأ قائد الحرس بذهابكم إلى هناك.

قالها أبو (يسري) وهو يربت على كتف ابنه الغارق في مقعده، وقد حجب وجهه بكفيه، ويستمع إلى أبيه الذي أكمل:

- ما واجهته في تلك المدينة، الله أعلم به، ولا نملك سوى الدعاء بأن يحفظنا منه.

* * *

□ قائد الحرس

نقر قائد الحرس بأصابعه على المنضدة الطويلة أمام الشاب المسؤول عن مكتبة البلدة، قال:

- أريد منك أي شيء يتحدث عن الفجوات السوداء.

نظر الشاب يمنة ويسرة كأنه يخشى أن يكون هناك من يتلصص عليهم، ثم مال نحو قائد الحرس، وللهمس أقرب قال:

- يوجد لدي فيلم يتحدث عنها وعن أسرار الفضاء.

بلهفة كادت تطيح بما على المنضدة أمام الشاب -وربما بالشاب نفسه-، هتف قائد الحرس:

- إليَّ بها.

عاد الشاب ينظر حوله ثم مرة أخرى يميل إلى قائد الحرس ويقول:

- لكن هناك ما هو أهم من ذلك.

- أهم من ذلك!

نطقها قائد الحرس بقوة وقبل أن يسأل، تابع الشاب:

- لقد سمعت البعض يتحدث عن تقنية الكوانتم[3] التي ظهرت قبل الحرب الطاحنة.

نظر له قائد الحرس وبلهفة:

- تقنية الكوانتم! ما هذه؟ نوع من السلاح؟

- لدي فيلم عنها، هل ستبدأ بها أم بالفجوات السوداء.

تمنى قائد الحرس لو أنَّه يملك رأسين حتى يشاهدهما معًا، ولكنه -مع الأسف- لا يملك، قال بحسرة:

- نبدأ بالفجوات السوداء ثم هذه الكوانتم، ومعها إبريق قهوة، هلم بسرعة.

أراد الشاب أن يواصل عبثه بقائد الحرس وحبه أنْ يعرف عن كل شيء، ثم وجد أنَّ هذا يكفي هذه المرة حتى لا يفتضح أمره كالمرة السابقة، لذلك قال:

- بضعة دقائق وتكون الشرائح عندك.

سار قائد الحرس نحو حجرة العرض، ثم كأنَّه تذكر شيئًا، فالتفت إلى الشاب:

- الحجرة مشغولة حتى أفرغ، لا تسمح لأحد بالدخول.

أومأ الشاب له برأسه وهو يبحث في الرفوف عن المطلوب، في حين واصل قائد الحرس سيره، أنه يعلم بخبث الشاب، ولكنه خبث لصالحه،

[3] الكوانتم واحدة من نظريات الفيزياء التي تفسّر سلوك الجسيمات تحت الذرية وخصائص أنوية الذرات وبنية الجزيئات والمواد الصلبة وخصائصها، لكن الحديث هنا يدور حول الحواسيب التي تستخدم تقنية الكوانتم، وهي حواسيب ليست أسرع من الحواسيب التقليدية، ولكن تختلف عنها بكونها تستطيع معالجة كميات ضخمة من البيانات في نفس اللحظة.

خبث يجعله أكثر علمًا ومعرفة، لا أحد يعرف أكثر من قائد الحرس.. لا أحد..

*** * ***

☐مجلس البلدة

استمع الحضور إلى السَّيِّد (عبد الرازق) حتى أنهى حديثه، وكان السَّيِّد (جمال) أوَّل من عقَّب:

- كلامك حسن ومعقول، أمور كالشرطة والقضاء والمدارس يمكننا فعلها والبدء بها من الآن، ولكن الأمور الأخرى تحتاج إلى علماء وخبراء وأهل الصناعة، من أين نأتي بهم وهم قلة! ما من بلدة تملك أحدًا من هؤلاء حتى تتشبث به بكل قوة.

قال السَّيِّد (زكريا):

- سنشجع الهجرة إلى بلدتنا.

رفع الدكتور (أمجد) سبابته في إشارة تحذير:

- لا يمكنك أن تُشجع على الهجرة قبل أن تحدد معالم وهيئة مجتمعك الذي تعيشه، دينه وأخلاقه وقوانينه وأهدافه.

السَّيِّد (جمال) والحذر في نبرته:

- وهل هذا مهم في هذه المرحلة؟

في استنكار قال الدكتور (أمجد):

- بالتأكيد مهم، من سيهاجر إليك سيكون واحدًا من الفئات التالية، الأولى تؤمن بما تؤمن به وستعمل بإخلاص على تحقيق هدفك، والثانية لا تؤمن بما تؤمن به ولكنها ستساعدك على تحقيق أهدافك مقابل الحصول على حياة طيبة لها ولأبنائها، والثالثة لا تؤمن بما تؤمن به ولكنها ستساعدك إلى أن تحقق أهدافها الخاصة ثم تتركك، والأخيرة ستحارب ما تؤمن به وتحاول تغييره إلى ما تؤمن هي به، وهذه الفئة هي الخطيرة، ولكن يمكن كشفها بسهولة إذا كنت تملك هوية واضحة وقواعد وأسس يتبعها الجميع، فمن يعمل ضدها لا نريده بيننا، وأمر تحديد الهوية مهم جدًّا حتى لا ننصهر في الآخرين، بل الآخرين ينصهرون فينا ويأخذون هويتنا وملامحنا، لا تنس أنَّ العالم تغير كثيرًا جدًّا، في الشمال منَّا وعلى السواحل توجد القبائل الأوروبية التي هاجرت من أوروبا بعد الحرب، وهي قبائل نصرانية ولا تتحدث العربية، وفي الجنوب منَّا القبائل الإفريقية وبعض القبائل الهندية وفي الشرق هناك طريق يصل بيننا وبين القبائل الهندية والصينية التي استوطنت شرق الخليج العربي وبعد نهر دجلة، حين يبلغ أمر الهجرة هذه القبائل، فيجب أن يعلم من يرغب في الهجرة منها إلينا ما سيجده أمامه.

السَّيِّد (زكريا):

- بالتأكيد لن نقبل بأي شخص،سنختار أهل الكفاءات والعلوم والاختصاص، خاصة من العالم القديم.

أومأ الدكتور (أمجد) برأسه ووافقه بكلماته:

- طبعًا، هذا أمر حتمي، وبحصولنا على هذا المصدر للطاقة الكهربائية يمكننا تقديم مزايا تشجع هؤلاء على الهجرة إلينا.

السَّيِّد (سامح):

- أمر الهوية والهيئة مفروغ منه، نحن مسلمون ونتكلم العربية، والشريعة الإسلامية هي الفصل في كل شأن من شؤون حياتنا، ماذا بقي؟

السَّيِّد (عبد الرازق) بعد صمت طويل:

- الشعار أو الرمز.

السَّيِّد (جمال) مدهوشًا:

- أي شعار وأي رمز؟

أجابه السَّيِّد (زكريا):

- لا بد من شعار يميزك عن الآخرين، ويعرفك به الآخرون، وأرى هذا الشعار يفي بالغرض.

وأشار بسبابته إلى ما وراء السَّيِّد (جمال)، والعيون تتبع الإشارة، وتترك المكتب من نافذته إلى مُنطاد حراسة يقطع سماء البلدة مُتجهًا إلى الجانب الآخر، وعلى بالونه رسم لقبضة مضمومة ترفع سبابتها نحو السماء، والسَّيِّد (زكريا) يتابع حديثه:

- إشارة التوحيد، نحن أمة تؤمن بلا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدًا عبده ورسوله..

* * *

☐يونس وموسى

تناول (يونس) الحزمة من حارس منزله وفضَّها وهو يسأل:

- من جاء بها؟

الحارس:

- سائق جاء بها من مكتب الأمين، قال إنَّها من السَّيِّد (عبد الرازق) أمين بلدة (الأمل).

اظهرت ملامح (يونس) استغرابه من كلام الحارس الذي انصرف بعده، كانت الحزمة صندوقًا أبيض مع زر أسود أعلاه، وتحذير واضح باللغة العربية أن يبقى محتوى الصندوق داخله إلى حين استخدامه، ضغط (يونس) الزر الأسود وسمع صوتًا خافتًا ومعه فُتح أحد جوانب الصندوق كالباب، نظر (يونس) إلى أسطوانة من شبكة المعدنية تحيط بأنبوب زجاجي يمتلئ بسائل أخضر.

بُهت.. وجم.. لبُرهة لم يستطع الكلام، ثم تكلم:

- موسى..

ولكن (موسى) لم يجبه، هو دائما مشغول بأمر يلهيه.. لعبة.. فيلم..

رفع (يونس) صوته:

- موسى.. موسى.. لقد حصلوا عليه.

ترك (موسى) ما في يده والتفت برأسه وهو يسأل:

- ماذا؟ من حصل على ماذا؟

رفع (يونس) الصندوق خلفه من فوق كتفه، قال:

- خذ.. هذا سيخبرك بكل شيء.

تناول (موسى) الصندوق من ورائه ونظر داخله، شهقة الفرح والسرور اللذين ملأ قلبه ماتا بفهمه للأمر، صرخ:

- الملاعين.. الأوغاد.. لقد حصلوا عليه..

بلغه صوت أخيه، يقول:

- نعم، لقد حصلوا عليه.. السَّيِّد (عبد الرازق) ذهب إلى مدينة الموت وحصل على المولِّد الكهربائي وعاد حيًّا.

- سأقتله، خدعني الوغد..

زجره (يونس) بالقول:

- كفى، أنت من أخفى عنه الحقيقة الكاملة، وهو الآن يقول أنه أوفى بما عرضه وأتمَّ الصفقة على الوجه الصحيح.

- كلا، لم تتم على الوجه الصحيح، لقد خدعني، لقد ذهب إلى مدينة الموت، لا أحد يذهب إلى مدينة الموت ويعود حيًّا، الحقير، سأنتقم منه..

- كفى، ألا تستمع لنفسك؟ أنك تهذر بما لا تعي.

- سأقتله، أقسم أنني سأقتله..

* * *

□ التاجر السمين (أكرم)

- هل سمعت الأخبار القادمة من بلدة (الأمل)؟

رفع التاجر السمين (أكرم) رأسه عن أوراقه ونظر لمساعده صاحب السؤال، أنه يكره من يذكره بالبلدة وأنَّه استعجل الخروج من البلدة، ورغم هذا أجاب بهدوء:

- نعم، سمعت.

وعيناه لا تطرفان وتنظران إلى وجه التاجر السمين كأنهما تبحثان عن حسرة أو ندم، قال المساعد:

- لقد حصلوا على مولِّد كهربائيّ قوي، يُقال إنهم جلبوه من مدينة من مدن الموت.

- سمعت ذلك.

- وأنَّهم سيشجعون الهجرة إلى بلدتهم، من يهاجر سيحصل على حصة كهرباء مجانية لمنزله ويدفع نصف التكلفة عن كهرباء أعماله، وسيكتفون بجمع الزكاة والصدقات منه وعند الحاجة إلى فرض ضرائب فإنها ستكون ثلاثة من المائة.

- هذا ما لم أسمعه، من أخبرك بهذا؟

- أمين بلدتنا سمعه من أمين بلدتهم.

هل تسرّع بالخروج؟ البلدة ليس فيها ما يتحسر عليه.. بلدة صغيرة.. وبعيدة.. ولكن الآن!.. إن صدقت هذه الأخبار ستصبح قبلة التجار وأهل الصناعة، الكهرباء في هذا العصر أهم شيء وأغلى شيء.. الكهرباء هي الصناعة.. هي التجارة.. هي الرفاهية.. هي التي لا تزال تصل الناس

بعالمهم القديم.. عالم ما قبل الحرب الطاحنة.. الناس يحبون استخدام ما تبقى من عالمهم القديم.. الحواسيب.. الهواتف.. الأجهزة المنزلية.. الناس الآن تعيش في زمن غريب خليط من القرن التاسع عشر والعشرين والثلث الأول من الحادي والعشرين.. ومقدار ما تملكه من كهرباء يقرر الفترة الذي تعيشها.. عروضهم ودعوتهم للهجرة تعني أنهم يملكون مصدرًا جبارًا للكهرباء.. هل يعود؟.. لا يستطيع أحد أن يمنعه من العودة.. أنَّه صاحب فضل عليهم.. هل يعود الآن؟.. كلا.. ليتمهل حتى تتضح الأمور.. ثم يقرر..

*** * ***

☐ الدكتور (أمجد)

مكتبة ضخمة.. هائلة.. مكتبة علمية.. ستكون عونًا كبيرًا له.. مكان مُزوَّد بالكهرباء.. عتاد يمكن أن يساعده في أبحاثه.. عتاد لا يمكن نقله.. نقله يعني إفساده.. لذلك بقاؤه في مكانه أفضل من نقله..

المخاطر؟.. هذه الكائنات نتاج الحرب الجرثوميّة.. لكنها ليست كالحروب الجرثوميّة التقليدية التي تؤدي إلى مقتل المُصاب أو مرضه.. بل حرب متطورة تشبه آثار الحرب النووية.. تعبث بجينات البشر وتنتج أجيال جديدة.. هجينة ومريضة ومشوهة.. كما في السنوات التي سبقت الحرب الطاحنة.. حين سادت الفوضى وجنون التسلح.. ومحاولة إنشاء جيوش

مرعبة هي خليط من البشر وبعض أصناف الكائنات.. ولكن هذه الكائنات تحتفظ بشيء من آدميتها.. استخدامها للعصيِّ والهراوات يدل على أنها لم تفقد آدميتها تمامًا.. ورُبَّما.. رُبَّما توجد وسيلة للتحاور معها.. ماذا عن آثار الحرب النووية والجرثومية؟.. لقد ذهب أمين البلدة السَّيِّد (عبد الرازق) ومن معه وعادوا سالمين.. لقد فحصهم بنفسه.. لم يعثر في أجسادهم أو دمائهم على ما يثير الخوف..أو حتى القلق.. رُبَّما زالت آثار الحرب.. أو أنَّ المكان يخلو منها..

يجب أنْ يذهب إلى هناك.. لا.. بل يجب أن يذهب ليعيش هناك.. أبحاثه حول الهمج تبشر بالنجاح.. ولكنها تحتاج الكثير.. وذلك المكان سيساعده بكل ما يحتويه على تحقيق أهدافه.. يجب أن يذهب إلى هناك.. ولكن من سيساعده على الذهاب إلى هناك.. من يرغب في الذهاب إلى مدينة الموت؟!.. ويأخذه إلى ذلك المكان؟.. من؟..

* * *

□ محمد و(عُمر)

انهمك (محمد) في مراجعة مهام الغد من دفتر أمامه في أحد مُناطيد النقل، ينتظرهم عمل شاق يوم غد، سيحتاجون إلى استئجار إلى مناطيد لنقل الحمولة، يجب أن يُخبر السَّيِّد (عبد الرازق) أو (عمران) بحاجتهم لثلاثة مناطيد نقل ضخمة أو أكثر..

قطع أفكاره صوت حركة في المكان، رفع رأسه ليجد العريس يدلف للمكان يحمل صندوقًا صغيرًا..

- العريس، أهلًا وسهلًا، أهلًا وسهلًا، لم أتوقع حضورك الليلة، نوبتك بعد غد، أليس كذلك؟

بالتأكيد بعد غد ولكنه لا يستطيع الانتظار، وضع الصندوق على المنضدة الصغيرة أمام (محمد) وهو يقول:

- لم استطع الانتظار، أحب أن أرى السعادة على وجهك وأنت تأخذ هديتي.

نظر (محمد) للصندوق ومد يده إليه وبتعجب تساءل:

- هدية؟ وما المناسبة؟

بمكر أجابه (عُمر):

- وهل يحتاج الأصدقاء إلى مناسبة لتقديم الهدايا؟

أخرج (محمد) الهدية ورفعها بكلتي يديه أمامه، وهو يسمع صديقه يقهقه ويقول:

- أفضل حفاظ تم صنعه لكبار السن، أفضل جودة لأفضل صديق.

وواصل قهقهته و(محمد) ينظر إلى الحفاظ بغيظ، ثم أزاحه عن وجهه وقد رسم ابتسامة تخفي ما بداخله، ومد يده أسفل المنضدة ليخرجها حاملة وسادة، قدَّمها لصديقه وهو يقول:

- وهذه لك، كنت سأعطيها لك غدًا ولكن ما دمت هنا فها هي.

حان دور (عُمر) ليُدهش، نظر إلى الوسادة، سأل:

- ما هذه؟

أجابه (محمد) وهو يقهقه:

- وسادة، ضعها تحت رأسك حين تفقد الوعي المرة القادمة.

*** * ***

◻ بهاء

ناول الحارس في البرج الخامس (بهاء) فنجان القهوة، وقال:

- قهوتك.

تناوله (بهاء) منه شاكرًا، في حين أمسك الحارس بالمنظار الليلي وأخذ يمشط المنطقة المحيطة بالبرج وهو يقول:

- سمعت أنَّ هذا هو أسبوعك الأخير معنا، يقولون إنَّك ستعمل في النقل، هل هذا صحيح؟

بعد رشفة صغيرة والاستمتاع بمرارة القهوة، أجابه (بهاء):

- صحيح.

رفع الحارس المنظار عن عينيه والتفت إليه، سأل:

- ولم؟ عملنا في أغلب الأحيان أسهل من عمل النقل وأكثر أمانًا.

نظر (بهاء) إلى الليل الحالك الذي ينتظر القمر في لهفة، وبعد رشفة، قال:

- لأن بلدتنا صغيرة.. صغيرة جدًّا..

وصمت وذهنه يواصل الكلام.. والعالم الخارجي واسع.. واسع جدًا.. رغم كل المخاوف والمخاطر.. فإنه يستحق أنْ تراه العيون.. أنْ تخطو على أرضه الأقدام.. أن تضرب نسيمه الوجنات.. فيه الخوف نداء الشجاعة.. والخطر عتبة المجد.. كل هذا ولم ير سوى بلدتين.. ووادٍ.. ومدينة من مدن الموت..

مدينة ترك فيها ألف سؤال.. ألف سؤال تنتظر الإجابة.. ما هذه الكائنات البيضاء!.. والكائنات الوردية؟.. والمبنى؟.. ما سرّه؟.. كأنَّه هُجر بالأمس!.. هل هو مُحكم الإغلاق؟.. إذًا كيف دخلته الكائنات البيضاء؟.. أم أنَّ هناك من لا يزال يستخدمه ويرعاه؟.. إذا هناك من يستخدمه ويرعاه فمن هو؟ أو من هم؟.. لقد دخلوا مبنىً واحدًا.. ولكن هناك اثنين آخرين.. ثلاثة مباني على نفس الهيئة والتصميم وتصنع مثلثًا.. ماذا فيها؟.. وهل يوجد مثلها في أماكن أخرى؟..

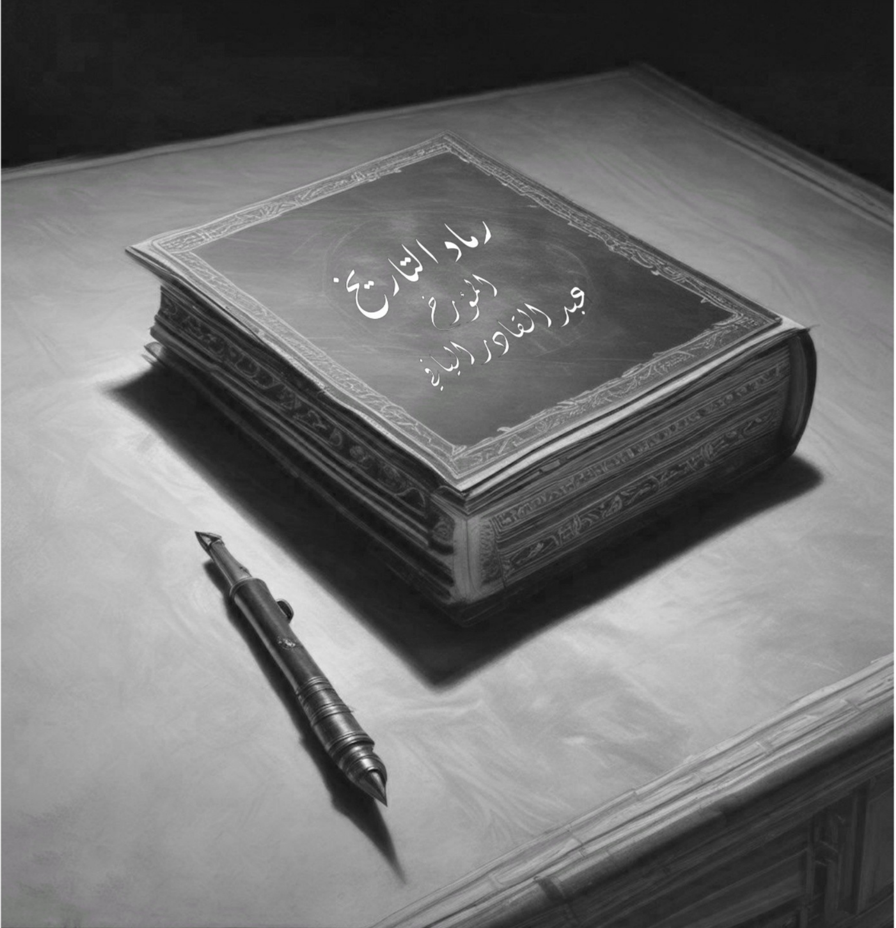
وخارج مدينة الموت ينتظر ألف ألف سؤال.. وادي الهمج!.. من قتلهم؟.. من مثَّل بهم؟.. ما هي حكاية الكاملة؟.. كيف تكون هي السليمة المعافاة في بلدة المشوهين؟.. بل ما هي قصة ذلك الأنبوب؟.. من أين حصل عليه أمين البلدة؟.. هل يملك غيره؟.. كيف علم بأمره؟.. و.. والمدينة القديمة؟.. ما سرَّها؟.. لقد خمَّن قائد الحرس أن نزوح الهمج سببه تلك الكائنات.. ولكن تلك الكائنات.. من أين جاءت؟.. لماذا ظهرت الآن؟.. ما مصدر الآلحان؟.. من يقف وراءها؟.. والفجوة السوداء!.. ألف سؤال..

كل واحد يفتك بالآخر.. أسئلة يجب أن يتركها جميعًا.. وبلا إجابة.. المهم الآن هو النهوض.. يجب أنْ ينهضوا بسرعة.. وقبل أنْ يسبقهم الآخرون.. يجب ان يبذلوا كل جهدهم.. لن يتكرر ما حدث قبل الحرب الطاحنة.. لن يكونوا في ذيل الأمم.. مستحيل.. العالم من غير المسلمين لن يعرف العدالة.. لن يعرف الأمن.. لن يعرف السلام.. المسلمون وخاصة العرب منهم.. هم أجدر الأمم بقيادة العالم إلى بر العدالة والأمان والسلام والنجاة.. أختارهم الله من بين الأمم لأعظم مهمة.. حين تركوها.. سقط العالم كله في الهاوية.. هاوية الظلم.. هاوية الرذيلة.. هاوية كل مذموم ومكروه ويخالف الفطرة السليمة.. وعليهم أن يستعيدوا دورهم.. دورهم الذي اختاره الله لهم..

دارت هذه الأفكار والخواطر في رأس (بهاء) وهو ينظر للَّيل البهيم وينتظر معه.. بزوغ القمر.. وطلوع الفجر..

تمت بحمد الله

صفحات من كتاب "رماد التاريخ"




خريطة العالم قبل الحرب الطاحنة


خريطة العالم بعد الحرب الطاحنة
▪المناطق المظللة بالأسود غرقت بموجات تسونامي عنيفة بعد سقوط صاروخ أوثاد الشيطان.
▪المناطق الأخرى -باستثناء المظللة بالأحمر- دُمرت بموجات زلازل وأعاصير وانتقال التلوث والأمراض خلال خمس عشرة سنة متتالية.
★يقول الدكتور (مصطفى محمود): الصاروخ غير قادر على هذه الكارثة العظيمة، لكن الولايات المتحدة الأمريكية قائمة على صفائح أرضية هشة وغير مستقرة، وهذا جعل النتائج كارثية.

صور من الحرب الطاحنة























الزلازل والأعاصير التي ضربت الأرض خمس عشرة سنة متتالية



الإعصار الذي ضرب الأرض سبعين يوماً متتالياً.
الدائرة السوداء: عين الإعصار في أقصى اتساع لها.
الدائرة الحمراء: عين الإعصار في أدنى اتساع لها.



الهجرات والتجمعات البشرية

■ بدأت هجرة البقية القليلة من البشر في فترة الزلازل والأعاصير والكوارث التي امتدت خمس عشرة سنة .

■ مات الكثيرون في رحلة الهجرة والنزوح إلى أماكنهم الجديدة.

■ تجمعت القبائل في الشام وجنوب الأناضول و النصف الشرقي من سواحل البحر الأبيض المتوسط والأجزاء الشرقية من مصر والسودان وجيبوتي والصومال والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والعراق وأرض فارس وجنوب أذربيجان إلى جنوب الأناضول.

🔴 توزيع القبائل المهاجرة..

القبائل العربية: تتجمع في أرض الشام وتمتد شرقًا إلى شواطئ دجلة الغربية وغربًا حتى شبه جزيرة سيناء وشمالًا حتى أجزاء من جنوب الأناضول وجنوبًا إلى الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية.

القبائل الأوروبية: تتجمع في النصف الشرقي من السواحل الشمالية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط .

القبائل الإفريقية: على طول الساحل الغربي للبحر الأحمر.

القبائل الهندية: منطقة القرن الإفريقي والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية.

القبائل الصينية: من وسط بلاد فارس إلى ضفاف نهر دجلة الشرقية.

قبائل الترك: من جنوب أذربيجان إلى جنوب الأناضول.

🔴 الكثير من القبائل فُنيت أو اندمجت مع قبائل أخرى.

🔴 القبائل في المناطق الأخرى من العالم لا يُعرف عنها شيئًا.

🔴 شهدت سنوات بعد الحرب الطاحنة والكوارث عودة المجتمعات البشرية -على أختلاف معتقداتها- إلى الفطرة والتمسك بالدين والأخلاق.

🔴 شكل الملحدون مجتمعاتهم الخاصة بعيداً عن الآخرين، وتتميز مجتمعاتهم بالفساد والانحلال الأخلاقي.

🔴 جُمعت المعلومات من شهود وصور الأقمار الاصطناعية قبل توقفها عن العمل.

صور كائنات ظهرت قبل وأثناء الحرب الطاحنة









أثناءِ الحرب الطاحنة وقبلها بسنوات قليلة.. سادت الفوضى.. وكثُر العبث وإنتاج كائنات باستخدامِ الهندسة الوراثيّة لأجل التسلية أو استخدامها كبديل للجيوش التقليدية.



الهمج

▪هم نتاج الحرب الهجينة للهندسة الوراثيّة والجرثوميّة.

▪لهم جميعًا خلقة واحدة يشتركون فيها، صغارهم وكبارهم، ذكورهم وإناثهم، يبدون كمن تجاوز السبعين مع شعر أبيض، ونظرة ساهمة أو فضولية كأنّه يرى الشيء لأول مرة.

▪يختلف الذكور بأنّ لهم لحية طويلة بيضاء، لا يجيدون الكلام ويتفاهمون بلغة أشبه بالعواء.

▪يتكاثرون بغزارة، حتى أنّ الأنثى تضع عشرة أبناء على الأقل في حياتها التي لا تتجاوز الأربعين عامًا.

▪يعيشون في مناطق مفتوحة خارج المدن، ونشاطهم هو الجمع والالتقاط.

▪مسالمون عادة ويتميزون بوجدان جمعي غريب، ويتكاتفون ضد الأعداء.



صدر للمؤرخ والباحث عبد القادر اليافي

- من المهد إلى اللحد، تاريخ البشرية منذ نزول آدم عليه السلام إلى الحرب الطاحنة، عشرة أجزاء، دار الأقلام.
- على أعتاب المجد، تاريخ الدول العربية والإسلامية قبل الحرب الطاحنة، والفرص الضائعة التي كانتِ ستحول بين العالم ونهايته، جزء واحد، دار اليمين.
- رماد التاريخ، مُختصر "من المهد إلى اللحد"، جزء واحد، دار البصيرة.
- على ضفاف النهاية، أحوال الدول والممالك في السنين التي سبقت الحرب الطاحنة، ثلاثة أجزاء، دار الأقلام.
- نزول آدم، يؤرخ فترة تفعيل برنامج "نزول آدم" ومحاولات البشرية للتصدي له وإيقافه ، تحت الطبع، جزء واحد، دار الغسق.

النهوض



بقلم إبراهيم محمد

إن شاء الله
الرواية التالية

العودة إلى الصفر

والعالم يسعى للنهوض.. ويحاول أن يستعيد أجمل ما في ماضيه.. وينبذ كل ما أودى به للنهاية.. للحرب.. الحرب الطاحنة.. هناك من لا يريد له ذلك.. بل يريد العودة به إلى الوراء.. إلى قبل الحرب الطاحنة.. بكثير.. يدمر التقنية.. يحرق الكتب.. يخرب وسائل النهوض وأدواته.. يقتل البقية القليلة من العلماء.. ويريد العودة إلى الماضي.. الماضي السحيق.. إلى الصفر..

<u>للكاتب إبراهيم محمد</u>

الغَيْهَبُ

حين تغْشى الخُرافة الحقيقة
ويصير الواقع ضربًا من الخيَّال

1 - بدايات مُخِيفة
2 - النور والظلام
3 - العَهْد الجديد (بمشيئة الله في المستقبل القريب)

الرِحْلة

رِحْلة إلى حدود العَالم.. لمعرفة الحقيقة
وإجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة

1 - الرحيل ج1
2 - القصَّابون ج2
3 - وادي الصمت ج1 (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الرَاهِب ج2

عالم جديد

عالم ينهض من رماد حرب طاحنة
يبني حاضره.. وينظر مستقبله

1 - النهوض
2 - العودة إلى الصفر (بمشيئة الله قريبًا)
3 - أوار الماضي
4 - العائدون ج1
5 - طلائع الشرِّ ج2

البُسْتان

روايات تبحث لها عن ملجأ

1 - رواية خلاعيَّة
2 - الأبواب
3 - مملكة الأحزان (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
4 - الله والشيخ والشيطان وأنا
5 - طريق الخُلُود
6 - ثلاثون من المائة
7 - ألف ألف إله
8 - فجوة في جدار المُستقبل

الفُنْدُق

قضايا وتحقيقات

1 - جميلة الجميلات
2 - بِيعَ (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - خصوصية
4 - جُثَّة لا تحب القبور
5 - ساعة تُنادي النهاية

ما وراء النهاية

مع كل نهاية بداية جديدة

1 - كنوز الملك سليمان
2 - الرجل الخفي (بمشيئة الله في المستقبل القريب)
3 - رحلة إلى مركز الأرض
4 - جزيرة الكنز

 Wordsonsnowtablet@gmail.com

 Wordsonsnowtablet

روايات من الخيال العلمي

عالم ينهض من رماد حرب طاحنة يبني حاضره.. وينظر مستقبله..





إبراهيم محمد

1

النُّهُــــوض

عالم غريب.. عالم مخيف.. ومخاطر لا تنتهي.. ولا تهدأ.. همج وسواهم في كل مكان.. بلدة محاصرة تنتظر نهايتها.. وأهلها يسعون لإنقاذها..

وعالم يسعى للنهوض من كَبْوته.. يمحو الماضي.. يبني الحاضر.. ويأمل في مستقبل أفضل..

وأمور كثيرة.. لا تعلم من أين تبدأ.. وأين تنتهي.. فهو عالم مختلف تمامًا عن كل ما عرفناه.. أنّه.. عالم جديد..

الرواية القادمة

العودة إلى الصفر